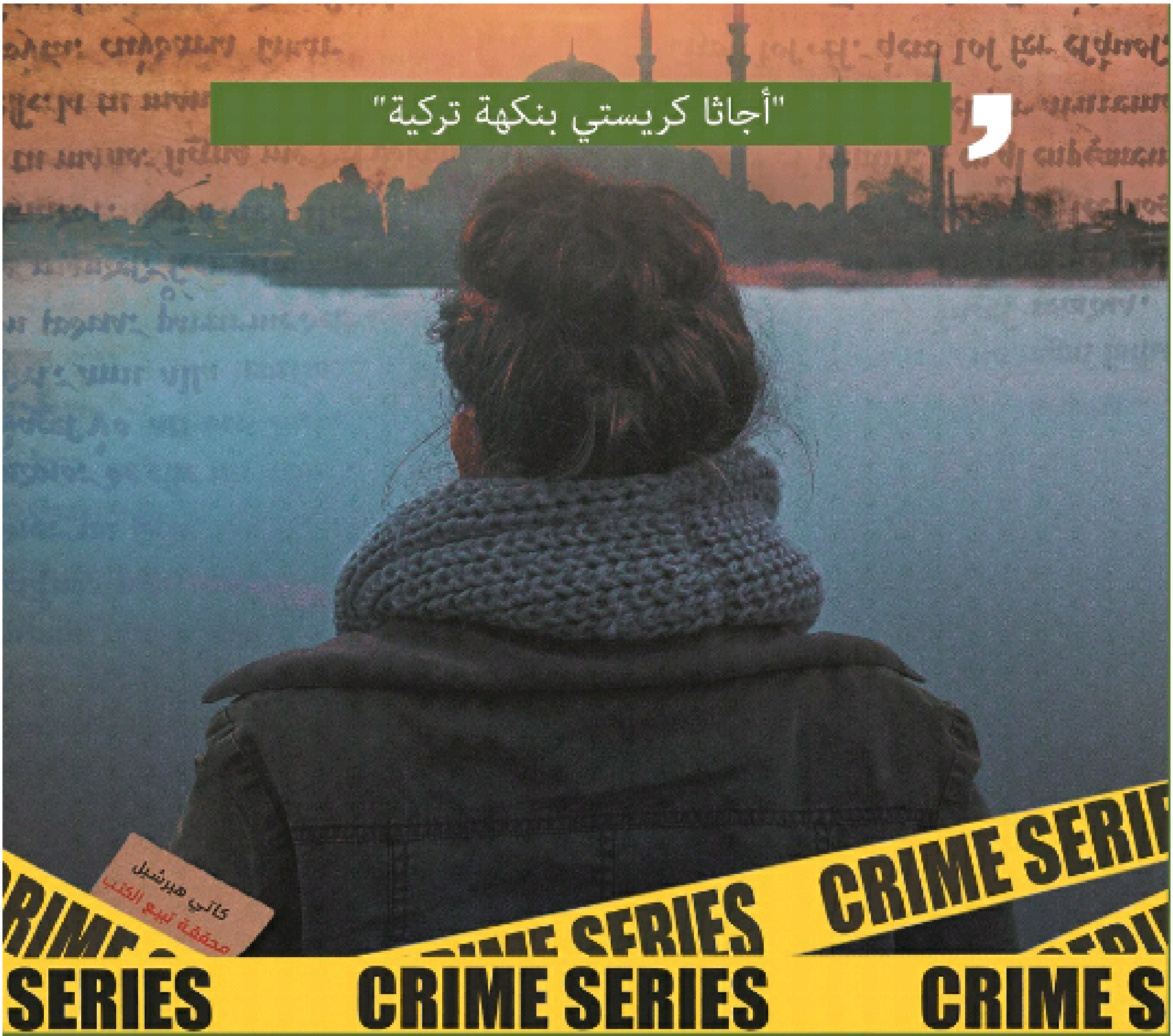

الطلاق على الطريقة التركية

أسمهان أيكول

ترجمة: هند عادل

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة

الطلاقُ علَى الطريقةِ التركيَّة

روايةٌ مِنْ تركيا

أسمهان أيكول

ترجمة: هند عادل

الطلاق على الطريقة التركية

تأليف: أسمهان أيكول

ترجمة: هند عادل

تحرير ومراجعة: هدى فضل

مُراجعةٌ لُغوية: محمد جلال الأزهري

الطبعة الأولى: يناير 2020

رقم الإيداع: 2019/23695

الترقيم الدولي: 9789773195427

© جميع الحقوق محفوظة علَى النَّاشر

60شارع قصر العيني 11451-- القاهرة

ت 27954529 - 27921943 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

First published in 2007 by Merkez Kitaplar, Istanbul

Copyright © 2007 by Esmahan Aykol/ Merkez Kitaplar

Copyright © 2008 by Diogenes Verlag AG Zürich

All rights byt Turkish reserved

First published in Turkish as *Şüpheli Bir Ölüm*by Merkez Kitaplar ,
Istanbul, 2007.

بطاقة فهرسة

أيكول، أسمهان

الطلاق على الطريقة التركية رواية من الأدب التركي/ تأليف: أسمهان أيكول؛ ترجمة: هند عادل.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2019.

ص؛ سم.

تدمك 9789773195427

1- القصص التركية

أ- عادل، هند (مترجم)

ب- العنوان 894.353

1

أصبحتْ إسطنبول مدينةً خطيرة، خاصةً في شارع: "استقلال" وما حوله. كلما ذكرت أنني ذاهبةٌ إلى البنك، شعر صديقي "فوفو" بالتوتر، وتمنَّى لي الحظ. ليس هذا فحسب، لقد بدأ يستيقظ باكراً مؤخراً ليعد لي إفطارًا شهيًّا، ويقول كم أبدو شابة وجميلة ثم يعانقني قبل خروجي، وكأننا لن نرى بعضنا مجددًا. لكنه على حق، من الممكن أن يحدث أي شيء. هناك - دائمًا - خطر السقوط في إحدى الحفر الكثيرة التي صنعها المجلسُ في الرصيف من باب الإصلاحات، أو أن

يدفعك أحدهم لتسقط تحت عجلات إحدى الشاحنات الضخمة، التي تعبر شارعنا، على الرغم من أن القانون لا يسمح بمرور السيارات فيه.

بدأت أرتدي بنطلونًا واسعًا وحذاءً مريحًا؛ محاولةً للبقاء على قيد الحياة. توقفت كذلك عن حمل حقيبةٍ على كتفي؛ لأنها تبطئ حركتي، وملأت جيوب بنطلوني الواسعة بكل أغراضي، ومنها الموبايل. في البداية كنت محرجة من الخروج بحذاءٍ رياضي، لكنني أدركت – لاحقًا - كم هو مريح وآمن.

لقد تقدمت كثيراً في الواقع. عندما بدأ المجلس باستبدال أحجار الرصيف في العام السابق، كنت بالكاد قادرة على السير باستقامة وسط الوحل الرطب. من كان يظن أنني الآن سأقفز فوق حفرةٍ بعرض مترين، وأهبط في سلام على الجانب الآخر؟ بدت لي القيود التي فرضتها علَى نفسي في السابق مضحكة الآن. كان من الصعب التصديق بأن شارع "استقلال" أصبح ممنوعًا على السيارات وخاصًا بالمارة؛ لكي يتمشوا بكل راحة، وذلك لأنه كان مزدحمًا باستمرار بالماكينات الثقيلة والحفارات والشاحنات والأوناش. وهكذا احتجت إلى ملابس مناسبة، وردود أفعالٍ سريعة، وعضلات قوية وحذرٍ شديد، وسلوكيات سيئة؛ مثل دفع المارة الآخرين من طريقي.

تم تغيير حجارة الرصيف مرتين في عامٍ واحد! أمر عجيبٌ، لكنه حدث بالفعل. أخبرني "فوفو" أن الطرق في إسبانيا يتم إعادة رصفها باستمرار؛ لأن هذا يسمح للحكومات الجديدة بعقد صفقاتٍ ضخمة مع مقاولين حديثي الثراء، فيدينون لهم بالفضل ويردون الجميل. يبدو أن تركيا تفعل المثل، نظراً إلى عددِ الرجال الذين تخلوا عن المواصلات العامة، وأصبحوا يخرجون مع زوجاتهم في سيارات "رانج روفر" جديدة ولامعة.

بعدما انتقلتُ إلى "كوليديبي" أصبحتُ أذهب إلى البنك في شارع "استقلال" مرَّةً في الأسبوع؛ يوم الجمعة فقط، وهذا كافٍ تمامًا. لم أعد شابة كالسابق، ومن المحتم أن تقل قدرتي على تفادي الحوادث مع مرور الوقتِ.

ذهبت يوم الجمعة إلى مقهى "شيمدي" في شارع "الجامع الإسماعيلي". بينما

أشرب قهوتي التركية، هنأت نفسي – بهدوء - على نجاحي في أصعب جزءٍ في الرحلة. لقد تجاوزت القنصلية السويدية ونزلت المنحدر إلى المدرسة الثانوية الألمانية دون مشاكل. علمت أنني سأصبح بأمان مع "بيلين" و"فوفو" خلال خمس أو ست دقائق فقط.

كنت غاضبة من "فوفو" لأنه تركني ليسافر مع حبيبه. انتهت علاقتهما بسرعة. وبعد بضعة أيامٍ في فندقٍ رخيص وقبيح، استجمع "فوفو" شجاعته وطلب مني أن يعود للعيش معي. بالطبع وافقت بسبب رقة قلبي. لم أستطع أن أتحمل رؤيته وهو يعيش هكذا، فاستسلمت.

أعترف أن وصف نفسي برقة القلب هو مبالغة، لكنني لست شخصًا سيئًا. فأنا – مثلاً - لم أفكر في طرد "بيلين" بعد عودة "فوفو" إلى العمل بحماسٍ في المكتبة. جعلتها تعدني أنها ستنهي دراستها الجامعية هذا العام، وأنا متأكدة من أنها ستفعل. كالعادة، وصلت حشود السياح خلال الصيف إلى تركيا. توقعت أن تفكر "بيلين" في التدريب على الإرشاد السياحيّ؛ لتكسب مالاً من السياح الأثرياء. الفتاة تحتاج إلى من يخبرها بأن الربح من السياحة في تركيا ليس وفيراً، وأن العمل في الإرشاد السياحي ليس مضموناً. لكن لن أخبرها شيئًا، فأنا لن أحطم أحلام فتاة شابة.

أبيع روايات الجريمة. تقع مكتبتي في "كوليديبي"، وأنا الأولى والوحيدة المتخصصة في بيع روايات الجريمة في إسطنبول. يسألني الناس - دائماً - عن سبب اختياري لهذا العمل، لكن ما الغريب في عمل ما أحب؟ فأنا أعشق قراءة روايات الجريمة.

استطعت شراء شقةٍ بالقرب من مكتبي بصعوبةٍ كبيرة لكن بسعرٍ زهيد. اقترضت مالاً من البنك لأجدد الشقة، وأنا أعيش فيها الآن. بفضل "أتاكان" قريب صديقتي "كاندان"، انتهى العمل أسرع وأرخص من المتوقع. كانت هذه مفاجأة مدهشة بالفعل. أصبحت الآن أرشح "أتاكان" لأي أحد. لقد سلَّم لي الشقة في الموعد المتفق عليه كما وعدني، فشعرت بالخجل من اعتقادي بأن مجال المقاولات

فاسدٌ وغير جدير بالثقة. لا أقوم بالتعميم في آرائي عادةً، لكنني مررت ببعض التجارب السيئة مع مقاولين ومهندسين. ذكرني "أتاكان" بأن هناك أشخاصًا صالحين وفاسدين في كل موقف. هكذا يسير العالم.

إن التعميم الذي ظننته حقيقيًا تم تلخيصه في فيلم "Gentlemen Prefer Blondes"، وهو فيلم محبط: حب الرجال "يفضل الرجال الشقراوات" للشقراوات هو شيءٌ مسلمٌ به. عندكم صديقتي "لالي" مثلًا. صبغت شعرها بالأصفر، لكنها قابلت حبيبًا جديدًا قبل موعد صبغ الجذور! هل هذه صدفة؟ وهل تصدقون أن حبيبها هو "إيرول"، جاري ذو اللحية، الذي يسكن في الطابق العلويّ من بنايتي الجديدة. في الواقع، حلق لحيته؛ لأن "لالي" لم تحبها، وهو يبدو أفضل دونها بالتأكيد. إنهما يتواعدانِ منذ أكثر من عام.

وأنا؟ ما زلت وحيدة كما كنت لأعوام. فكرت في صبغ شعري بالأصفر أيضًا، لأنني شعرت بأن مظهري لا يناسب فكرة الأتراك عن المرأة الألمانية. لكنني قررت أن أجعل الجميع يعرفون أن ألمانيا ليست شعبًا من الشُقر.

oooooo

عندما وصلت المكتبة لم تكن "بيلين" قد وصلت بعدُ، أما "فوفو" فكان في حالٍ من الهلع.

صاح:

- أين كنتِ؟

إن كثرة مشاهدته للمسلسلات السخيفة علمته أن اللغة التركية يجب التحدث بها عن طريق الصراخ المصحوب بإيماءات وتعابير مبالغ فيها.

صرخ:

- ظننت أن أمرًا مكروهًا حدث لكِ!

- كفى صراخًا بالله عليك! يكفيني الصداع الذي تسببه لي إصلاحات الطريق في شارع "استقلال".

أعطاني "فوفو" صحيفة مطوية، وهو يقول:

- انظري لهذا.

لست معتادة على قراءة الصحف. أفضل قراءة رواية جريمة ممتعة بدلًا من إضاعة وقتي في قراءة الصحف السخيفة. لكن ذلك الخبر أو على الأقل صورة المرأة ذات الشعر الأشقر المبتسمة لفتت انتباهي على الفور. وكأنها تتعمد إثبات وجهة نظري عن النساء ذوات الشعر الأشقر. كانت جميلة إلى حدٍّ لا يوصف. الأغرب هو أنني تعرفت إلى وجهها. إنه من النوع الذي لا تنساه بمجرد أن تراه. تساءلت إن كنت قد رأيتها في أحد النوادي الليلية المزدحمة المليئة بدخان السجائر والموسيقى الصاخبة، والتي يأخذني إليها "فوفو" في ليالي السبت.

سألت نفسي: "أين رأيتها من قبل؟".

قال "فوفو":

- انظري جيدًا. ألا تميزين المكان؟

- توقف عن إثارة حيرتي، وأخبرني.

- إنه المطعم الصغير الذي نتناول فيه الغداء.

قلت، بينما أجلس على الكرسيّ الهزاز وأنظر إلى الصورة بتمعن:

- لكنَّ المرأةَ التي رأيناها هناك لم يكن شعرها أشقر.

- لا، كان شعرها بنيًا.

- والآن صبغته.

- نعم، الأشقر موضة العام.

منذ أن قررنا أنا وهو أن نأكل طعامًا صحيًا أكثر، بدأنا نتناول الغداء في مطعمٍ في منطقة "تونيل". تشاركنا الطاولة مع تلك المرأة بضع مرات بسبب ازدحام المطعم. كلما نظرت إليها أجدها تأكل طبق سلطة صغير. نظرتُ إلى الخبرِ ورأيت أن اسمها "ساني أنكاراليجيل"، في الثانية والثلاثين.

تزوجت "ساني أنكاراليجيل" من عائلة "أنكاراليجيل"، إحدى أثرى عائلات تركيا. هجرت زوجها قبل ستة أشهرٍ وطلبت الطلاق. وجدوها ميتة ظهر أمس في فيلتها الفاخرة في "باشا بهتشه" حيث عاشت بمفردها. من الواضح أن "ساني أنكاراليجيل" تُوفيت نتيجة حادثٍ مأساوي. أخذت الشرطة أقوال زوجها الحزين "جيم أنكاراليجيل"، وهو آخر من تحدث إليها في الأسبوع الماضي.

قلت:

- إذًا ما المشكلة؟ لا علاقة لهذا بنا.

- ألا ترين أن وفاتها المفاجئة وسط قضية طلاق يعتبر شيئًا يستحق الاهتمام؟

- لو أردت أن تعرف رأيي حقًا، فمعاناتي لتسديد قروضي للبنك هي أكثر أهمية بالنسبة لي الآن. أخبرني، كم كتابًا بعت هذا الصباح؟ هه؟

- ماذا حدث لحاستكِ البوليسية؟ امرأة تطلق زوجها الثري و...

قاطعته:

- أستخدم هذه الحاسة - حاليًا - من أجل الاهتمام بوضعي المالي. وليتها تنفع للأسف.

سأل "فوفو" بإصرار:

- ماذا لو أنها قُتِلَت؟

- هل تعلم كم امرأة تُقتَل كل دقيقة؟ رجال الشرطة يتولون هذه الأمور؛ لأنهم يقبضون رواتبهم من الضرائب التي أدفعها، وهناك أيضًا الجمعيات النسائية

التي أتبرع لها؛ على الرغم من مشاكلي المالية. هذا ليس من شأني.

نهض "فوفو" بابتسامةٍ مريرة، وهو يقول بنبرة لوم:

- أنتِ لا تطاقين اليوم. آسف لإضاعتي وقتكِ.

ذهب إلى المطبخ الصغير خلف الستارة المخططة بالبرتقالي والأخضر، والتقط منفضة غبار وأخذ ينظف رفوف الكتب عشوائيًا. أما أنا فجلست على الكمبيوتر لأراجع حسابات الأسبوع الماضي.

العمل يوم الجمعة يكون مربكًا. أحيانًا تأتي سيول من الزبائن ولا أستطيع التقاط أنفاسي، بينما أحيانًا أخرى نتشاجر معًا لكي يمضي الوقت. لكن ذلك الجمعة بالذات كان مزدحمًا جدًّا. تنوع زبائننا من سياح أجانب يريدون التعرف على حياة المدينة إلى مواطنين يريدون التسلح بالكتب قبل الانطلاق لتمضية أجمل أيام الخريف في رحلةٍ بحرية في بحر "إيجة". كان يومًا مربحًا، ليت كل الأيام هكذا.

oooooo

بعدما دفعت راتب "بيلين" و"فوفو"، وجدت صعوبةً في تسديد دفعات القرض للبنك، بعيدًا عن محاولة ادخار مالٍ لتقاعدي.

- من الآن فصاعدًا، سنفتح في الإجازات الأسبوعية.

هكذا أعلنت في بداية الصيف، وتجاهلت النظرات التي تبادلها "فوفو" و"بيلين" وكأنني فقدت عقلي.

- ليس فقط لأنَّ "كوليديبي" تبدو أفضل عندما تغلق كل المحلات التافهة، لكن أيضًا لأن الزبائن الذين نستهدفهم يأتون إلى هنا في الإجازات الأسبوعية لشرب الشاي أو لمشاهدة إسطنبول من برج "جلاطة".

التزم "فوفو" و"بيلين" الصمت.

- هل لديكما أي اعتراض؟

قالت "بيلين":

- سنضطر إلى عمل جدول جديد.

- بالطبع سنفعل. ستنشغلين بالجامعة طوال الأسبوع، لذلك يمكنكِ العمل في الإجازة الأسبوعية. أنا و"فوفو" سنهتم بباقي الأيام.

قالت "بيلين":

- لا بأس.

أومأ "فوفو" على مضض. إنه صديقي العزيز، لكنه لا يحرك ساكنًا إلا عندما يكون مضطراً.

ooooo

وهكذا بدأ "بيلين" و"فوفو" بإدارة العمل دوني خلال أيام الأسبوع. وفي المقابل، آتي مبكراً صباح الإثنين. ذلك الإثنين فتحت المكتبة وانتظرت الماء ليغلي؛ لكي أعد شايًا أخضر، ثم رن التليفون.

صاح "فوفو" في التليفون:

- هل أنتِ متصلة بالإنترنت؟

أبعدت السماعة عن أذني، وأجبته:

- نعم.

فتحت الكمبيوتر بمجرد أن وصلت كالعادة.

- اذهبي إلى موقع "سكاي رات". "ساني" تتصدر عناوين الأخبار!

"سكاي رات" هو: موقعٌ شهير للنميمة والشائعات في إسطنبول. لم يعلن أصحاب الموقع عن أسمائهم؛ لأسبابٍ أمنية. لكن تقول الشائعات إن ثلاثة رجال

يديرونه؛ صحفيان خسرا عملهما أثناء التحقيق مع الشرطة، ورئيس تحرير مجلة لأخبار المجتمع.

على سبيل المثال، علمنا من هذا الموقع أن المغنية "بينور باران"، والتي تعتبر نفسها أجمل امرأة في تركيا، اكتشفت زوجها في السرير مع خادمتهما الرومانية. كما علمنا هُوية الشخص الذي كان يبيع المخدِّرات للعارضة الشابة الجميلة "جول أركان"، والتي وجدوا جثتها في الشارع، في العام الماضي. يقدم الموقع كل المعلومات المتوفرة من صور عارية لإحدى الفنانات قبل الشهرة وأشرطة إباحية لأستاذ جامعة كان يعمل مذيعًا.

وضعت التليفون بين عنقي وكتفي بينما أكتب عنوان الموقع.

ظهرت لي صفحة مليئة بالعناوين اللافتة التي تدعوني لأضغط عليها؛ لمعرفة التفاصيل، وضغطت.

"ما تزال التحقيقات مستمرة حول الوفاة المفاجئة والغامضة لـ"ساني أنكاراليجيل"، بعد وقوع حادثة في فيلتها في "باشا بهتشه". كانت تقوم بإجراءات الطلاق من زوجها "جيم أنكاراليجيل"، وهو من مشاهير المجتمع والابن الوحيد لـ"تاماشا" و"باهري أنكاراليجيل" صاحب شركة الشحن العملاقة ومالك مجموعة شركات "أنكاراليجيل". قبل وفاتها ببضعة أيام، تناولت "ساني أنكاراليجيل" العشاء في مطعم "شايننج صَن" الشهير مع صديقٍ عزيز علَى زوجها.

فيم تناقشا على العشاء؟

ضع موقع "skyrat.com.tr" في قائمة مواقعك المميزة؛ لتحصل على الأخبار العاجلة!".

سألت:

- وما المشكلة؟

أجاب "فوفو"، بحماسةٍ شديدة:

- الأمر يزداد إثارة! نحن لسنا الوحيدين الذين شكُّوا في ظروف وفاتها. لماذا لا نذهب للتحدث مع مديري الموقع؟ قد نكتشف الحقيقة الخفية.

عارضته قائلة:

- لديك الكثير من الأفكار اليوم يا "فوفو"! لكن لا يمكنني ملاحقة القتلة الآن. يجب عليَّ التركيز على إدارة المكتبة، ودفع ديوني وادخار المال من أجل الأيام الصعبة.

لكن، بدأ عزمي يضعف. قد تكون هذه فرصةً أخرى لأثبت مهاراتي في حل غموض جرائم القتل. وبالطبع ستفهم يا عزيزي القارئ إن جرائم القتل لا تعرض نفسها يوميًا على بائعة روايات الجريمة؛ لكي تحاول حلها.

قلت، بينما أحاول المقاومة:

- لنقل إننا قررنا التحري عن الأمر، أين ستجد مديري الموقع؟ لا أحد يعرفهم.

قاطعني "فوفو" بمرح:

- يا لكِ من ساذجة يا "كاتي". لا تخبريني أنكِ تظنين – حقًا - بأن شيئًا كهذا يمكن أن يبقى سرًا في إسطنبول.

- ماذا تعني؟

- أعني أنني أعرف الصحفيين. كلَّما ذهبتُ إلى ملهى "بكيزة" رأيتهما يرقصانِ. رأيتهما أنت أيضًا. هل تتذكرين الرجل ذا الشعر البنيّ والنظارة ذات الطرف المدبب على الجانبين؟

لم يكن وصفه مفيدًا على الإطلاق، فقلت لأحثه على المتابعة:

- همم؟

واصل "فوفو":

- أقصد الرجل الذي يرقص كالمجنون. ذات مرةٍ خلع قميصه وبدأ يلوح به. إنه طويل و...

- نعم، أظنني أتذكره.

بدأت تتكون صورته في عقلي. لم أتذكر وجهًا، بل جسدًا ممشوق القوام ومفتول العضلات. أقسم إنه يقضي - على الأقل - أربعة أيام في الجيم كل أسبوع؛ ليرفع الأثقال أمام المرآة، ويشاهد عضلاته وهي تنتفخ. كيف يجد وقتًا ليكتب أخباره المكونة من سطرٍ واحد؟

قال "فوفو"، وهو يزفر:

- حسنًا، إنه هو. يقولون إنه رجلٌ طبيعيٌّ في ميوله الجنسية، لكن أظنه يخفي سرًا ما.

هذا جديدٌ علَي. لطالما ادَّعى "فوفو" أن الرجال يولدون بميول جنسية مزدوجة. إن اعتقاده هذا راسخ.

سألته:

- هل يمكنك أن تجد ذلك الرجل؟

قال بسعادة:

- بل أفضل من ذلك. ليس معي رقمه لكنني أعرف من هم أصدقاؤه، وأحدهم صديقي "تانر". ما رأيكِ؟

- أنت رائع! اتصلْ به فورًا.

شعرت فجأة بأنني مستعدة للتحري في قضية قتل، وكأنني نمرٌ مستعد للانقضاض على فريسته. لم أعد أهتم بالمكتبة أو القروض الكبيرة!

ضحك "فوفو"، وقال:

- "من شبَّ على شيءٍ شابَ عليه"، أليس هذا ما اعتدتِ قوله؟

- ولماذا يتجاهل الإنسان عاداته؟

قال "فوفو" بجدية فجأة:

- معكِ حق. لكن ماذا عن المكتبة؟ هل يمكننا الاتصال بـ"بيلين" لكي تأتي؟ ما دام ذلك الرجل يعمل بالقرب من هنا، يمكننا مقابلته بسرعة.

- سأتصل بها فوراً.

- ماذا لو لم تجب؟

- لا تقلق، لن أفوت هذه الفرصة مهما حدث.

قال "فوفو":

- نعم، يعجبني ذلك!

ooooooo

اتصلت بـ"بيلين" وأخافتها بتهديداتٍ كثيرة؛ لكي تأتي إلى المكتبة فوراً. بعد ذلك راجعت ذلك الخبر في "سكاي رات" مجدداً. وفجأة رنَّ التليفون. إنه "فوفو". قال:

- نحن مستعدون يا عزيزتي! تعالي إلى مقهى "كاكتوس كافيه" خلال خمس عشرة دقيقة. لا تتأخري! لقد بذلت ما بوسعي لأقنعه بمقابلتنا.

ooooooo

لم أخاطر بالسير في الطريق الوعر، وأخذت تاكسي فوصلت أولًا إلى "كاكتوس كافيه". عندما وصل "فوفو" منقطع الأنفاس، كنت جالسةً بالفعل إلى طاولة على

رصيف المقهى، وأقلب صفحات مجلة بينما أشرب عصير الليمون.

سحب "فوفو" كرسيًا، وهمس لي:

- أخبرتُ الرجلَ بأننا محققان خاصًّان، كما لمَّحتُ إلى أننا سنكافئه على مساعدته لنا.

- إلامَ لمحت؟! هل تظنني أملك مالًا لإهداره؟ هل تدرك أنني لم أسدد قروضي بعد؟ بالإضافة إلى الفائدة طبعًا! سأفلس إذا استمر الحال هكذا!

- هذه ليست طبيعتكِ يا "كاتي". توقفي عن الكآبة المبالغ فيها.

- حسنًا.

فكرت قليلًا، ثم قلت:

- أعاني مشاكل مادية، ولا أملك مالًا كافيًا، وأوشكت على الإفلاس، ولن أهتم للأمر! هل أنت راضٍ الآن؟

قال "فوفو"، وهو يبتسم:

- المال لا يجلب السعادة.

توقفنا عن الجدال ونظرنا إلى الصحفي الذي يقترب منا. دققت النظر في وجهه لأرى كيف تمكن "فوفو" من أن يميزه بشيء آخر بخلاف شعره البني، والنظارة مدببة الجانبين. يمكن لأي شخص أن يظنه طالبًا. لا أعرف لماذا شعرت أنه من النوع الذي ينفق ماله في حذرٍ. كرهته على الفور.

سأل:

- "فوفو" بك؟

كان يتأكد من أنه سيجلس إلى الطاولة الصحيحة، وبدا أنه يقابل "فوفو" للمرة الأولى في حياته.

قال "فوفو":

- لقد تقابلنا سابقًا في ملهى "بكيزة".

بدا منبهراً بالماركات التي يرتديها الرجل.

رد الرجل:

- لا أذهب أبدًا إلى ملهى "بكيزة" إلا إذا كنت ثملًا، فلا أتذكر الوجوه هناك.

قالها بطريقةٍ توحي بأن من يرتادون ملهى "بكيزة" لا يستحقون أن يتذكرهم أحد.

علقت دون أن أحاول إخفاء احتقاري له:

- لكننا نتذكر رؤيتك ترقص إلى الفجر. حتى إنني قلت: إن رقصك لا يُنسى أبدًا.

بدت الصدمة على "فوفو" والصحفي.

سأل الصحفي، وهو يحك سالفيه:

- ماذا تعنين؟

قلت، بينما أبعد خصلةَ شعري:

- لا شيء.

قال الصحفي في بلاهة، وهو يعدل النظارة على أنفه:

- لم نتعارف بعد.

قال "فوفو":

- هذه "كاتي هيرشيل" شريكتي في العمل.

متى أصبحنا شريكين؟! صحَّحْتُ كلامه:

- بل رئيسته في الواقع. أنا "كاتي هيرشيل".

- هل تملكين وكالة تحقيقات خاصة؟ لا أعرف لماذا يبدو اسمكِ مألوفاً.

قلت، وكأنني أملك شركة أو مجموعة شركات:

- إنه عملٌ جانبيٌّ.

سأل، وهو ينظر إليَّ مباشرةً:

- ماذا تريدان منِّي؟

لا بأس بعينيه، لونهما بنيٌّ مائل إلى الأخضر، الذي لا يتضح إلا إذا دققت النظر خلف نظارته. أفضِّل الملامح الوسيمة التي لا تتضح إلا بعد تدقيق النظر أكثر من مَرَّةٍ، مثل نبيذ "ريسلينج" الأبيض الذي لا تشعر بطعمه إلا بعد بضعَ رشفات. أنا لست خبيرة بالنبيذ، لكنني أستمتع به.

سأله "فوفو":

- هل كتبت الخبر الموجود على الموقع؟ ذلك المتعلق بـ"ساني أنكاراليجيل".

- ربما. لماذا تسأل؟

همس "فوفو" إلى الصحفي:

- هل يمكن أن يظل هذا الحديث سرًّا؟

بدا وكأنه في برنامج تليفزيونيّ عن الجرائم. جعلني أتساءل فجأة عما إذا كنت أقسو عليه بشأن لغته التركية.

علامَ ينوي؟

واصل "فوفو":

- الوضع كالآتي، نحن نقوم بالتحقيق نيابة عن عائلة "ساني أنكاراليجيل".

سأل الصحفي:

- ثم؟

- نحن نشكك في سبب وفاة السيدة المسكينة.

تنفست الصعداء على بساطة تفسير "فوفو".

- ثم؟

كرر الرجل الكلمة ثم استدار إليَّ، وقال بانتصار:

- عرفت لماذا يبدو اسمكِ مألوفًا! ألا تبيعين روايات الجرائم في "كوليديي"؟

أجبته:

- ربما. لماذا تسأل؟

تعمدت تقليد جوابه السابق.

- أعرفكِ. أنتِ صديقة "لالي" هانم، صحيح؟

تبادلت النظرات مع "فوفو" فيما واصل الصحفي:

- طلبت "لالي" هانم من فريق التحقيق لدينا جمع المعلومات من أجلكِ. قالوا إن إحدى صديقاتكِ تورطت في القضية.

قلت بندمٍ مصطنع:

- نعم، لكن تلك القضية لم تُحَل.

تم تسجيل القضية رسميًا بأنها جريمة قتل ضد مجهول.

قال الصحفي:

- ستندهشين من كمٍّ الجرائم التي تظل غامضة.

أومأت موافقة.

قال:

- سأكون صريحًا معكِ.

كدت أسأله عن اسمه لأنني بدأت أرتاح لأسلوب كلامه ولعينيه. لكنني سكت؛ لأنني لم أرغب في مقاطعته.

قال الصحفي:

- لقد دخلت هذا العمل بفضل "لالي" هانم. من المستحيل دخول مجال الإعلام دون ترشيح من شخصٍ ما. و ينطبق هذا على كل المستويات، حتى الفرّاش له واسطة من أحد أقربائه. إن الواسطة هي أسوأ جزء في مجال الإعلام. اعذري فظاظتي. كل الإعلاميين حتى أصغر صحفي، لهم واسطة من قريب أو أخ أو ابنة أو ابن. لكن "لالي" هانم لم تهتم بالواسطة قط، إنها تطالب الجميع بأداء عملهم على أكمل وجه. إنها شخصٌ نزيه، وقانونها حادٌّ كالسيف.

شعرت بالسعادة بالطبع لأنه يمدح صديقتي العزيزة. إن إعجابي بهذا الرجل يزداد مع مرور الوقت. يبدو أن انطباعي الأول أخطأ مجددًا. قلت له:

- أنت محقٌّ تمامًا.

حلتْ لحظاتٌ من الصمت. وحين أقول "صمت" أعني صمت "بايوغلو" أثناء النهار، أي لا يوجد صمت أصلًا وسط أصوات الحفارات المتواصلة مع صرخات الناس التي تخشى على حياتها بينما تسير في شارع "استقلال".

- عندما تخرجت في الجامعة في الأناضول، بدأت العمل في جريدة "جوناباكان". كنت شابًا ولا أجيد الإنجليزية. لا يمكن النجاح في مجال الإعلام دون إجادة اللغة الإنجليزية. لذلك، كانت فرصي معدومة في إيجاد أي عمل يتضمن التحدث في التليفون باللغات الأجنبية. كان أبي يقول: "من يريد ميكانيكي بذراعٍ واحدة؟". باختصار، حصلت على عمل بفضل "لالي" هانم، ولن أنسى جميلها أبدًا. لذلك بما أنكِ صديقتها يمكنكِ سؤالي عن أي شيء. سأخبركِ

بما أعرفه، وسأبحث عما لا أعرفه.

كان يتحدث مثل طالبٍ ممتن ومتحمس، يتكلم مع شخصٍ يكبره سنًّا.

سأل "فوفو"، وكأننا في حوارٍ سخيف:

- هل تعلمت الإنجليزية لاحقًا إذًا؟

نظرت لـ"فوفو" بتأنيبٍ، وقلت:

- ما علاقة هذا بموضوعنا؟

رد "فوفو":

- لا شيء. لقد قرأت حواراته مع العارضات الأجنبيات على موقع "سكاي رات"، فتساءلت لا أكثر.

- بالطبع تعلمت الإنجليزية. كما أمضيت مُدَّةً في إنجلترا؛ لكي أُحسِّن لغتي حتى أدبر أموري. لكن ساء الوضع لاحقًا. لأنهم طردوا "لالي" هانم وطردوني معها. كما أخبرتكم، لا أحد ينجو دون واسطة. على كل حال، كان أعز أصدقائي عاطلًا أيضًا، لذلك سافرنا إلى إنجلترا معًا، وأنشأنا موقع "سكاي رات" عند عودتنا. كان العمل عبر الإنترنت ما يزال جديدًا نسبيًا، وقررنا العمل على القصص المثيرة التي لا يُغطي أحدٌ أخبارها. ظللنا ندير الموقع نحن الاثنان فقط، مدة عامين، ثم انضم إلينا أخي الكبير. بدأنا بتوظيف أشخاصٍ آخرين الآن؛ لأننا لم نعد قادرين على إدارة العمل وحدنا. هذا ملخص الموضوع يا "كاتي" هانم.

بما أنه أخبرنا بكل ما نحتاج معرفته عنه، بدأت أسأله مباشرةً عما يهمنا.

- قرأنا على الموقع اليوم أن "ساني" تناولت العشاء في مطعمٍ مع شخصٍ ما. من هو؟

- "ديمير سويلو". كان محامي "جيم" بك وصديق طفولته. عرفنا ذلك من مصدرٍ آخر، وليس "ديمير" بك. على كل حال، لم ينكر الرجل تناوله العشاء معها.

- هل انتظرت توضيحًا من "ديمير سويلو" قبل نشر الخبر على الموقع؟

- لا، بل اتصلنا به بمجرد أن عرفنا الخبر وتأكدنا منه. تعتمد سياستنا على نشر عناوين الأخبار ثم كتابة التفاصيل بالتدريج لاحقًا. هكذا نضمن دخول الناس إلى موقعنا على مدار اليوم. إنه أسلوبٌ شائعٌ في صحافة الإنترنت.

- هل تعلم فيم تناقشا على العشاء؟

- لم يعطنا "ديمير" بك أي تفاصيل، لكنه قال: إن الزوجين وقَّعا اتفاقية ما قبل الزواج. كما قال إنه و"ساني" تناقشا في كيفية تنفيذ الاتفاقية على ضوء إجراءات الطلاق الجارية.

- هل كانت اتفاقيةً مالية؟

- بالطبع. كانت تشمل نفقة الطلاق ومبلغ تسوية وهكذا. وعلى الأرجح هناك ميراثٌ أيضًا. سيكون "جيم" بك هو المستفيد الشرعيّ من "ساني" هانم على كل حال.

- من سرَّب هذه المعلومة لك؟

- شخصٌ ما، كان يتناول العشاء في مطعم "شاينينج صَن" في الوقت نفسه. لكن بالتأكيد لا تتوقعين منِّي أن أكشف مصادري.

- هل تحصل على كل معلوماتك بالطريقة نفسها أم أن هذه المرَّة استثناء؟

- لا يا سيدتي، لا استثناءات. ما نفعله يُسمى بصحافة النميمة. من الواضح أنكِ لا تتابعين موقعنا أو صحيفتنا الإلكترونية. معظم أخبارنا مبنية على المعلومات التي نعرفها من أشخاصٍ رأوا زوجين يتناولانِ العشاء في الخارج أو ربما رجلًا متزوجًا يرقص مع امرأة في ملهى ليليّ.

قال "فوفو":

- من الآن فصاعدًا سأحذر أين أذهب، ومع مَنْ، وماذا أفعل. أو ربما أتطوع

لأكون صحفيًا لديك؛ إنْ أحببت.

لم يبدُ الصحفي متحمسًا بعرض "فوفو" على الإطلاق.

قال، وهو ينظر لساعته:

- يمكننا الذهاب إلى مكتبي؛ إن أحببتِ. ليس بعيدًا من هنا.. في شارع "سوساو ساكسي". يمكننا التحدث بحريةٍ أكثر هناك. كما أنه لا أحد هناك الآن، ولا أحب تركه فارغًا.

تذكرت فجأة مكتبتي التي تركتها. أتمنى أن تكون "بيلين" قد نفذت وعدها وذهبت إلى هناك.

سألته عندما لمحت النادل يقترب من طاولتنا:

- ألا تريد شرب شيء؟

قال دون تردد:

- حسنًا، سأشرب عصير ليمون.

ooooo

كان المكتب مضاءً وواسعًا. بمجرد دخولنا، ذهب الصحفي ليعد بعض القهوة. عرفت - أخيراً - أن اسمه مراد. جلست أنا و"فوفو" في مقعدين مريحين وبدأنا نتصفح بعض مجلات النميمة الملقاة على الطاولة.

أخذت مجلة مثنية الأطراف فيها صور لزفاف مبهر في قصر السلطانة "أسماء". لاحظت من بينها صورة لـ"تاماشا" و"باهري أنكاراليجيل". مكتوب على الصورة: "تاماشا" هانم، واحدة من أكثر سيدات المجتمع تأنقًا، تبهرنا بفستان بنفسجي من تصميم "فالنتينو".

أريت "فوفو" الصورة فتفحصها بعناية ثم قال، أخيراً:

- ليست نوعي المفضل. لقد بالغت في استخدام البوتوكس. أكره استخدام البوتوكس في رفع الحاجبين، خاصةً إذا كانا متصلين.

سألته بدهشة:

- كيف تعرف معلومات عن البوتوكس؟

- من صديقي الطبيب "مصطفي".

أومأت له. لقد قابلت "مصطفى" مرةً حين ذهبت إلى منزله لأصطحب "فوفو".

- إنه يجري عمليات البوتوكس. كل أطباء الجلد يقومون بها هذه الأيام. لقد شرح لي كل شيء.

سألته بينما أفكر في استشارته يومًا ما:

- هل تُجدي هذه العمليات نفعًا؟

- يسعى "مصطفى" لعمل مظهرٍ طبيعي في الوجه، ولا يقوم بعمل ماسكات مثل التي في الصورة.

- أخبرني، لماذا يرفع الناس حواجبهم؟

استخدم "فوفو" يده" للتوضيح وهو يقول:

- لأنكِ حين ترفعين حواجبكِ هكذا، تضيق المنطقة حول العينين. لهذا ترين الكثير من الناس بحواجب مقوسة.

عندما عاد مراد، كنا مشغولين بالمجلات. قال وهو يسحب كرسي مكتب بعجلات.

- من فضلكم اسألوني أي شيء تريدان معرفته.

هذه المرّة لم أسمح لـ"فوفو" بفتح فمه.

- في الواقع، لا نعرف شيئًا عما حدث. نعلم فقط ما قرأناه في الصحافة.

سأل مراد:

- هكذا إذًا؟

بدأت أقرض أظافري، فنظر "فوفو" إليَّ بأمرٍ صامت لكي أبعد يدي عن فمي. فليحفظه الله، إنه مثل أمي. لكنني تجاهلته وواصلت قرض أظافري. لماذا يجب أن أطيع ذلك الأحمق "فوفو"؟

قال مراد:

- قلتما إن عائلة "ساني أنكاراليجيل" وظفتكما للتحري عن الأمر.

- ليس تمامًا. لم يوظفنا أحد. لكننا كنا نعرف "ساني أنكاراليجيل"، أو على الأقل اعتدنا رؤيتها يوميًا تقريبًا.

- لا أفهم ما تقولانه.

قلت:

- هناك مطعمٌ صغير في "تونيل" حيث نتناول الغداء. كل أصنافهم طبخ بيتي. الطعام بسيط ولا يوجد اختيارات كثيرة في القائمة، لكنه لذيذ.

أدركت فجأة أنني جائعةٌ جدًّا، لكنني واصلت:

- تتزامن استراحة الغداء لدينا مع وقت الغداء لدى "ساني" هانم، وإن كانت لم تأكل سوى السّلَطة في كل مرّةٍ. رأيناها كثيراً لكن لم نعرف من هي إلا عندما رأينا صورتها في الجريدة.

قال "مراد"، وهو يتحرك بكرسيه:

- هل هذا كل شيء؟

- نعم.

- اعذري فضولي، لكن ما سر اهتمامكِ بالموضوع؟ أعني ما دامت العائلة لم تتصل بكِ، فلماذا تشغلين نفسكِ؟

عبس "فوفو" وحرك شفتيه ليقول بصمتٍ وهو يسخر مني "أحسنتِ!".

قلت:

- للسبب نفسه الذي لديك: الفضول.

ضحك "مراد" في مرح، وتمتم "فوفو" بعدما استمد الشجاعة من ضحك "مراد":

- يقول المثل: "قتل الفضول القطة".

- في هذه الحالِ، لنرى ما أستطيع تقديمه لكما. لكن لنشرب القهوة أولاً.

خرج "مراد" وعاد بسرعة حاملاً صينية عليها أكواب القهوة. كانت سيئة الطعم وكأنها قطران. تركتها بعد رشفتين فقط. نظرنا أنا و"فوفو" إلى "مراد" بينما يأخذ قهوته ويجلس خلف المكتب.

- أبحث عن بعض الملفات عن أشخاصٍ نعتبرهم جديرين بنشر أخبارهم. نبحث في المجلات غير المنشورة على الإنترنت. وما نجده نافعًا نضعه في الأرشيف. مثل زواج "ساني" هانم من "جيم أنكاراليجيل". بالمناسبة، لديها مكتب في الطابق الرابع في "مركز تونيل التجاري". لذلك لم يكن غريبًا أن تروها في تلك الأنحاء. ولِدت في 1974 في قرية "كاياجيك" في ضواحي بلدة "لوليبورجاز". اسم أسرتها "كايا"، وكانوا يعملون بالزراعة. ذهبت إلى مدرسة القرية الابتدائية حيث أظهرت تفوقًا ملحوظًا، أرسلوها لتواصل المرحلة الإعدادية في إسطنبول حيث عاشت مع عمها. بعد ذلك دخلت القسم العلميّ في المرحلة الثانوية ثم درست الهندسة الصناعية في جامعة إسطنبول للتكنولوجيا وتخرجت. كوفئت بمنحة في الولايات المتحدة حيث حصلت على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد. من الواضح أنها قابلت "جيم أنكاراليجيل" هناك، وعادا معًا إلى تركيا في 2003. تولى "جيم" عمل والده، وبعد بضعة أشهر تزوج "ساني" على الرغم من

اعتراض عائلته. عارضت والدته "تاماشا" الزواج وأعلنت تصريحًا لفت انتباهنا، لأن هذه العائلة نادرًا ما تتحدث إلى الصحافة.

أبعد "مراد" عينيه عن الشاشة لينظر إلينا بينما يواصل:

- هناك نوعان من الناس في المجتمع؛ الأول: يتحدث باستمرار، والآخر: لا يسمح بأي حوارات، ونادرًا ما يقبل دعوات، ولا يريد لأحد أن يعرف عنه شيئًا. تنتمي "تاماشا" للنوع الثاني. تختبئ من الإعلام دائمًا، لكن في تلك المناسبة بالذات أعلنت تصريحًا عن زواج ابنها.

سأل "فوفو":

- ماذا قالت؟

قال "مراد":

- ماذا قالت؟! جملة واحدة: "سنية هانم شخصٌ رائع بالتأكيد، لكنها لا تناسب عائلتنا". هذا ما قالته.

- "سنية" هانم؟

- نعم، "سنية" هانم. اسم "ساني" مجرد اسم دلع.

ابتسم "فوفو"، وهو يقول:

- مثل اسم "كاتي".

قلت:

- لأن اسم "كاترينا" طويل وصعب النطق، أما اسم "سنية" فليس كذلك.

قال "مراد":

- اسم "سنية" لا يناسب المجتمع الراقي، فهو يبدو ريفيًا. أما "ساني" فأكثر عصرية.

قال "فوفو":

- ليس عصريًا بل منتشرًا. لكن دعنا لا ننشغل بالاسم. ماذا عنت "تاماشا" هانم عندما قالت إن "سنية" لا تناسب العائلة؟ لماذا يتكبر هؤلاء الأثرياء؟

- لم تكن فقط مسألة ثراء بالطبع. "تاماشا" هانم هي سليلة من الجيل الرابع لنسل الوزير الأعظم "عبد الله" باشا. عائلتها عريقة جدًّا. والدها هو العالم العظيم البروفيسور "لطف الله مسيرلي" الذي أسس أول كلية لطب أمراض النساء في تركيا، وأصبح لاحقًا وزيرًا للصحة. بعد طلاق والديها، تم إرسال "تاماشا" هانم إلى مدرسة داخلية كاثوليكية في سويسرا. تجيد الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية. كما أنها من هواة جمع التحف. وبالطبع هي ليست من محدِثي الثراء، إن كان هذا ما تظن.

علقت قائلة:

- أظنك تتعاطف مع "تاماشا" هانم إلى حدٍّ ما.

- تعاطف؟ لا، لكنني أظنها مميزة. ليست المرأة التي ترينها محملة بمشتريات من الماركات العالمية أو مطاردة من الصحافة الصفراء. العالم مليء بأمثال "باريس هيلتون"، لكن "تاماشا" هانم تدهشني باختلافها.

سألته:

- ماذا حدث إذًا؟ هل قطعت "تاماشا" هانم علاقتها بابنها بسبب هذا الزواج؟

- لا، لا أظن ذلك. لكنها لم تتحدث مع الصحافة مجددًا. ربما اتفاقية ما قبل الزواج أراحت بالها. وربما أدركت أنهما يحبان بعضهما حقًّا، وأنها لن تستطيع تغيير رأي "جيم". أيًّا كانت أسبابها، لقد قالت ذلك التصريح فقط ثم صمتت. لكن بما أنهما كانا على وشك الطلاق، فأظن أنها كانت تتلاعب بابنها. تعرفان قوة العلاقة بين الأمهات والأبناء.

قلت:

- تمامًا! خاصةً العلاقة بين الأمهات الأتراك وأبنائهن.

أحد أسباب بقائي في إسطنبول هو أن والدة حبيبي لم تتقبل فكرة سفر ابنها إلى خارج البلاد مع امرأة أجنبية. ظلت المرأة المسكينة حتى يوم وفاتها تحاول تفريقنا، ثم توفيت قبل أن ترانا متفرقين.

سألت:

- ماذا كانت تعمل "ساني" هانم؟ أعني ما عمل مكتبها في "تونيل"؟

قال "مراد" بتجهم، ربما بسبب الغيرة:

- لا يعرف الأثرياء ماذا يفعلون بأموالهم. كان "جيم" يمارس رياضاتٍ خطيرة مثل: القفز بالحبل عن ارتفاع، والتزلج، وتسلق الجبال، وهكذا. أظن أن "ساني" حاولت مجاراته. تعرفان طريقة "ما دمت تستطيع فعلها، فأنا أيضًا أستطيع".

- هل تعني أنها كانت تنظم رحلات للرياضات الخطيرة في مكتبها في "تونيل"؟

- رحلات؟ لا، لا! كانت "ساني" تنظم رحلات للمهتمين بقضايا البيئة. أنشأت مؤسسة بيئية تسمى "جريتور" لمكافحة التلوث في "تراقيا".

- هذا ممتع. هل حققت نجاحًا؟

- هل سمعتِ عما حدث لحوض نهر "إرجين"؟

- بالطبع. كان هناك مصانع وورش لدبغ الجلود تستخدم وسائل تنظيف ضارة، مما سبب قذارةً لا تطاق، وتدميراً لتربة زراعية عالية الجودة.

قال "مراد":

- حسنًا، على الأقل حققت "ساني" شيئًا. منذ بضع سنين، كانوا بالكاد يضعون منطقة حوض نهر "إرجين" على الخريطة.

2

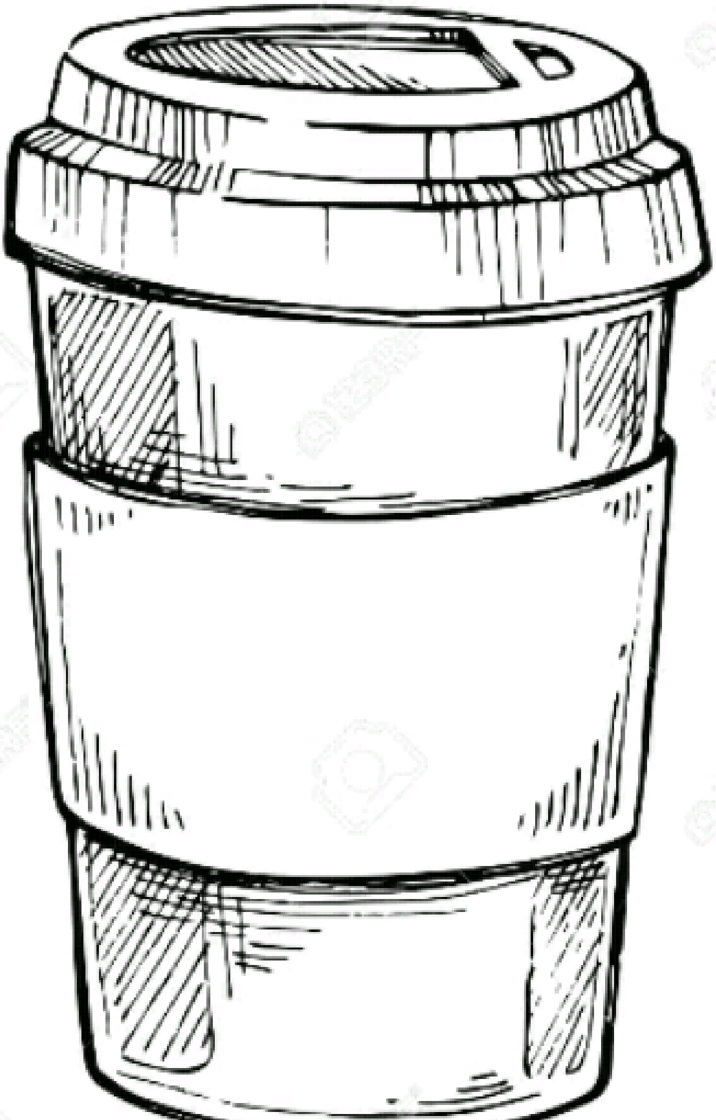

بمجرد أن غادرنا مكتب "مراد"، اتصلت بالمكتبة لأتأكد من وجود "بيلين". قالت إن مجموعة من الأسبان كانوا هنا واشتروا كل مخزوننا من روايات الجرائم الإسبانية.

قلت:

- "فوفو"! لقد فاتك فوجٌ من السياح الأسبان الذين جاؤوا للمكتبة.

يحب "فوفو" استغلال الفرص للتحدث إلى أبناء وطنه.

- لا تشغلي بالكِ بالسياح الأسبان. ما رأيكِ في "ساني"؟

- ماذا أقول؟ الأمر مثير. إنها مهندسة صناعية وحاصلة على دكتوراه من أمريكا. كان يمكنها تحقيق مسيرةٍ مهنيةٍ مذهلة، لكن...

- تزوجت من عائلة "أنكاراليجيل". ربما لم ترغب في العمل لصالح شركة منافسة، لكن في الوقت نفسه، لم ترغب في العمل تحت إمرة زوجها.

- هذا مرجح.

بصراحة، كنت مهتمة بمعدتي الفارغة أكثر من "ساني أنكاراليجيل".

- ما رأيكِ في الذهاب إلى مكتبها؟

- دعنا نأكل شيئًا في الطريق.

قال "فوفو" في إصرار:

- سنستغرق دقيقتين فقط. لن يضركِ دقيقتان من الجوع.

- حسنًا، لكن لنتجنب الطريق الرئيسية ونذهب عبر الطرق الجانبية.

قال صديقي العزيز وهو يسحب كُمَّ سترتي الكشمير:

- هل تظنين حقًّا أن الطرق الجانبية أفضل؟ على الأقل إذا جاءت شاحنة في الطريق الرئيسي ستجدين مساحة لتفاديها. هيا بنا!

مركز "تونيل" التجاري يشبه المتاهة، تهنا مرتين في الممرات المظلمة قبل أن نجد مكتب "جريتور".

- أتساءل عن معنى "جريتور GreTur".

- ربما اختصار لمصطلح "Green Turkey"، أي "تركيا الخضراء" مثلًا.

علق "فوفو":

- أنتِ ذكية.

هل يسخر منّي؟

بعدما مررنا بصفوفٍ من الأبواب البنية، وصلنا أخيراً إلى واحدٍ منها مكتوب عليه "جريتور".

قلت في سخط:

- كان علينا تناول بعض الطعام أولاً. على كل حال، لقد وجدنا المكتب. والآن ماذا؟

- هل تعرفين كم مرة قام البروفيسور "لانجدون" بتناول الطعام في رواية "ملائكة وشياطين"؟

- كيف لي أن أعرف؟ هل تظن أنني أنتبه لعدد المرات التي يتناول فيها أبطال روايات "دان براون" طعامهم ؟!

- يشرب الكاكاو الساخن في الصفحة الثالثة، ويتناول وجبته الأولى في الصفحة 710. هناك الكثير من الصفحات التي لا تذكر حتى الجوع. لقد قفز الرجل بالمظلة من الطائرة بمعدةٍ فارغة. هذا العمل يتطلب انضباطاً وعمليةً.

اعترضت قائلة:

- حسنًا، لكنني لا أتبع مبدأ حرمان الذات، الصارم.

قال "فوفو":

- ولا البروفيسور "لانجدون". والآن رني الجرس؛ لننتهي من الأمر.

مددت يدي إلى الجرس لكنني أوقفتها في الهواء، وهتفت:

- هذا ما كان ينقصنا!

لكزت "فوفو" ليتراجع. تغيرً تعبيره من الدهشة على ترددي الواضح إلى الإدراك والصدمة، وذلك حين رأى قفل الباب مكسورًا ومتدليًا بلا نفع.

همست له:

- أحدهم جاء قبلنا.

رد "فوفو" هامسًا:

- ألم أخبركِ؟

- بماذا؟

- أن الأمور ستزداد إثارة.

قررت ألا أجادله، وطرقت الباب.

انفتح بقوةٍ وظهرت شابة عيناها حمراوان من البكاء. بدت كما لو أنها كانت تنتظر وصول أي شخص. افترضت مباشرةً أنها السكرتيرة، لكنني تساءلت – لاحقًا - لماذا تسرعت في استنتاج ذلك؟ ربما شعرت أن وجودها هنا مؤقت، وأنها لا تنتمي حقًا إلى المكان. كان بها شيءٌ غريب. لم تبد من أصحاب المكان، وكذلك لم تبد مديرة على الإطلاق. كونها تبدو ضيفة في مكان عملها ليس الأسلوب الأمثل لتتقدم في مسيرتها المهنية. الوضع يختلف في مكتبتي، لأن موظفي مكتبتي متوغلون في العمل جدًا لدرجة تجعلني أبدو فردًا إضافيًا في المكان. لكن هذه مسألة أخرى.

حالُ المكتب تبدو مبشرة أكثر من حالِ الموظفة نفسها. هناك ملفات وأوراق ومجلدات وأدوات مكتبية مختلفة مبعثرة على الأرض. نظرت المرأة إليَّ وكأنها تتوقع منِّي قول شيءٍ ما.

تنحنحت – استعدادًا - لقول كذبةٍ بيضاء صغيرة.

- أتينا لنسجل عضويتنا في "جريتور".

نظرت حولي؛ وكأنني لاحظت للتو الفوضى التي تعم المكان، وسألتها بقلقٍ مصطنع:

- ماذا حدث هنا؟

قالتِ المرأةُ:

- ظننت أنكما من الشرطة.

حتى أبسط موظف كان سيدرك أنني و"فوفو" لسنا من الشرطة. وبالطبع، هذا ليس فقط بسبب مظهرنا.

قالت:

- أنا في انتظار الشرطة. غير مسموحٍ لنا بلمس أي شيء.

قال "فوفو":

- يبدو الوضع كاقتحام. لكن ماذا يمكن أن يُسرق من المكتب؟

- ماذا تظن؟ لقد أخذوا أجهزة الكمبيوتر.

قلت بمكر؛ لكي أحث المرأة على الكلام:

- كان هناك رجل أمن في الأسفل حين دخلنا المبنى. ألا توجد وردية حراسة ليلية؟

- لا أعرف إن كان الاقتحام قد حدث نهارًا أو ليلًا. لم نفتح المكتب يوم السبت؛ لأنه يوم جنازة مديرتنا - رحمها اللهُ.

قلت، بتعاطف:

- لماذا تأتي المصائب دفعةً واحدة؟

سأل "فوفو" في براءةٍ مصطنعة:

- هل كانت رئيستكِ كبيرة السن؟

كتمت ابتسامتي بصعوبة.

ردتِّ المرأةُ:

- لا، بل كانت شابة. لابد أنك قرأت عنها في الجرائد؛ إنها "ساني أنكاراليجيل".

قال "فوفو":

- نعم بالطبع، تعازيِّ الحارة. لقد اخترنا أسوأ وقت لتسجيل عضويتنا.

- لا نقبل عضويات على كل حال.

قال "فوفو":

- ماذا تعنين؟ كل المؤسسات تسعى لزيادة العضويات، وجمع الاشتراكات، وتشجيع الأعضاء على التنافس مع بعضهم لصالح الأعمال الخيرية، مثل تنظيم حفلات عشاء أو حفلات شاي أو بيع جوارب يدوية الصنع وطرابيش أباجورات صناعة منزلية.

قاطعت ثرثرة "فوفو" السخيفة، وسألتها:

- لماذا لا تقبلون عضويات؟

- هناك ثلاث سيدات يعملن هنا. "ساني" هانم هي الرئيسة، و"إيلين" هانم هي النائبة، وأنا أجيب على التليفونات وأتولى البريد. أعني أعمال المكتب المختلفة كما تعرفان.

- نعم، لكن هذا لا يفسر لماذا لا تقبل مؤسستكم الأعضاء.

قالت بحسم، كمن يريد إنهاء الموضوع:

- هكذا أخبروني.

- هل كانت رئيستكِ كبيرة السن؟

كتمت ابتسامتي بصعوبة.

ردتِّ المرأةُ:

- لا، بل كانت شابة. لابد أنك قرأت عنها في الجرائد؛ إنها "ساني أنكاراليجيل".

قال "فوفو":

- نعم بالطبع، تعازيِّ الحارة. لقد اخترنا أسوأ وقت لتسجيل عضويتنا.

- لا نقبل عضويات على كل حال.

قال "فوفو":

- ماذا تعنين؟ كل المؤسسات تسعى لزيادة العضويات، وجمع الاشتراكات، وتشجيع الأعضاء على التنافس مع بعضهم لصالح الأعمال الخيرية، مثل تنظيم حفلات عشاء أو حفلات شاي أو بيع جوارب يدوية الصنع وطرابيش أباجورات صناعة منزلية.

قاطعت ثرثرة "فوفو" السخيفة، وسألتها:

- لماذا لا تقبلون عضويات؟

- هناك ثلاث سيدات يعملن هنا. "ساني" هانم هي الرئيسة، و"إيلين" هانم هي النائبة، وأنا أجيب على التليفونات وأتولى البريد. أعني أعمال المكتب المختلفة كما تعرفان.

- نعم، لكن هذا لا يفسر لماذا لا تقبل مؤسستكم الأعضاء.

قالت بحسم، كمن يريد إنهاء الموضوع:

- هكذا أخبروني.

- ألم تسألي عن السبب؟

قال "فوفو" في نبرة تهديد:

- عدم قبول المنظمة بأي أعضاء يعتبر غير قانونيّ.

نظرت المرأة بحدةٍ إلى "فوفو" ثم إليَّ قبل أن تنهار على الكرسيّ. أفزعها احتمال قيام المنظمة بأعمال غير قانونية. لكن رد فعلها بدا ساذجًا ومبالغًا فيه في القرن الواحد والعشرين.

- لا أعرف ماذا أقول. أنا في حالٍ من الفوضى منذ أمس، هل تمانعان القدوم لاحقًا؟

قلت بتعبيرٍ بريء:

- يمكننا الانتظار معكِ حتى وصول الشرطة إن كنتِ لا تفضلين البقاء وحدكِ هنا...

أشرق وجه المرأة ثم انهارت بالبكاء، وهي تقول:

- حقًا؟ لديَّ صداعٌ فظيع. أشعر بالخوف من أن يظنوا أنني الفاعلة. لا أحد يملك مفتاح المكتب غيرنا نحن الثلاثة.

سألت:

- هل تقصدين "ساني" و"إيلين" وأنتِ؟

أومأت.

- لكن المقتحمين لم يستخدموا المفتاح، بل حطموا القفل. لماذا سيشك بكِ أي شخص؟

تلك المرأة في غاية المكر. إنها تجيد التمثيل بإقناع.

قالت بإشراق:

- أنتِ محقة. لم يدخلوا بمفتاح، لذلك لا سبب يجعلهم يظنون أنني الفاعلة. هؤلاء الأثرياء يجعلونني أشعر بالذنب دائماً. يتصرفون دائماً على أساس أنك ستسرق ما لديهم وتهرب لمجرد أنك لا تملك ما يملكونه. لا أعرف لماذا شعرت بالذعر حين رأيت أن المكان تعرض للاقتحام.

قال "فوفو"، وهو يربت على كتفها:

- من الواضح أنه لا صلة لكِ بالأمر، لذلك لا تقلقي. لكنني أفهم تمامًا ما تقصدين. إن رئيستي تتحكم في حياتي بقبضةٍ حديدية.

قالت السكرتيرة:

- إن رؤساء العمل السيدات بشعات.

رائع! إنها لا تكره الأغنياء فقط بل السيدات أيضًا.

سأل "فوفو" محاولًا الحصول على معلوماتٍ منها:

- هل طلبت رئيستاكِ منكِ عدم قبول العضويات؟

- نعم. لكنهما على حق، بغض النظر عن رأيك. لقد عملت في منظماتٍ أخرى، وأعلم كيف يبدو الوضع. يأتي الأصدقاء والأقرباء ويريدون عمل تغييراتٍ في العمل. في البداية يسجلون عضوياتهم ثم فجأة يصبحون أغلبية ويطيحون بمجلس الإدارة لكي يتولوا العمل بأنفسهم.

علقت قائلة:

- مثل الأحزاب السياسية.

لم تفهم السيدة قصدي، فاستدرت إلى "فوفو" وواصلت:

- الأعضاء ينتخبون النواب، والنواب ينتخبون رئيس المجلس. عندها يحيط الرئيس نفسه بالنواب الذين يدعمونه، فيضمن وجوده في المنصب حتى وفاته.

هكذا يحتفظ الأشخاص غير الجديرين بمناصبهم.

قالت المرأة:

- نعم، هكذا تسير الأمور. ما من طريقةٍ أخرى.

- ماذا كانت تحتوي أجهزة الكمبيوتر التي سرقت؟

- كل شيء. كنا نحتفظ بكل شيء على الكمبيوتر.

- أي شيءٍ بالضبط؟

- قوائم بالمصانع والورش التي تلوث حوض نهر "إرجين"، وخطابات إلى ملاك المصانع، والتماسات إلى محامين. كانت "ساني" هانم تستعد لرفع قضايا على الكثير من المصانع، وذهبت للتحدث إلى القرويين، أحياناً مرتين في الأسبوع. إن والدها وأختها يعيشان هناك وهما مدافعان عن البيئة أيضًا. لقد بذلت جهدًا كبيراً في سبيل ذلك.

- إذًا، كانت أسماء وعناوين القرويين الذين ساعدوها على أجهزة الكمبيوتر.

أومأت.

- هل كان إقناع القرويين صعبًا؟

- كان هذا أصعب جزء. لقد تربّت "ساني" هانم هناك وعلى الرغم من ذلك كانت مهمتها شاقة. فالقرويون إما غير مهتمين أو غير مستعدين لأن أطفالهم يعملون في المصانع ويكسبون رزقهم منها. لا يريدون حربًا مع صاحب المصنع حتى لو تضررت أرضهم ومعداتهم الزراعية. إنهم محقون بالطبع إن فكرتما بالأمر، فالأثرياء يربحون دائماً.

- من المحامي الخاص بالمنظمة؟

- كان "رمزي" بك، زوج "إيلين" هانم، هو من سيتولى الأمر من الناحية القانونية. كما قلت، "إيلين" هانم هي نائبة الرئيسة.

- أظن أن "إيلين" هانم ستأتي اليوم بما أنه حدث اقتحامٌ للمكان، صحيح؟

- لا، لن تأتي. لقد سافرت بعد الجنازة. أخبرت "رمزي" بك عن الاقتحام، لكنه مشغول ولن يأتي على ما يبدو.

- ما لقب عائلة "إيلين" هانم؟

- "أكوز". "إيلين" هانم هي من عرّفت "ساني" هانم بزوجها. سمعتهما تقولان ذلك ذات مرة. عندما كان والد "إيلين" هانم يعيش في أمريكا.

توقفت عن الكلام حين لمحت اثنين من رجال الشرطة بالزي الرسميّ.

نظر الشرطيان إلينا وكأننا مشتبهٌ بهما. ثم سأل الشرطي القصير:

- هل اتصلتم بالشرطة؟

قال الشرطي الآخر:

- ما هذه الفوضى! لديكِ الكثير من العمل هنا يا مدام.

أظنه يقصدني أنا بكلمة "مدام"، لكنني تجاهلته.

قالت السكرتيرة، وهي تنهض بسرعة من كرسيها:

- أنا من اتصل. لقد حدث اقتحام.

- يؤسفني سماع ذلك. ماذا سرق المقتحمون؟

- سرقوا أجهزة الكمبيوتر، وعبثوا بالملفات، وبعثروا كل شيء. لذلك من المستحيل تحديد الموجود والمفقود.

- هل كان يوجد مالٌ أو ذهب؟

- لا. ما نفع المال أو الذهب هنا؟! هذه منظمة.

- أي نوعٍ من المنظمات؟ أنا لم أسمع بها من قبل.

- نحن منظمة بيئية تحارب التلوث البيئي.

قال الشرطي القصير، وهو يضع يده على فمه؛ ليخفي ابتسامةً ساخرة:

- لا أقصد أي إهانة، لكن أليس من الأفضل لو حاربتم الفقر وأجلتم قضية تلوث البيئة قليلًا؟

قالت السكرتيرة برسميةٍ:

- كل شخصٍ يهتم بشؤونه. لكنني أكسب رزقي بالعمل هنا.

من الواضح أنها توافقه ضمنيًا. كل تصرفاتها توحي بأنها تعتبر قضايا البيئة مجرد تسلية للأغنياء.

قال الشرطيُّ الطويل:

- يجب على المسؤول عن المكان أن يأتي إلى قسم الشرطة ليقدم بلاغًا. بعد ذلك سيأتي رجال المعمل الجنائيّ لرفع البصمات. لكن لا تأملي كثيراً، فنادرًا ما نحصل على نتيجة.

قال الشرطي الآخر في سخرية:

- معظم المقتحمين يأخذون حذرهم بارتداء القفازات.

تجاهلت نيتي في البقاء صامتة، وقلت:

- هناك شيءٌ غريب. ربما تحمل أجهزة الكمبيوتر دليلًا على جريمة قتلٍ محتملة.

سأل الشرطي القصير السكرتيرة:

- هل تلك السكرتيرة تعمل هنا أيضًا؟

لسببٍ ما، لم يسأل أحد عن هُويتي حتى الآن. قلت:

- جئت لتسجيل عضويتي في المنظمة.

سأل الشرطي:

- هل أنتِ مدافعة عن البيئة؟

- نعم.

نظر إليّ الشرطيان بتفهم، وكأن هذا يوضّح كل شيء. ثم سأل الشرطي القصير السكرتيرة:

- عن أي جريمة قتل تتحدث السيدة؟

قالت المرأة بدهشة:

- لا أعرف أي جريمة قتلٍ تقصد.

صححت لهما:

- قلت جريمة قتلٍ "محتملة". هذا هو مقر المنظمة التي كانت ترأسها المرحومة "ساني أنكاراليجيل".

- "أنكاراليجيل"؟ هل تقصدين عائلة "أنكاراليجيل" عمالقة الصناعة؟

- إنها زوجة ابنهم. قالت الصحافة يوم الجمعة إنهم وجدوا جثتها في بيتها.

تبادل الشرطيان النظرات ثم نظر إليَّ الشرطيُّ القصير وكأنه يقول "فهمت!" بينما أخرج الآخر تليفونه المحمول وقال:

- أنا الشرطي "جوندوز". أعطني المأمور.

اشتدت لهجته الجادة بينما يواصل:

- صباح الخير أيها المأمور. ذهبت مع الشرطي "سيركان" إلى مسرح الجريمة يا سيدي. لقد هرب الجناة... نعم يا سيدي. لكن هناك مسألة أود مناقشتها معك يا

سيدي. هناك سيدة...

استدار إليَّ ليسألني:

- ما اسمكِ يا سيدتي؟

- "كاتي هيرشيل".

أتساءل كيف تورطت مجدداً في هذه الأمور.

- آنسة "كاتي هيرشيم".

صحَّحْتْ له:

- بل "كاتي هيرشيل".

لوح الشرطيُّ بيده، وكأنه يقول إن هذا لا يهم.

- تقول إن مسرح الجريمة هنا هو مكتب "ساني أنكاراليجيل" التي وجدوا جثتها في بيتها. إنه مقر لمنظمة بيئية.

استدار للسكرتيرة وسألها:

- ما اسم المنظمة؟

أجابت السكرتيرة:

- "جريتور GreTur"، اختصار "Green Turkey".

كرر الشرطي:

- اسمها "جريتور GreTur"، اختصار "Green Turkey" يا سيدي. لقد سُرقت أجهزة الكمبيوتر يا سيدي، وربما بعض الملفات أيضًا. هناك موظفة واحدة هنا يا سيدي.

توقف عن الكلام وأومأ وكأنه يقف أمام رئيسه مباشرةً ويتلقى منه تعليماته، ثم

قال:

- نعم يا سيدي. سنفعل يا سيدي.

أغلق الشرطي الخط وقال:

- سيخبر المأمور الضباط المسؤولين عن التحقيق في وفاة "ساني أنكاراليجيل". علينا البقاء هنا لحين وصولهم.

قال "فوفو" بقلق:

- حتى نحن؟

لم أسمع حرفًا منه منذ فترة واشتقت لصوته.

كرر الشرطي "سيركان":

- علينا جميعًا الانتظار هنا.

- هل يمكنني إزالة الأوراق عن هذا الكرسيّ لأجلس عليه؟

قال الشرطيان في آنٍ معًا:

- ممنوع لمس أي شيء.

قالت السكرتيرة، وهي تقدم لي كرسيها:

- آسفة، لم أنتبه. يمكنكِ الجلوس هنا. سأطلب بعض الشاي.

قلت:

- إن كان لديهم ساندويتشات محمصة، هل يمكن أن تطلبي لي بعضًا منها؟ إنها على حسابي بالطبع. متى سيصل الضباط الآخرون؟

قال "جوندوز":

- سيستغرقون بعض الوقت.

oooooo

وصل الضباط الذين يحققون في وفاة "ساني أنكاراليجيل" بعد ساعة كاملة. انتظرنا في صمت وحاولنا ألا نلمس شيئًا. بين لحظةٍ وأخرى تنظر السكرتيرة إليَّ وكأنها تريد سؤالي عن شيءٍ ما، لكن حين أنظر إليها تستدير بعيدًا وتواصل النظر عبر النافذة. هل لأنها لم ترغب في التحدث أمام الشرطة؟ أم هناك سببٌ آخر؟

بالنسبة إليَّ، أمضيت الوقت في مشاهدة الشرطيين وهما يدخنان في شراهة. أقلعت عن التدخين منذ ثمانية أشهر، لكن لم أستطع أن أقرر إن كنت سأطلب منهما سيجارة أو سأقنع نفسي بأن التدخين لن يعالج الملل الذي أشعر به. للأسف، لم أضع كتابًا في حقيبتي حين خرجنا مسرعين من المكتبة.

عندما كاد صبرنا ينفد، رن الباب فجأة.

أوه لا!

هل من حسن أم سوء حظي أنه من بين كل محققي جرائم القتل في إسطنبول يكون هذا الشخص هو المسؤول عن القضية؟

إنه "باتوهان".

لم أره منذ أربع سنوات، لكنه يبدو وسيمًا كالعادة. شابت بعض الشعيرات في سوالفه، وهذا طبيعي. برزت بطنه قليلًا. الأتراك المسلمون يرتدون خاتم الزواج في اليد اليمنى، أما الأتراك العلمانيون فيلبسونها في اليد اليسرى. لذلك نظرت إلى يديه؛ لأعرف إن كان قد غيَّر ملته. فلم أجد خاتمًا في يديه.

قال، وهو يضحك بصوتٍ عالٍ:

- أنتِ هنا - أيضًا - يا "كاتي" هانم. لقد سبقتنا إلى حادثةٍ أخرى في منطقة

"تونيل".

نظر إلينا "فوفو" والشرطيان والسكرتيرة بدهشة.

سأل "فوفو":

- هل هذا هو المأمور "باتوهان"؟

أجاب "باتوهان":

- رئيس قسم المباحث الجنائية.

قلت:

- لقد ترقيت إذًا. مباركٌ لك.

بما أنني مَنْ حلَّ الجريمتين السابقتين اللتين تعاونت معه فيهما، أشعر أنني بالفعل أحد أفراد الشرطة. ربما كنت سأحصل أنا أيضًا على ترقيةٍ كبيرة في مديرية الشرطة الآن.

لنفترض أنني ترقيت، ما الفائدة؟ هل كنت سأصبح أكثر سعادة؟ لا أظن. لن أنسى أبدًا غارات الشرطة في برلين، عندما حاولوا إخراجنا من بيوتنا. مع ذلك عليَّ الاعتراف أن "باتوهان" استثناء.

كل ضباط المباحث الجنائية مختلفون على كل حال. حتى في الأفلام تجد بوضوحٍ أن الضباط الأذكى والأكفأ هم المرشحون لهذا القسم.

قال "باتوهان":

- لم تتغيري قط. لا بد أنه مضى أكثر من ثلاث سنوات على آخر لقاءٍ لنا.

- أظن ذلك.

استدار "باتوهان" إلى الشرطيين، وسألهما:

- هل أنتما من قسم شرطة "كاراكوي"؟

قال "جوندوز":

- نعم يا سيدي.

- أرسلا تقريركما إليَّ. أما الآن عودا لعملكما.

ثم نظر إلى "فوفو" والسكرتيرة، وسأل:

- هل تعملان هنا؟

وضعت يدي على كتف صديقي وكأنني أثبت ملكيته لي، وقلت:

- "فوفو" يعمل في مكتبتي.

قالت السكرتيرة بوجهٍ شاحب:

- أنا أعمل هنا.

- ما صلتكِ بهذه الجريمة يا "كاتي"؟

- لا صلة أبدًا. لقد قرأنا عنها في الجريدة.

- قرأتِ عنها في الجريدة وقلتِ لنفسكِ: "ها، سأكتشف السر. إنها جريمة قتلٍ أخرى تنتظرني؛ لكي أحلها". أليس كذلك؟

سألتنا السكرتيرة:

- لم يتحدث أحد عن جريمة قتل. لقد كانت حادثة، صحيح؟ "ساني" هانم انزلقت فحسب. أليس كذلك؟

تظاهر ثلاثتنا بأننا لم نسمعها.

أمرنا "باتوهان":

- انتظروا في الخارج جميعًا. سأتحدث معكم بعدما ننهي عملنا هنا.

قلت:

- لم نلمس شيئًا.

- ربما. لكنكم سرتم في المكان وشربتم الشاي وفتحتم النوافذ ودخنتم السجائر، إلخ.

قلت:

- لقد أقلعت عن التدخين.

خرجنا، وأطل "باتوهان" برأسه في الممر ليستدعي ثلاثة رجال يرتدون سترات مكتوب على ظهرها "المعمل الجنائي".

ooooo

وقفنا صفًا في الممر المظلم للمركز التجاري، وكأننا مشتبهٌ بهم.

سألتني السكرتيرة همسًا:

- لماذا تظنين أن "ساني" هانم قُتلت؟

- لم أقل إنها قُتلت، بل قلت ربما قُتلت. هناك فرقٌ كبير.

- حسنًا، لكن لماذا قلتِ ذلك؟

- إنه مجرد احتمال، فلماذا أنتِ منزعجة؟

قالت:

- لأنني أحببت "ساني" هانم. شئ بشع أن تكون قد قُتلت. بالطبع أنا منزعجة.

لم تكن موظفة مظلومة، بل كانت على وفاقٍ تام مع رئيستها. يبدو أن مهارتي

في تقييم الشخصيات ضعيفةٌ اليوم.

جاء "باتوهان" حاملاً مفكرة صغيرة، وسأل السكرتيرة:

- ما عملكِ في المنظمة؟

- أنا السكرتيرة. أجيب على المكالمات والبريد.

تحدثت المرأة المسكينة وكأن عملها سكرتيرة في غاية الأهمية، في حين أن كل ما تفعله هو الرد على المكالمات وبعض الرسائل.

- ما اسمكِ؟

- "سيفيم ميركان".

- هل يمكنكِ إخبارنا بما تم سرقته يا "سيفيم" هانم؟

- سرقوا أجهزة الكمبيوتر. لكن لا أعرف ماذا أيضًا؛ لأن كل شيءٍ مبعثر.

- ماذا كان يوجد في ملفات الكمبيوتر؟ وهل يوجد نسخٌ احتياطية؟

- كلها ملفات خاصة بالمنظمة. "ساني" هانم لم تذهب إلى مكان دون الـ"لاب توب" الخاص بها. لم تكن تكتب شيئًا بخط اليد، حتى إنها كانت تقول إنها تواجه صعوبةً في توقيع اسمها. وكل المراسلات تم وضعها على الكمبيوتر الخاص بها.

- "ساني" هانم لديها "لاب توب" إذا.

قالت "سيفيم" وهي تنظر لـ"باتوهان" بتساؤل:

- ربما يكون في بيتها.

لم يجب "باتوهان"، فأضافت:

- إنه ماركة "توشيبا".

بقى "باتوهان" صامتًا بينما يكتب شيئًا في مفكرته، ثم سأل:

- ماذا يدور في هذه المنظمة؟ ما معنى "جريتور GreTur"؟

أجابت "سيفيم":

- إنه اختصار "Green Turkey"، أي "تركيا الخضراء".

ثم واصلت وكأنها تُسَمِّع نصًا:

- نحن نحارب التلوث البيئيّ. نزرع الأشجار ونسعى لتطبيق عقوبات على المصانع التي تلوث البيئة، ولجعل زرع النباتات المنقية للجو إلزاميًا. نحاول أن نجعل البرلمان يصدر قوانين خاصة بالبيئة وتتوافق مع المعايير الأوروبية. تركيزنا الأساسيّ يقع على التلوث في حوض نهر "إرجين".

سألها "باتوهان":

- هكذا إذًا؟ ماذا عن "ياتاغان" و"ديلوفاسي"؟ لماذا "إرجين" فقط؟

توقفت "سيفيم" عن الكلام قليلًا لتفكر في إجابة ثم قالت:

- ربما لأن "ساني" هانم من "لوليبورجاز"، وما زالت عائلتها تعيش هناك. كانت تقول إن "إرجين" سيصبح في النهاية ملوثًا مثل "ديلوفاسي".

سأل "باتوهان":

- هل أنتِ و"ساني" هانم فقط من تعملان هنا؟

- "ساني" هانم هي الرئيسة، وهناك "إيلين أكوز" النائبة. أي أننا ثلاثة.

- هل يمكنني الحصول على رقم "إيلين أكوز"؟

- سافرت "إيلين" هانم بعد الجنازة. سأعطيك رقمها، لكنني لا أحفظه. أحتاج إلى حقيبتي.

نادى "باتوهان" أحد الضباط الذين في المكتب:

- "رجب"، أحضر حقيبة السيدة - من فضلك.

قالت "سيفيم":

- إنها على مكتبي.

عندما جاءت الحقيبة، أعطت "سيفيم" لـ"باتوهان" أرقام "إيلين أكوز" وزوجها.

سأل "باتوهان":

- أين تعيشين يا "سيفيم" هانم؟

- في "بكر كوي".

- أحتاج عنوانكِ بالكامل من أجل المحضر.

- طريق "ألتيكويولار"، شارع "مكتب"، عمارة رقم 21، شقة 6.

- هل يمكنكِ – أيضًا - إعطائي رقمكِ؟ بعدها يمكنكِ المغادرة.

بما أنه لا يمكنني كتابة ملاحظات أمام "باتوهان" الذي يراقبني، حفظت رقم السكرتيرة. سأحتاج إلى التحدث إليها بمفردنا بعيدًا عن الشرطة. أما رقما "إيلين أكوز" وزوجها، فيمكن الحصول عليهما من الدليل.

ooooo

سألني "باتوهان" بمجرد أن دخلت السكرتيرة المصعد؛ لكي تغادر المبنى:

- الآن حان دوركِ. منذ متى وأنتِ هنا؟

ضحكت قائلة:

- منذ مدةٍ طويلة حتى فقدت شعوري بالوقت.

ضحك "باتوهان". يبدو وسيمًا جدًّا حين يبتسم. بعض الأشياء تظل كما هي،

وبعضها الآخر يتغيرَّ. لم يعد ميالًا إليَّ بشدة كما كان في الماضي.

- كيف تورطتِ في هذا الأمر؟

- اسأل "فوفو"، إنها فكرته.

ابتسمت؛ أملًا في تلطيف الجو بيننا، لكن "باتوهان" لم يبتسم هذه المرة.

قال "فوفو":

- لم نتقابل من قبل.

صافحه "باتوهان" على مضض وهو بالكاد ينظر إليه، ثم قال لي:

- هيا، كنتِ على وشك إخباري كيف تورطتِ في الأمر.

قال "فوفو":

- رأيت الخبر في الجريدة يوم الجمعة. شعرت بالريبة من الوفاة المفاجئة لسيدة كانت على وشك تطليق زوجها الثريّ. وعندما عرفت من كانت...

- كنت تعرفها؟

اهتم "باتوهان" فجأة بكلام "فوفو".

تدخلت قائلة:

- اعتدنا رؤيتها، لكننا لم نعرفها شخصيًا. هناك مطعمٌ في الطابق الأرضيّ لهذا المبنى، نتناول فيه الغداء وكنا نراها هناك. عندما عرفنا بموتها قررنا زيارة مكتبها.

قال "باتوهان" ساخرًا:

- وعندما رأيتماها على الغداء أخبرتكما بعنوان مكتبها بالضبط.

قلت بثبات:

- بحثنا عنه حين عرفنا بموتها.

أضاف "فوفو":

- من خلال مصادر عامة.

- هذا صحيح. بحثنا في الإنترنت، وسألنا بعض الناس.

سأل "باتوهان":

- وماذا عرفتما من الإنترنت والناس بخلاف عنوان مكتبها؟

- عرفنا أنها تناولت العشاء مع محامي زوجها قبل وفاتها، وتناقشا في اتفاقية ما قبل الزواج.

قال "باتوهان":

- اتفاقية ما قبل الزواج؟

ضاقت عيناه وهو ينظر إليَّ، وفهمت أن هذا أثار اهتمامه.

- من هو محامي الزوج؟

قلت بمكرٍ واستمتاع:

- لتقل أنت أولاً. ما نتيجة تشريح الجثة؟ هل تأكدتم أنها جريمة قتل؟

- بالتأكيد لا تتوقعين منِّي أن أكشف لكِ مضمون وثائق سرية مهمة في التحقيق.

بل أتوقع منه ذلك. لكنني لست ساذجة لكي أظن أن لسانه سيفلت بكل شيء فور رؤيتي. سيستغرق بعض الوقت.

قلت معتمدةً على حظي:

- ما دام الـ"لاب توب" قد سُرق، فيمكنك على الأقل إخبارنا إن كان أحدهم قد

اقتحم منزلها أو لا.

قال "باتوهان":

- لم يقتحم أحد منزلها.

قلت في بادرة تعاون طيبة:

- لقد تناولت العشاء مع محامٍ اسمه "ديمير سويلو" يوم الإثنين الماضي.

للأسف لم يرد لي المعلومة بأخرى. لم أحصل على كلمةٍ أخرى من "باتوهان".

ooooo

أحيانًا تمر أيامٌ في المكتبة ينهال فيها الزبائن عليَّ وأضطر إلى التحدث بإسهاب عن روايات الجريمة إلى ما لا نهاية. كان يجب أن يجعلني هذا أعتاد على قضاء الوقت مع الكثير من الناس، لكن هذا اليوم لا يُطاق. عندما غادرنا مكتب "جريتور"، كل ما أردت فعله هو البقاء في المنزل والتحديق إلى السقف.

قلت لـ"فوفو" بينما نسير في شارع "غالب ديدي" المنحدر:

- سأعود للمنزل.

لم يكن النزول سهلًا أبدًا. لا شيء سهل في إسطنبول، وخاصةً حي "باي أوغلو". كان الرصيف الصغير مزدحمًا بالسقالات، لهذا اضطررنا إلى السير في منتصف الشارع بينما ننحرف يمينًا ويسارًا مع المارة الآخرين؛ لكي نتفادى السيارات.

قال "فوفو":

- لا تعودي إلى المنزل. علينا التفكير في خطة. يجب أن نقرر مع من سنتحدث.

- سنتناقش هذا المساء.

- لنذهب إلى منزل "ساني" أولًا.

- ماذا سنفعل في بيت "ساني" ونحن لا نستطيع الدخول؟ يمكننا الذهاب إلى "لوليبورجاز"، لكن...

- أتساءل من وجد الجثة. ربما البواب أو جار متطفل. لم يقل صديقك "باتوهان" شيئًا عن ذلك.

- دعك من "باتوهان". علينا أن نجمع الكثير من المعلومات أولًا، عندها سيفعل المستحيل ليعرف ما نعرف. لا يسرع الناس إلى الشرطة ليخبروهم بما رأوه. إن فرصتنا أفضل بكثير.

من خبرتي في هذا المجال، أعرف تمامًا أن كونك ضابط في المباحث الجنائية لا تعتبر ميزةً لصالحك دائماً.

3

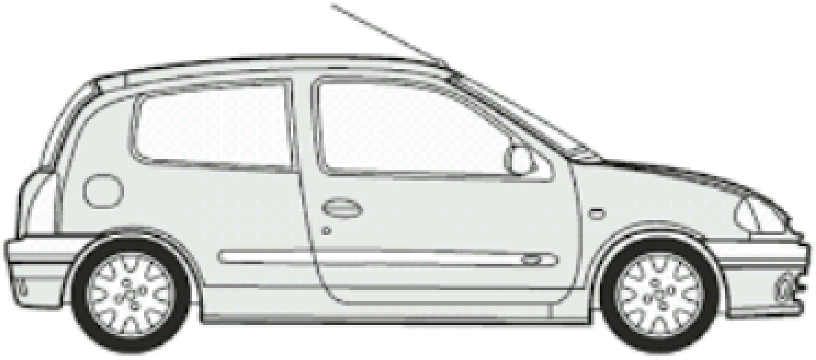

استيقظنا في الصباح التالي ولدينا خطةٍ نعمل عليها. بعد الكثير من التذمر، وافق "فوفو" - أخيراً - على فتح المكتبة بالنيابة عني، كما تولى مهمة استئجار سيارة تأخذنا إلى "لوليبورجاز". للأسف، لقد بعت كل ممتلكاتي القيمة بما فيها سيارتي الـ"بيجو" لأشتري شقتي.

الثلاثاء هو يوم التنظيف، واضطررت لتناول الإفطار مع الست "فاطمة" التي تحدثت كثيراً عن أحفادها اللطفاء وعن زوجها الذي تقاعد مؤخراً، ولم يعد يفعل شيئًا سوى النوم في المنزل. إن روتين العمل الجديد يتطلب أن أغادر المنزل فور وصولها. لذلك استغلت الفرصة قبل نزولي وطلبت مني مساعدتها في قلب المرتبة التي غطتها شباك العنكبوت. لماذا أحتاج سريراً كبيراً ما دمت سأنام وحدي فيه لآخر عمري؟! لا أعرف. لكن ها هو ذا يحتل منتصف الحجرة وكأنه نذيرٌ. بما أنني أطول من الست "فاطمة"، جعلتني أصعد السلم، لأنزل السجاد الذي نخزنه فوق الدولاب؛ لكي نفرشه في الصيف. بعد ذلك ارتديت ملابسي بسرعة وغادرت قبل أن تطلب مني شيئًا آخر.

كان "فوفو" ينتظرني أمام باب المبنى، وعلى وجهه ابتسامة واسعة.

- استعرت سيارة "رينو كليو" من صديقٍ لي يعيش في "جيهانجير". ما رأيكِ؟

لم يقل حتى مرحبًا، بل سألني عن رأيي وكأن وضعنا يسمح لنا باختيار السيارة

التي نريد.

- متى سنحصل عليها؟

قال "فوفو":

- وقتما نريد. لقد اتصلت بـ"سيفيم" السكرتيرة. ستقابلنا باكرًا هذا المساء لتخبرنا عن عائلة "ساني" وعنوانهم.

قلت بلهجة آمرة:

- كل ما علينا فعله هو الذهاب إلى قرية "كاياجيك" في ضواحي "لوليبورجاز" والسؤال عن عائلة "كايا". الأمر بسيط.

- "كاياجيك"؟ كيف عرفتِ؟

- قال "مراد" بالأمس إن "ساني" ولِدت هناك أيها الذكي. عليك الانتباه جيدًا في هذا العمل.

بدا غاضبًا لكنه تجاوز الأمر وقال:

- لقد نسيت تمامًا.

أعرف فيم يفكر، يريد ردها إليَّ.

قلت:

- إن رؤية "سيفيم" فكرةٌ جيدة. مهلًا، كيف عرفت رقمها؟

ربما يكون من السهل عليَّ حفظ رقم تليفون، لكن ليس على "فوفو" بسيط العقل.

قال "فوفو" وقد استعاد ثقته بنفسه:

- بالأمس حين أعطت رقمها لـ"باتوهان" حفظته في عقلي.

قلت:

- أحسنت.

ربت على كتفه بيدي لأشجعه، لكن يبدو أن هذا جعله يتوتر مجدداً. قلت:

- لكن من الأفضل أن أقابلها بمفردي.

نظرة التوتر على وجه "فوفو" تحولت فجأة إلى نظرة فزع، ومعه كل الحق. فإنني جعلته يقوم بكل الترتيبات ثم أخرجته من الأحداث المثيرة. هذا ليس عدلاً.

- إنه لصالح تحقيقنا. إن المرأة تتحدث براحةٍ أكثر مع امرأةٍ مثلها، لكن إن أردت القدوم فهذا شأنك.

نظر "فوفو" من النافذة وسألني:

- هل تظنين حقًا إنها ستتحدث بحريةٍ أكثر معكِ؟

- هكذا تسير الأمور. إن الأشخاص الذين يكبرون في بيئةٍ منغلقة يرتاحون أكثر مع أشخاصٍ من جنسهم.

تمتم "فوفو":

- هكذا كان الحال في إسبانيا أيضًا. كان أصدقاء أمي وخالتي سيدات. حسنًا، اذهبي وحدكِ. لكن ستخبرينني كل شيء، صحيح؟ أتعدينني؟

- بالطبع. أنت تثق بي، صحيح؟

نظر إليَّ مباشرةً وكأنه يصدق حقًا أنه يمكن قراءة أفكار الناس بالنظر في عيونهم، ثم قال:

- لا، لا أثق بكِ.

هل من الممكن حقًا قراءة أفكار الناس بالنظر في عيونهم؟

- لا تكن سخيفًا يا "فوفو". نحن لسنا في منافسة، بل نحن فريق.

أتساءل، هل يكفي هذا لإقناعه؟

ooooo

اتفق "سيفيم" و"فوفو" على اللقاء في "سميت سراي" ويعني "قصر السميت". يقع المطعم في ميدان "تقسيم"، واللقاء في الخامسة مساءً. إنه مبنى من خمسة طوابق يبيعون فيه السميت والمخبوزات. يتردد عليه الكثير من الناس، معظمهم من ضواحي إسطنبول. لم أذهب إلى هناك مطلقًا، فهو ليس من الأماكن المفضلة عندي. لكن ظهرت في الفترة الأخيرة الكثير من "قصور" الطعام في إسطنبول. في الماضي كانوا يخبزون السميت في أفران بلدي ثم يضعونه في صواني ليبيعونه في الشوارع بثمنٍ رخيص.

ذهبت إلى مطعمٍ مشابه في "كوتبوسر تور" أثناء زيارتي الأخيرة لبرلين. كان وقت الكريسماس ولم أجد مطعمًا مفتوحًا غيره. لا أستطيع التحدث عن مدن ألمانية أخرى، لكن الأتراك الذين استقروا في برلين أظهروا لنا الكثير من فنون الطعام عندما أحضروا معهم أصنافًا تركية، مثل: الكباب، والسميت، والمكسرات، والفواكه المجففة، والبطاطس المخبوزة ليبيعوها مع وجبات برلين المعتمدة على لحم الخنزير، لكنهم عدلوها لتصبح حلالًا، مثل طبق السجق بالكاري.

ساورني القلق من ألا أستطيع إيجاد "سيفيم" وسط الزحام في "سميت سراي"، لكنني ارتحت حين رأيت سيدة ترتدي ثيابًا مملة تقترب منّي بسعادةٍ وكأنها تحيي أحد أقربائها. أدركت أنني لم أهتم قط بـ"سيفيم" بالأمس، إما لأنني كنت جائعةً جدًّا أو لأن عقلي كان مشغولًا بـ"ساني". لقد نسيت تمامًا مظهرها غير الجذاب.

قبل أن نذهب إلى منطقة غير المدخنين في الطابق الثالث، ذهبنا إلى الكافيتريا واشترينا لأنفسنا شايًا وبسكويت سميك برتقاليّ اللون من النوع الذي لا يمكنك أكله إلا إذا غمسته في مشروب ما. ذكرت سابقًا إنني أقلعت عن التدخين،

صحيح؟ لم أكن قد كرهته بعد، لكنني فضلت الجلوس في منطقة بلا دخان إن أمكن. رفضت تمامًا ادعاءات "فوفو" بأنني أحاول فقط الابتعاد عن كل ما يجعلني أتذكر أيامي السعيدة كمدخنة.

- لم تسنح لنا الفرصةُ للتحدث بالأمس، لكنني أردت سؤالكِ بعض الأسئلة يا "سيفيم" هانم.

- آسفة، لقد نسيت اسمكِ.

- "كاتي".

- دعيني أقل شيئًا أولًا يا "كاتي" هانم. قد لا تصدقينني، لكن لم يغمض لي جفن ليلة أمس. قضيت الليل بطوله أتقلب في السرير وأتساءل كيف يمكنني الاتصال بكِ. شعرت بتحسنٍ كبير بعد اتصال صديقكِ. عندما تحدثتِ بشأن انضمامكِ لـ"جريتور"، شعرت أنه مجرد عذر لكي تدخلي المكتب. صحيح؟

هل يجب أن أشعر بالإحراج لأن هذه المرأة كشفت كذبتي السخيفة أم لا؟

- يمكنكِ قول ذلك. لكنني أهتم حقًا لأمر البيئة وأدعم المشروعات البيئية.

هذه ليست كذبة. فمثلًا، لقد تجنبت شراء الذهب لأن السيانيد يُستخدم لاستخلاصه من المعدن الخام.

قالت "سيفيم":

- قلتِ بالأمس إن "ساني" هانم تم قتلها. هل حضرتِ الجنازة؟ لقد كانت مزدحمة ومن المستحيل ملاحظة الحاضر والغائب، لكن لا أظن أنني رأيتكِ.

هززت رأسي نفيًا؛ بمعنى أنني لم أذهب.

- قالوا في الجنازة إن "ساني" هانم تُوفيت في حادث. تفقدت الصحف وقالوا فيها إنه كان حادثًا أيضًا. غضبت جدًّا عندما قلتِ بالأمس إنها قُتِلت.

- اسمعي، لقد قلت إنه مجرد احتمال. وقد يكون خطأ.

أدركت فجأة أنني لا أعرف كيف ماتت المرأة المسكينة.

- ما الحادثة التي سببت وفاتها كما قالوا في الجنازة؟

- قالوا إنها وقعت.

- وقعت؟

-- نعم. الأمر محزن. لقد انزلقت فوقعت. على الأرجح صدمت رأسها. هل كنتِ تعرفينها؟

- تحدثت معها بضع مرات، لكن هذا لا يعني أنني عرفتها.

- لو عرفتيها لأحببتها كثيراً. من قد يرغب في قتل سيدةٍ مثلها؟

- هل تعرفين أن الشرطة اعتقلت زوجها للاستجواب؟

قالت وهي تغطي فمها، وكأنها تسأل سؤالًا محرجًا:

- هل "جيم" بك مشتبهٌ به؟

- في حالات الوفاة المشكوك في أمرها تكون الأولوية هي معرفة من المستفيد من الوفاة. يندرج الأزواج في هذه الخانة.

- لكن هذا مستحيل. "جيم" بك لا يؤذي ذبابًا. إنه شخصٌ مهذب ونبيل. بأي حال، كيف سيستفيد "جيم" بك من وفاة "ساني" هانم؟ لقد كانا على وشك الطلاق.

- بالتأكيد تعرفين أن بعض الأشخاص يحصلون على نفقةٍ أو تسوية بعد الطلاق. لقد تغير القانون المدنيّ، وأصبحت الممتلكات التي تم الحصول عليها أثناء الزواج يتم مشاركتها بين الزوجين بعد الطلاق. على الأرجح حصل "جيم" بك على ثروةٍ طائلة أثناء الزواج. بالتأكيد مبلغ لن نراه أنا أو أنتِ طوال حياتنا.

سألت "سيفيم" بجديةٍ شديدة:

- هل أخبركِ شيئًا؟

قلت بجديةٍ مماثلة:

- قولي.

- مستحيل أن يقتل "جيم" بك أي شخص، حتى لو المقابل مليارات. إنه رجلٌ نبيل ومجامل جدًّا. لقد أحب "ساني" هانم جدًّا. مستحيل تمامًا.

جعلتني "سيفيم" أشعر بالحرج لمجرد تفكيري في هذا.

- قلت إنه مجرد احتمال. لا يوجد دليلٌ على أن "ساني" هانم ماتت مقتولة.

قالت، وهي تدير عينيها في ملل:

- حتى لو كان مجرد احتمال. لكن لماذا تصرَّف رجال الشرطة بشكل غريب بالأمس؟ اتصلت بهم لأبلغ عن عملية اقتحام، لكن المباحث الجنائية جاءت. ما اسم صديقك الشرطيّ؟

- "باتوهان".

- نعم، "باتوهان". أظنكما صديقين قديمين. شعرت بأن علاقتكما حميمية. حدسي قوي، فأنا برج الحوت. هل تهتمين بعالم الأبراج؟

- ليس كثيراً، لكنني أعرف برجي.

قالت "سيفيم" بحماس:

- لا تخبريني، دعيني أخمن.

ثم صوبت سبابتها نحوي لوهلةٍ وقالت:

- أنت برج الدلو.

- ليس سيئًا أبدًا. نجمي هو الدلو لكن برجي هو العقرب.

قالت وهي تسحب إصبعها وكأنني سأعضه:

- "ساني" هانم كانت برج العقرب أيضًا. لكن الدلو يوازن شخصيتكِ لأن نجمه هو العقرب. إنه برجٌ خطير. أصحاب برج العقرب يقعون في المتاعب دائمًا كما تعلمين.

لم أعرف ماذا أقول، فقطعت قطعة من البسكويت البرتقاليّ ووضعتها في فمي.

قالت "سيفيم":

- لو أن "ساني" قُتِلت فعلًا، إذًا فيجب عليكِ التحقيق في حياتها الخاصة.

- أي حياة خاصة؟

- أعني العشاق وما إلى ذلك.

عشاق؟ لم أجد واحدًا حتى الآن. هل كان لـ"ساني" مجموعة عشاق؟

اندفعت "ساني" قائلة:

- "كاتي"، لا يمكن أن يكون الفاعل سوى عاشق.

كدت أختنق بقطعة البسكويت التي أمضغها، فبدأت بالسعال.

سألتها حين استعدت القدرة على الكلام:

- أي عاشق؟

قالت بسرور:

- وجهكِ أحمر.

- هذا بسبب الاختناق بالبسكويت وليس الحرج. لم تخبريني عن هُوية عشيقها.

- عشيق "ساني" هانم؟ حسنًا، لا تخبري أحدًا أنني أخبرتكِ. نعم كان لديها واحد

بالفعل.

- هل تعرفين من هو؟

- "سِنان". إنه مطربٌ في فرقةٍ تسمى "سنيف".

لم أسمع باسم الفرقة أو باسم "سِنان" من قبل، وهذا لا يدل أبدًا على شهرة أو موهبة المطرب وفرقته. لكن كيف لي أن أعرف وأنا لا أستمع إلا للموسيقى الكلاسيكية؟

- ما نوع الموسيقى التي يعزفونها؟

- موسيقى الـ"روك". تذهب أختي إلى كل حفلاتهم. إنها تعشقهم، وخاصةً "سِنان". حتى أنا ذهبت إلى إحدى حفلاتهم.

صمتنا قليلًا، وتدافعت سيول من الأفكار في عقلي. بالتفكير في الموقف، ربما قتل "جيم" زوجته بدافع الغيرة. بالتأكيد لم أخرجه من قائمة المشتبه بهم الخاصة بي بالاعتماد على ادعاء "سيفيم" بأنه لا يؤذي ذبابًا. وربما "سنان" دفعها أسفل السلم أثناء شجار.

سألتها:

- قلتِ للتو إن "ساني" وقعت في المنزل. هل سقطت من على السلم؟

سألتني "سيفيم":

- هل يوجد في بيتها سلالم؟

كيف تعرف هذه المرأة عن عشيق "ساني" لكن لا تعرف إن كان هناك سلالم في بيتها؟

سألتها:

- من يعرف عن "سنان" سواكِ؟

- لا أحد.

- ماذا عن "إيلين" هانم؟ إنها صديقتها العزيزة، صحيح؟

- نعم، لكنها لا تعرف.

- كيف تعرفين إنها لا تعرف؟

- أعرف وحسب. هل تستقلين بي؟

ليس مجددًا! من الواضح إنني لا أعرف شيئًا عن رفاقي من البشر. مع ذلك أظن أنه من الأفضل مشاركة سري مع صديقتي العزيزة بدلًا من سكرتيرتي.

- أتساءل لماذا أخبرَتكِ عن عشيقها ولم تخبر "إيلين" هانم. هذا كل شيء.

- لم تخبرني. لكن عندما تعملين مع شخصٍ ما ليلًا ونهارًا تعرفين عنه الكثير دون قصد.

بدأت "سيفيم" تبكي فجأة وكأن أحدهم ضغط على زرٍ فيها، مثلما حدث بالأمس. هل هذا بسبب التوتر فقط؟

قالت وهي تنهنه:

- لم أتعمد إخباركِ بهذا.

- لقد فعلتِ الصواب. من الواضح أن حالتكِ لا تسمح لكِ بالتحدث إلى الشرطة، لكنكِ احتجتِ التحدث إلى شخصٍ ما.

- هذا ما فكرت به. لكن حين تعاملينني وكأنكِ تلومينني...

- ولماذا ألومكِ؟ نحن نتحدث فقط.

وضعت يدي على أصابعها السمينة بتعاطفٍ، على أمل أن تبوح لي بالمزيد.

قلت:

- ربما أخبرَت شخصًا آخر غير "إيلين" هانم.

قالت "سيفيم" وهي تخرج منديلًا من حقيبتها لتمسح أنفها:

- قالت "ساني" هانم إنه لا أحد غيري يعرف بشأن "سِنان"، وأنا لم أقل لأحد.

- ولا حتى لأختكِ؟

- أقسم أنني لم أفعل. جعلتني "ساني" هانم أعدها بعدم إخبار أحد. لكن أختي... لقد اكتشفَت أنني أعرف "سِنان" و...

قاطعتها:

- تعرفينه؟

- هكذا عرفت بوجود العلاقة.

- كيف؟

- نسيت ذات مساء تليفوني المحمول في المكتب، فاضطررت للعودة لآخذه. عندما فتحت الباب رأيت... حسنًا، أظن أنهما كانا يتقابلان هناك لأنه ليس لديهما مكانًا آخر. شعرت "ساني" هانم بالرعب من أن يعلم زوجها بسرها، لذلك وعدتها ألا أخبر أحدًا. لقد وعدتها بالفعل، لكنها توفيت الآن فتحللت من وعدي. بالإضافة إلى أن "سِنان" لم يحضر الجنازة. عارٌ عليه. لقد أفسد زواجها ولم يحضر جنازتها. بمجرد أن يحصل الرجال على غرضهم منكِ يتخلون عنكِ. نحن في عالمٍ يحكمه الرجالُ.

- أخبريني عن "إيلين" هانم.

شعرت أنها تفضل التحدث عن العلاقات واستغلال الرجال للنساء وكأنهن خرقٌ بالية. وعلى الأرجح تحدثت عن ذلك مع أختها. لكنها على كل حال بدأت تتحدث عن "إيلين" مباشرةً.

- ماذا أقول؟ إنها من النوع الذي يندمج في المجتمع جدًّا. تزور المنظمات عندما

تستطيع توفير بعض الوقت بين أوقات التسوق. كان والدها السفير التركيّ في أمريكا. تَعَرَّف "جيم" بك على "ساني" هانم في إحدى حفلاته. "إيلين" هانم ليست في جمال "ساني" هانم، لكنها تهتم بنفسها جيدًا، وتشتري كل ملابسها من الخارج. يمكنك فعل ذلك بسهولة لو تملكين المال اللازم.

- لم أكتب رقم "إيلين" هانم بالأمس حين أعطيته لـ"باتوهان". هل يمكنكِ إعطائي إياه؟

تمتمت "سيفيم":

- أتساءل متى ستعود "إيلين" هانم من رحلتها. تصاب دائمًا بصداعٍ نصفيّ، وتذهب للطبيب بسببه كل شهر.

- يا للمصادفة، بدأت أشعر بصداعٍ نصفيٍّ الآن.

وهذا صحيح تمامًا.

oooooo

لا أخرج من المدينة كل يوم، لذلك شعرت بالحماس حين خرجنا في الصباح التالي. الطريق السريعة واسعة وجميلةٌ، وتحيطنا حقول عباد الشمس من الجانبين. وصلنا "لوليبورجاز" بعد ساعتين، وأوقفنا السيارة أمام رئاسة الحي. بدأت أبحث عن مطعمٍ فوراً. هذا غريب، مجرد نصف ساعة خارج المدينة جعلتني أشتهي الطعام في حين أنني قد أقضي ساعتين داخل إسطنبول ولا أشعر ولو بقليل من الجوع.

كانت "لوليبورجاز" مليئة بالمقاهي الصغيرة المتخصصة في حساء الكرشة، من الواضح أنه طبقٌ محلي. حساء الكرشة من أطباقي المفضلة، لكن لم أسمح لنفسي أو لـ"فوفو" بتذوقه حتى لا تفوح أنفاسنا برائحة الثوم حين نتحدث إلى عائلة "ساني" الحزينة. أخذنا بنصيحة رجلٍ عجوز يشرب الشاي في أحد المقاهي، وأكلنا لحم ضأن مستوٍ، فيما يُعتبر أفضل مطعمٍ في البلدة قبل أن

نتطلق إلى "كاياجيك".

ما لفت انتباهنا هو أن الجميع يستطيعون أن يرشدونا إلى وجهتنا. كل من تاه خارج ضواحي إسطنبول سيفهم قصدي. من السهل أن تجد من يجلس بجانبك ليرشدك حتى تصل للطريق العام، لكن من المستحيل أن تجد شخصًا يصف لك الطريق بكلماتٍ واضحة، مثل: "قد في خطٍ مستقيم ثم انعطف يمينًا قبل عواميد الإضاءة ثم انعطف يسارًا بعد خمسين متراً". لكن بفضل أهالي "لوليبورجاز"، وجدنا الطريق المؤدية إلى خارج المدينة دون مشاكل وبدأنا طريقنا إلى "كاياجيك" بينما نستمتع بالريف التركيّ.

قال "فوفو":

- أخطأنا فهم الطريق تمامًا، لأننا لا نخرج أبدًا من إسطنبول.

قلت:

- لم أذهب إلى "أورجوب" أو "باموكالي".

- وأنا لم أرَ "إزمير".

- لو أصبحت "بيلين" مرشدة سياحية، يمكنها أن تأخذنا في جولةٍ حول تركيا.

قطعت كلامي فجأة وكتمت أنفي؛ بسبب رائحةٍ قذرة.

- هل تشم هذه الرائحة؟

أجاب "فوفو" وهو يسد أنفه أيضًا:

- مستحيل ألا أفعل.

- ما مصدرها؟ هل هو نهر "إرجين" المعروف بتلوثه؟

انعطفتُ يمينًا. كان طريق الأسفلت الضيقة خاليّة إلا من بعض طيور اللقلق والغربان البائسة التي تتخبط في النهر الموحل ضعيف التيار. خرجنا من السيارة

وكانت الرائحة لا توصف. تخيل رائحة الآلاف من البيض المتعفن وجثث الحيوانات بعدما رُميت في بلاعةٍ وتُركت في الشمس لشهور. تلك الرائحة أسوأ منها!

ظللنا نشم تلك الرائحة لمدة عشرين دقيقة حتى وصلنا إلى القرية. أبطأت السيارة بينما نمر ببعض الخيام البالية خارج القرية.

سأل "فوفو":

- ما هذا؟ معسكر لاجئين؟

- لا أعرف. ربما جاؤوا للعمل في الحقول.

جلسنا إلى المقهى الذي يتوسط الثلاثة مقاهي المطلة على ساحة القرية. بعد بضع دقائق جاء إلينا المالك وقال:

- مرحبًا. هل تبحثان عن شخصٍ ما؟

من الواضح أن هذه البلدة لا تجذب السياح.

سألته:

- لقب رئيس قريتكم هو "كايا"، صحيح؟

- هل تبحثان عن "رفعت" بك؟ سأحضره لكما.

أضفت:

- ونريد كوبين من الشاي.

بعد قليل اقترب منّا رجلٌ نحيل يرتدي قبعة. لاحظت أن خديه غائران ووجهه محفورٌ عليه علامات حزن.

- مرحبًا. هل تسألان عنّي؟

- لقد أتينا من إسطنبول. كنا نفكر في عمل مشروعٍ مع "ساني" هانم لمكافحة التلوث في نهر "إرجين". قررنا الاتصال بك بما أننا كنا في المنطقة اليوم.

أحياناً أندهش من قدرتي الرهيبة على الكذب.

قال الرجل المسكين:

- نعم ، فهمت.

قلت بينما أصافحه:

- تعازيَّ الحارة.

- أشكر لك. فليرحمها اللهُ. لا يوجد ما يؤلم أكثر من فقدان الأبناء. لا أتمنى هذا المصير حتى لأشد أعدائي.

- قيل إن وفاتها كانت بسبب حادثة.

راقبت ملامح وجهه بتمعن، لم يكن هذا سهلاً؛ لأنه ظل منحنيًا وساندًا رأسه على يديه بينما يتحدث معي. أتساءل إن كان يشك بشيءٍ ما. قلت:

- الشرطة تحقق في القضية.

أومأ برأسه دون أن تتغير ملامحه أو وضعيته. لا يهتم "رفعت" بالشرطة أو التحقيق. إنه أب حزين لا تسمح حالته بالشك في أي شيء.

في تلك اللحظة، أخذ بعض الناس الجالسين حولنا كراسيهم لينضموا إلينا. كلهم رجال بالطبع، ولا توجد امرأة واحدة.

قال رجلٌ أشقر ممتلئ الجسم:

- مرحبًا، وجودكما يشرفنا. أتمنى أنه لا توجد مشكلة.

كان لا ينطق حرف الهاء بوضوح، ويغلب على كلامه لكنة أهل "تراقيا"، مما جعل لهجته جذابة.

قلت:

- نقوم ببعض الأبحاث عن التلوث في نهر "إرجين".

التزم "فوفو" الصمت مجدداً كما هي عادته حين يكون مع غرباء.

سأل الرجل الأشقر:

- هل أنتِ صحفية؟ لقد تحدثنا مع الكثير من الصحفيين، لكن بلا فائدة. لا أضمر لهم شرًا لكنهم لا يفعلون شيئًا.

- نحن لسنا من الصحافة بل من حماة البيئة.

قال رجلٌ آخر:

- لقد أتى الكثير من حماة البيئة أيضًا، لكن لا أحد لديه النفوذ اللازم على ما يبدو.

قال الرجل الأشقر:

- فعلت المرحومة "ساني" ما بوسعها لكي تجد حلًا لهذه المشكلة.

قال "رفعت" بعينين دامعتين:

- لقد احتملنا هذه الرائحة الكريهة لسنواتٍ طويلة.

قال مالك المقهى، وهو قادمٌ إلينا:

- أنا أشد المتضررين. أفتح في الخامسة صباحًا حين تكون الرائحة أشد تركيزاً. تصرف المصانع مياهها القذرة في النهر ليلًا حين لا يكون هناك دوريات.

سأل الرجل الأشقر:

- هل تشمينها الآن؟

قال الآخر:

- لا أستطيع شم أي شيءٍ والحمد لله.

قال الرجل الأشقر:

- لقد اعتدنا على الرائحة القذرة لدرجة أننا لم نعد نشم شيئًا.

قال رجلٌ يجلس إلى طاولة قريبة بما فيه الكفاية ليسمعنا:

- لهذا تقول التقارير إن الرائحة في مستوى مقبول. الأمر وما فيه أن الأهالي هنا قد اعتادوا الرائحةَ مع مرور الوقت.

قال الرجل الأشقر:

- دعكم من الرائحة. فالأمر يتعلق بالأرض التي تدمرت تمامًا.

قلت:

- لكننا رأينا حقولًا من عباد الشمس ونحن في الطريق إلى هنا.

- عباد شمس وقمح وشعير وذرة. نعم، لقد زرعنا تلك المحاصيل لأن الأرض جافة. نحن نزرع أي شيء لا يحتاج إلى الكثير من الماء.

- كانت هذه الأرض عالية الخصوبة في الماضي. كانت مناسبة تمامًا لزراعة الأرز. اعتدنا زراعة البنجر والفول والكرنب والكراث. لكن التربة خربت الآن؛ ولم تعد صالحة لهذه المحاصيل.

- إن الماء يحرق ونحن نعمل في الحقول.

سألت:

- هل هذا بسبب تلوث نهر "إرجين" بالنفايات السائلة؟

قال شابٌ آتٍ نحونا:

- يوجد في "تراقيا" 1,406 مصنعًا بالضبط، منها ما يزيد على ألف مصنعٍ غير مرخص ويعمل بصورةٍ غير شرعية. يسحبون الماء الجوفية ويلوثونها ثم يطلقونها في النهر. لا يكتفون فقط بتلويث النهر وحوضه، بل يستنفدون مياهنا الجوفية. هل أنتما صحفيان؟

أجاب الرجل الأشقر بالنيابة عنا:

- كلا، ليسا كذلك.

سألت:

- متى بدأت المشكلة؟

أجاب الرجل الأشقر وهو يشير إلى مجرى ماءٍ صغير يمكننا أن نشمه لكننا لا نراه فعليًا:

- عشرون عامًا. بدأت في عهد الرئيس "أوزال". في الماضي كان هناك سلاحف وضفادع في هذه المياه. كانت القراميط كبيرة الحجم. ويومًا ما لاحظنا بعضها يطفو ميتًا على الماء. جرينا جميعًا نجمعه وكأنه تفاح وقع من على الشجر. أخبرنا طبيب الوحدة الصحية ألا نأكله تحت أي ظرف. بعض الناس أكلوه بالطبع. لاحقًا، تم إرسال عينة من الماء إلى أنقرة للتحليل. ما كان اسم الطبيب يا "رفعت"؟ ذلك الشاب.

لم يرد "رفعت"، لكن أجاب آخر:

- "سيلتشوك"، صحيح؟

- نعم، دكتور "سيلتشوك". أرسل عينات المياه إلى أنقرة ليتم تحليلها، لكن التقرير الذي جاء قال إنها نظيفة. قال الطبيب: "هذه الأرض يتم إفسادها. لا تهدروا طاقتكم سدى، فالأغنياء يتحكمون في كل شيءٍ الآن". لم ينج أي كائنٍ حي في ذلك النهر. لقد ماتت كل الكائنات. لو روينا الأرض بذلك الماء فستخرب أيضًا.

- ماذا يحدث عندما تروون بها الأرض؟

- تتحول إلى مستنقعات.

- رويت الأرض لأزرع بنجراً، لكن ما زالت التربة لم تتعافى حتى بعد مرور ستة أشهر.

- توقفت الأرض عن الإنتاج الآن. في الماضي كنا نحصل على أكثر من طنٍ من البنجر في كل هكتار، لكن لم يعد أحد يزرع البنجر الآن.

- كان لدينا ثلاثة آلاف هكتار من البنجر، لكن هذا العام زرعه فقط اثنان من أصل مائتي عائلة في مساحة تقل عن نصف هكتار لمجرد أن نحتفظ بحصتنا. لو توقفنا عن زراعته تمامًا سنفقدها.

- كيف تعيشون في هذه الظروف؟

قال الرجل صاحب لهجة أهل "تراقيا" الجذابة:

- نعيش على الهواء لأن الماء ملوث.

ضحك كل الجالسين.

- لكن كيف تروون زرعكم؟

- بالأمطار. لا تُروى الأرض إلا أثناء المطر. نحن ندين بكل شيء إلى الطبيعة الأم.

- هناك مياه جوفية على بعد تسعة إلى خمسة عشر متراً. يمكننا استخدامها، لكن تكلفة الديزل المستخدم لاستخراجها عاليةٌ جدًا.

- وتلك المياه التي نعجز عن استخراجها تسحبها المصانع. وعند الفجر يصرفون المياه القذرة في النهر عندما لا يراقب أحد المنطقة.

- لا أحد يراقب شيئًا. موضوع صرفهم المياه في الفجر مجرد كذبة، فهم

يصرفون الماء القذر في كل الأوقات.

نظرنا أنا و"فوفو" لبعضنا بفزع.

سألت:

- لماذا لا تقوم المصانع بتركيب معدات تنقية؟

نظر إليَّ كل القرويين وكأنني فتاة ساذجة أو غبية.

قال الشاب الذي انضم إلى طاولتنا بالفعل:

- معدات التنقية عالية التكلفة. لهذا حتى المصانع التي تملك معدات تنقية لا تستخدمها. أما صرف الماء القذر في النهر فلا يكلف شيئاً.

قال رجلٌ يجلس إلى طاولةٍ بعيدة:

- لكنهم لن يستطيعوا تلويث الماء لمدَّةٍ طويلة. لقد تم تشكيل لجنةٍ في البرلمان لوضع قانون لحماية البيئة وتأسيس فريقٍ من شرطة البيئة. لقد أتوا لإخبار أصحاب المصانع عن كيفية الحصول على معدات التنقية إن لم تكن لديهم. لا يمكنهم الاستمرار في تلويث النهر. لا أصدق ذلك.

صاح "رفعت" وهو ينضم للمحادثة:

- ولم لا؟ تلك القوانين تم وضعها لكي ننضم إلى الاتحاد الأوروبيّ. إنها للعرض فقط ولم تفدنا قط. كما قلت، هناك أكثر من ألف مصنعٍ غير مرخص. مصانع للجلود والدهان والنسيج والزجاج والمواد الكيميائية وغيرها. وماذا تفعل الحكومة؟ لا شيء. أصحاب المصانع يزدادون ثراءً والمحافظ يقود "مرسيدس". انتهى الموضوع. أنا أتفهم الأمر يا "جاك". إن رجل الأعمال الذي يحقق أكبر نسبة تلوث يتم انتخابه ليصبح رجل الصناعة للعام. ما الذي لا تفهمه؟ الأمر يحدث أمام عينيك مباشرةً!

سألت:

- هل يملك المحافظ "مرسيدس"؟

- نعم، اجتمع أصحاب المصانع واشتروا "مرسيدس" لمحافظ "كوكالي"؛ لكي يتركهم وشأنهم وليلوثوا البيئة كما يحلو لهم. لقد نُشر الخبر في كل الصحف. ألم تقرأيه؟

من الواضح لا. هذه نتيجة عدم قراءة الصحف.

- ألا يستطيع القرويون الاتحاد معًا والتصرف؟

قال الأشقر، وهو يضع يده على كتف "رفعت":

- هذا ما حاولت "سنية" هانم فعله.

قال "رفعت" بغضب:

- أهل القرية خائفون ومترددون. يخشون أن تنبذهم الحكومة، ومن المستحيل تغيير تفكيرهم السلبيّ. يظنون أنهم سيخسرون أرضهم أو سيُطردون إن تجرؤوا على المواجهة. ما فائدة أشخاص كهؤلاء؟

بمجرد أن ينفعل لا يمكن إيقافه.

قال الرجل الجالس إلى الطاولة البعيدة. بدا وكأنه يأخذ تعليقات "رفعت" بصورةٍ شخصية:

- لكنكم خسرتم عملكم بالفعل. يشكو الجميعُ المصانعَ والتلوثَ، لكن معظمهم يعمل أولادهم في تلك المصانع. لو لم يبع القرويون أراضيهم لأصحاب المصانع ما كانت لتقوم أي صناعةٍ هنا. لقد باعوا أراضيهم الخصبة مقابل القليل من الذهب وأصبحوا عمالًا في المصانع. في النهاية، تم طردهم وأصبحوا جوعى وعاطلين على المقاهي. لقد فات أوان الندم الآن.

شككت بأن يكون أصحاب المصانع دبروا وفاة "ساني" لأنهم خشوا من أن تستطيع توحيد صفوف القرويين. لقد استطاع أصحاب المصانع الاجتماع معًا

لشراء "مرسيدس" لمحافظ "كوكالي"، لذلك ليس صعبًا عليهم التعاون لتنفيذ جريمة قتل.

سألت:

- هل كنتم مع "ساني" عندما زارت القرويين؟

أجاب "رفعت":

- ذهبنا معها من بيتٍ لآخر ومن قريةٍ لأخرى لنشرح المشكلة. إن التلوث البيئي الذي تسببه المصانع ليس مشكلتنا الوحيدة. هناك أيضًا مشكلة الزيادة السكانية والمهاجرين.

- لاحظنا بعض الخيام خارج القرية في طريقنا إلى هنا.

قال "رفعت" بابتسامةٍ حزينة:

- إنهم ليسوا مهاجرين بل غجر. يعيشون في "لوليبورجاز" ويأتون إلى هنا بصفتهم عمال موسميين للعمل في الحقول. لا تسمح لهم باقي القرى بنصب خيامهم. قريتنا هي الوحيدة التي استطاعوا إقناع أهلها بتركهم فيها. يقول الناس إن الغجر يسرقون، لكن حكومتنا تحرم أطفالنا من الخبز من قبل أن يولدوا. لو أن غجريًا أراد السرقة، فسيسرق دجاجة، وبالتوفيق إن استطاع! لكننا لم نرَ أي دليلٍ على سرقتهم لأي شيء حتى الآن.

- هل يعملون في الحقول مقابل أجرٍ زهيد؟

- بالطبع. وما بيدهم غير ذلك؟ إنهم مساكين. يتم خداع البلغاريين والغجر هنا. يحصل البلغاريون على عشرين ليرة في اليوم، ويحصل الغجر على خمس عشرة.

- لماذا تشتكون من الزيادة السكانية؟

- تريد الحكومة أن تجعل هذه المنطقة صناعية بالكامل. تقول التقارير إن سكان

"تراقيا" سيزيدون أربعة ملايين خلال عقد. سيبنون عشرة آلاف بيتٍ جديد في مدينتيّ "جبزي" و"تشورلو"، وسيرسلون إلينا نسبة السكان الزائدة في إسطنبول. يعرف الجميع أن "تراقيا" تعاني بتعدادها الحالي، فما بالكِ بأربعة ملايين آخرين؟!

يا له من احتمالٍ فظيع. بقيت صامتة وقررت ألا أطلب شايًا آخر وألا أنهي كوبي، خوفًا من أن يكون التلوث قد وصل لمياه الحنفية.

أصبحت طاولتنا مزدحمةً جدًّا ولا يمكنني التحدث عن "ساني"، فتمتمت لـ"رفعت":

- هل يمكنك أن تصحبنا في جولة؟

قال الأشقر البدين فورًا:

- سآتي معكم.

همست لـ"رفعت":

- أفضل لو كنا وحدنا، أريد التحدث معك على انفراد.

- عن ماذا؟

- عن "ساني".

بدا مندهشًا وهو يعدل قبعته ويضع يديه في جيوبه بينما يكرر:

- عن "ساني"؟

- نعم.

- انتظرا هنا. سأحضر سيارتي.

قلت بينما أشير للـ"رينو كليو":

- لا داعي. سيارتي هنا.

قال:

- في هذه الحال هيا بنا.

قلت:

- علينا أن ندفع ثمن الشاي.

- لا لا يا ابنتي. أنتم ضيوفنا.

هكذا قال "رفعت" وهو يشير بيده، معلنًا نهاية النقاش. ثم استدار إلى الرجل الأشقر وقال:

- انتظر هنا يا "أحمد". سأعود قريبًا.

أشرت لـ"فوفو"؛ لكي يجلس في الخلف.

سألني "رفعت":

- لستما من حماة البيئة. من أنتما؟

- نحن...

قاطعني:

- أريد رؤية بطاقتيكما بعد إذنكما.

يا له من طلبٍ غريب. ما الذي يمكنه معرفته من بطاقة الهُوية؟

طلبت من "فوفو" أن يمرر لي حقيبتي من المقعد الخلفي.

قلت بينما أخرج شهادة ميلادي:

- نحن لسنا من الشرطة.

قال "رفعت":

- لم يقل أحد أنكما كذلك.

جيد، لأنني أكره أن يتم تشبيهي بالشرطة. قرأ بصوتٍ مسموع:

- "كاتي هيرشيل".

ثم استدار إلى "فوفو" وسأله:

- وأنت؟

قال "فوفو" وهو يعطيه جواز سفره:

- أنا إسباني.

قرأ "رفعت" اسمه – أيضًا - ثم سأل:

- ماذا تريدان منا؟

قلت:

- نريد معرفة ما إذا كانت وفاة "ساني" نتيجة حادثٍ بالفعل أو لا.

- لماذا؟

لم أملك جوابًا منطقيًا عن هذا السؤال البديهيّ القصير. أدرت المحرك وسألته:

- في أي طريقٍ نذهب؟

أشار "رفعت" إلى اليمين ثم سأل وهو يبذل جهدًا خرافيًا ليتمالك أعصابه:

- لماذا أنتما مهتمان بموت "ساني"؟

- نحن محققان من وكالة تحريات خاصة.

كرهت نفسي بسبب هذا الادعاء الذي يخالف كل مبادئي، لكن لا خيار آخر.

سألني:

- من وظفكما؟

ثم سأل قبل أن أرد:

- هل قُتلت "ساني"؟

- هذا احتمالٌ وارد نقوم بالتحقق منه.

سأل "رفعت" بعبوس:

- هل تظن الشرطة أنها قتلت؟

- تقوم الشرطة بالتحقيق، لذلك من المؤكد أن لديهم ما يشكون به.

وصلنا لنهاية الطريق فأوقفت السيارة وسط حقل.

أخرج "رفعت" علبة سجائر من جيبه وعرض علينا، لكننا رفضنا.

فتح "رفعت" نافذة وأشعل لنفسه سيجارة بينما يقول:

- تقولان لي إن ابنتي قُتلت.

- إنه احتمال.

- من قد يرتكب فعلًا وحشيًا كهذا؟

- كانت تستعد لرفع قضايا على أصحاب المصانع الذين يلوثون البيئة هنا. نحن نشك فيهم.

- هل استأجركما شخصٌ ما للتحقيق في القضية؟

- لا.

- ألا يدفع لكم أحد أجرًا؟

- لا.

- هل أنتما من أصدقاء ابنتي؟

- لا.

- لماذا تتورطان في هذه المشكلة ما دام لا يوجد ربحٌ لكما؟

- هل يدفع لك أحد أجراً على مكافحة أصحاب المصانع والتلوث البيئيّ؟

لم يجب "رفعت"، لكنه نظر إليَّ مباشرةً ولمحت عينيه تلمعان. أظنه شعر بالتشابه بيننا. كلانا لا يستسلم أبدًا. لدينا عزيمة فولاذية للقتال ضد كل ما يهين شعورنا بالعدالة أو المبادئ، سواء كان ظروف وفاة مريبة أو مصنع غير قانونيّ يلوث البيئة.

قال "رفعت":

- ابنتي الصغرى "ناز" تعمل طبيبة في مستشفى "لوليبورجاز" الحكومي. تحدثا معها قبل عودتكما إلى إسطنبول. لقد اهتمت بالبيئة من قبلنا جميعًا. "ناز" من أشركت "ساني" في الموضوع. ستخبركما كل التفاصيل.

أحنى لنا رأسه تحية ثم سار عائدًا إلى القرية وهو يحني ظهره.

4

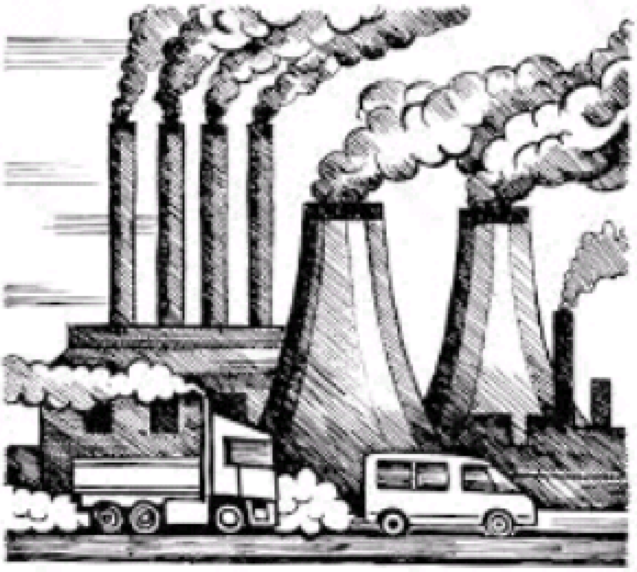

تذمر "فوفو" وهو يغلق النافذة التي فتحها "رفعت" وهو يدخن:

- تلك الرائحة تصيبني بالغثيان.

قلت:

- يقولون إن مستوى التلوث مقبول.

- لا أفهم كيف يعتبرونه مقبولاً. لا أراه كذلك أبدًا. المكان يفوح بالسموم. بالإضافة إلى أننا شربنا ذلك الشاي!

قلت:

- لا أظننا سنموت من كوبٍ واحد.

تناسيت أنني وقتها نظرت إلى ذلك الشاي وكأنه مليء بالسيانيد. لكن يجب أن أكون قدوةً لـ"فوفو".

قال وهو يسد أنفه:

- لا شيء سيحدث لكِ؛ لأنكِ تركية حتى الصميم، لكنني إسباني.

كان محقًّا بالطبع. لكن هل يمكن لقوة الأتراك الجسدية أن تقاوم الأضرار الجسدية التي تقارن بكارثة "تشيرنوبل" أو المواد المشعة أو إنفلونزا الطيور أو الإيدز؟

لم نتحدث مجدداً حتى وصلنا إلى "لوليبورجاز"، وذلك لكي أحصل على فرصةٍ لأستوعب ما سمعته.

ooooo

اقتربت من ممرضة تجلس خلف لوح زجاجي مكتوبٌ عليه "استقبال المرضى"، وأخبرتها أنني أريد التحدث إلى الطبيبة "ناز كايا".

- الطبيبة "كايا" في إجازة حتى نهاية الأسبوع القادم، ويعمل مكانها الطبيب...

- أريد التحدث مع "ناز" هانم شخصيًا. لقد أرسلنا والدها "رفعت" بك.

- ربما تجدينها في البيت.

أخطأت عندما لم آخذ رقم "ناز" من "رفعت". لكن إذا عدت للقرية فلن أستطيع العودة إلى إسطنبول قبل زحام المساء.

رجوتها:

- هل يمكنكِ الاتصال بها في البيت؟

أجابت موظفة الاستقبال:

- سأحاول. من يسأل عنها؟

- أخبريها أننا تحدثنا إلى والدها. اسمي "كاتي".

اتفقت على اللقاء بـ"ناز" بعد ساعة في مقهى "نهير" المقابل لمسجد "كويلتي".

ooooooo

تشبه "ناز كايا" صورة أختها الكبرى التي كانت تنشر في الصحف أيام مجدها وشبابها، وهي لا تقل جمالًا عنها.

قالت بلمحةٍ من السخرية التي لم أفهم سببها، لكني تجاهلتها:

- لطالما قال الناس إننا متشابهتان كثيراً.

قال "فوفو":

- بالتأكيد أخبركِ والدكِ بقدومنا. كان عليه إعطاؤنا رقمكِ.

- اتصل بي فور مغادرتكما. كان قلقًا من ألا تجداني لأنني في إجازة. "لوليبورجاز" مدينة صغيرة يجد فيها الناس بعضهم بسهولة، لكن جرب قول ذلك لشخصٍ عاش حياته كلها في قرية.

- أخبركِ والدكِ أننا نحقق في وفاة أختكِ، أليس كذلك؟

- ما فهمته هو أنكما تظنان أن أصحاب المصانع قتلوا أختي. أليس كذلك؟

أخفضت "ناز" صوتها على الرغم من أن كل الطاولات حولنا فارغة.

قلت:

- نفكر في عدة احتمالات. لكن ما رأيكِ في هذا الاحتمال؟

قالت "ناز" متجاهلة سؤالي:

- قال والدي إنكما من إسطنبول. هل أنتما إسبانيان أيضًا؟

قلت:

- رأى والدكِ بطاقتينا.

تساءلت وهي تهز رأسها في دهشة:

- رأى بطاقتيكما؟ هل لاحظتما مدى خوفه؟ كلهم يخافون من ظلهم. حتى والدي.

- يخافون ممَّنْ؟

- ممَّنْ؟! أصحاب المصانع بالطبع. ومن غيرهم؟ إذا أزعجهم واحد، قضوا على الجميع.

تبادلت أنا و"فوفو" النظرات القلقة، وشعرنا بمدى خوف هؤلاء الناس.

سألنا نادلٌ وهو يبتسم:

- ما الذي تفضلون تناوله؟

طلبنا مياهًا معدنية.

قالت "ناز" بينما يبتعد النادل:

- أنا من "لوليبورجاز"، لكنَّ والدىَّ ألبانيان. كلاهما من أصل مقدونيّ ألبانيّ. ولدا هنا، لكن ما يزال لدينا أقارب هناك. بمعنى آخر، لا تنتمي أصولنا إلى هنا. هناك الكثير من المهاجرين البلقانيين الذين يعيشون في "تراقيا".

لم نعلق على كلامها، بل انتظرنا أن توضح لنا الغرض منه.

واصلت "ناز":

- عانى الناس بشدة عندما تم إخراجهم من بلادهم أثناء وبعد حرب البلقان. انحفرت تلك المدةُ للأبد في ذاكرة من عاصروها. تم إجبار آخرهم على مغادرة بلغاريا أثناء القمع الديني والعرقي في أواخر الثمانينيات، واستقر معظمهم في "تراقيا".

قال "فوفو":

- حيث يعيش أقاربهم.

قالت "ناز":

- يتحدث الناس دومًا عن أقاربهم.. أستخدم هذه الكلمة – أيضًا - لكن لا أحبها.

أخذت رشفةً من المياه المعدنية التي وضعها النادل على الطاولة ثم استعدت للعودة إلى الموضوع الأساسيّ.

قالت "ناز":

- كنتِ تسألين إن كان أصحاب المصانع دبروا مقتل أختي. أنا طبيبة أمراض قلب، تحتاجين لطبيب أورام؛ لكي يخبركِ عن خطورة الوضع في "تراقيا" بشكلٍ أفضل منّي، لكن سأعطيكِ بعض الإحصائيات البسيطة. ثلاثون في المائة من نسب الوفاة في هذه المنطقة تحدث بسبب السرطان، وهذا ثلاثة أضعاف معدل الوفاة على المستوى الوطنيّ في تركيا كلها. تعاني معظم الحالات من سرطان في المعدة والكبد، وسببه التلوث البيئي.

قال "فوفو" في دهشةٍ شديدة:

- ثلاثة أضعاف المعدل الوطني!

بدأت أقضم أظافري من التوتر.

قالت "ناز":

- معلومة صادمة، صحيح؟ مع ذلك لا يمكننا إقناع القرويين على الاتحاد ضد أصحاب المصانع. مما يوضح مدى الخوف المزروع في قلوبهم. سأجيب عن سؤالكِ الآن. أرى أن تطور الصناعة بلا رقابة في "تراقيا" يعني أن أصحاب المصانع يرتكبون جريمة قتلٍ في كل دقيقة بشكلٍ أو بآخر. يموت الناس من التلوث الموجود فعليًا. كما ستموت الأجيال القادمة لأن المصانع تستنفد مخزون المياه الجوفية وتلوث نهر "إرجين"، مما يدمر التربة الزراعية والغابات. تسألينني إن كان أصحاب المصانع قد قتلوا أختي. ما الذي تتوقعين مني قوله؟

جمدتني كلماتها، ولم أستطع الرد.

قال "فوفو":

- لا أفهم موضوع المياه الجوفية.

- أخبرونا أنه يوجد ستمائة مترٍ مكعب من المياه في وسط "تراقيا" منذ الأزل. في السنوات الأخيرة، تم استهلاك أربعمائة مترٍ مكعب من هذه المياه لغرض الصناعة بشكلٍ أساسي ثم في الزراعة والشرب. وهم يواصلون استخراج المائتي مترٍ مكعب الباقية. وعلى هذا الحال ستحدث أزمة جفافٍ في المنطقة في وقتٍ قصير.

توقفت "ناز" لتلتقط أنفاسها ثم واصلت:

- نقص مخزون المياه الجوفية مشكلةٌ كبيرة، لكن الأخطر منها هو أن المياه المستخدمة في الصناعة تتلوث بالمواد الضارة بصحة الإنسان والبيئة، ثم يعيدون ضخها أسفل الأرض. على سبيل المثال صناعة الجلود. هناك نوعان من عمليــات الصبغ، الصبغ بالخضراوات، والصبغ بـالكروم. يستغرق الصبغ بالخضروات أربعة أشهر ليصبح الجلد جاهزاً للاستخدام، أما الصبغ بالكروم فيستغرق أسبوعًا. الكروم هو معدنٌ خطير على صحة الإنسان. يمكنه الإصابة بالقرحة وسرطان الرئة. بالطبع يفضل صناع الجلود استخدام الكروم لأنه يوفر الـوقت. لـيس فقـط الكـروم، بـل هنـاك أيـضًا مـواد كيميائيـة مثـل "كبريتـات الصوديوم"، و"كبريتيد الهيدروجين"، و"ثنائي ميثيل أمين"، وكلها مستخدمة في عمليات الصبغ. هذه المواد يتم استخراجها من الجلد مع المياه التي تم سحبها من الآبار الجوفية. هل تفهمان معنى كلامي؟

كانت "ناز" تتحدث بسرعةٍ وغضب، لكن شرحها واضح.

قلت:

- نعم، أفهم. ماذا عنك يا "فوفو"؟

أومأ إيجابًا لأنه كان يستمع بانتباه.

قالت "ناز":

- إن المياه الملوثة بالمواد الكيميائية - وأسوأها الكروم - يتم ضخها إلى جوف الأرض مجددًا. يعني أن آبارنا الجوفية يتم تلويثها بلا رجعة.

قال "فوفو":

- يا إلهي! لماذا يضخون المياه الملوثة إلى باطن الأرض؟

- لأن صرف الماء في النهر غير قانوني. لا يوجد رقابة شديدة، لكن إذا تم كشف مصنعٍ يصرف ماءً في النهر، سيدفع غرامة. لذلك يقومون بضخ الماء إلى باطن الأرض مجـددًا. بالتأكيـد تعرفـان أنـه كـان يوجـد ورش دباغـة فـي إسـطنبول و"كازليتشيسمي".

- لم يكن "فوفو" في إسطنبول في ذلك الوقت، لكنني أتذكر. لقد نقلوا كل الورش خارج المدينة.

- نقلوا كل الورش من "كازليتشيسمي" إلى المنطقة الصناعية في "توزلا" وتوجب عليهم تركيب أجهزة تنقية. كل أصحاب المصانع ثاروا. هل تعرفان لماذا؟

- لماذا؟

- لأن فواتير الكهرباء ارتفعت كالصاروخ بسبب استخدام أجهزة التنقية. وبما أنه ليس هناك مياه جوفية في "توزلا"، كان عليهم أيضًا الدفع مقابل الماء الذي يستخدمونه. تساءل أصحاب المصانع هناك كيف يمكنهم التنافس مع أصحاب المصانع في "تراقيا" حيث يمكنهم تصنيع الجلود بتكلفةٍ أرخص بكثير، ومعهم حق في هذا، فكلامهم منطقي. القاعدة في "تراقيا" هي أن تأخذ الماء وتبًا للعواقب.

قال "فوفو" الذي شحب وجهه:

- غير معقول! هذا فظيع!

- بالفعل فظيع. لكننا تحدثنا فقط عن صناعة الجلود، هناك الكثير من الصناعات الأخرى في "تراقيا". هناك صناعة الزجاج والنسيج والأدوية وغيرها. كلها صناعات تلوث البيئة بشكلٍ أو بآخر. بدأت الصناعة بلا رقابة هنا منذ عشرين عامًا، وأنا أكافحها منذ عشرة أعوام. نرى ما يحدث لكننا نعجز عن فعل شيء. على الأقل خرجنا ببعض الفائدة.

- وما هي؟

- ازداد تأييد الناس لنا في السنوات الأخيرة. بدأنا الحملة منذ عشرة أعوام. كنا خمسة من الشباب؛ ثلاثة من "لوليبورجاز" واثنان من "تشورلو". اعتمدنا على دعم العائلة والأصدقاء. لم نعترض على الصناعة بل على عدم اتباع القواعد فقط، وهذا منطقي لأن المصانع تعتبر مصدر رزقٍ للكثير من العائلات في "تراقيا". أما الآن تقول أمي أنها أدركت الواقع، لذلك سنكثف جهودنا، لكنْ الأمرُ ليس سهلًا أبدًا.

- أظن أن قريتكِ هي الأكثر تنظيمًا من بين كل القرى.

- هذا بفضل والديّ. لقد فازا على الجميع. وهذا التقدم لم يقم فقط برفع الوعي البيئيّ لدى الناس، بل أيضًا غيرَّ آراءهم في الحياة. وبدأوا يسألون أنفسهم وينتقدون ما يحدث. من بين كل قرى "لوليبورجاز"، "كاياجيك" هي الوحيدة التي تسمح للعمال الرومانيين بنصب خيامهم. أعتبر هذا تقدمًا. هل رأيتما الخيام في طريقكما إلى القرية؟

- بكل وضوح.

- كما قلت، نحن نستهدف المصانع، مع العلم إنهم يستطيعون القضاء علينا في أي وقت. نحاول الآن تقدير التقدم البسيط الذي حققناه، لأننا لم نحقق بعد إنجازًا مهمًا. هناك قانون على وشك أن يتم وضعه، لكننا لا نستطيع تطبيقه بالقوة. نحن لا نعترض على وجود بعض الخيام إن كان ذلك ضروريًا.

علقت قائلة:

- لا يعتبر إنجازاً إن كان العمال الرومانيون يتقاضون أجوراً أقل. لو أن الجميع متساوون في الأجر لكان ذلك إنجازاً يستحق العناء.

سألتني "ناز" بدهشة:

- هل تحريتِ عن معدل الأجور هنا؟ لماذا فكرتِ في هذا؟

- اشتركت في احتجاجات ضد التمييز في ألمانيا في الثمانينيات، لذلك أعرف القليل عن هذه الأمور.

- لديكِ خبرةٌ إذاً. في بداية عملنا، كانت نقطة ضعفنا الأساسية هي قلة الخبرة. خسرنا وقتًا كبيراً لنتعلم بأسلوب التجربة والخطأ كيف نحصل على نتائج. أصبحت أفهم الآن أن هناك بعض الأمور التي لن يقبلها القرويون أبدًا. فمثلاً، لن يتحدثوا إليكِ لو اقترحت شيئًا يتضمن جمع تبرعاتٍ منهم!

قلت:

- أؤكد لكِ أنه ليس القرويين فقط، بل أهل المدينة أيضًا.

قالت "ناز" بابتسامةٍ حزينة:

- أجور العمال الرومانيين هي إحدى مشكلاتنا. أتمنى أن نستطيع حلها. هذا العام، وافق والدي على أن يدفع للرومانيين أجراً مساويًا للبلغاريين. ربما سيفعل الآخرون مثله في العام القادم.

- اعذريني لحظة.

استأذنتها ونهضت من على الطاولة لأن تليفوني رن. إنها "بيلين". ابتعدت لأستطيع التحدث بحرية. قالت إن "باتوهان" جاء إلى المكتبة ويسأل إن كان يمكنه انتظاري.

قلت لـ"بيلين":

- أريحيني وقولي إنكِ لم تخبريه إنني في "لوليبورجاز".

- لم أفعل.

- هل أخبرتيه إلى أين ذهبت؟

- هل ما زلتِ عند "لالي"؟

- لا تقولي شيئًا لـ"باتوهان".

- حسنًا.

- أعطه التليفون.

أخبرت "باتوهان" إنني سأعود إلى "كوليديبي" متأخراً جدًّا ولا يجب عليه انتظاري، لكن يمكننا اللقاء في اليوم التالي إن أحب.

- غدًا مستحيل، لكن يمكننا اللقاء يوم الجمعة.

اتفقنا على اللقاء في المكتبة مساء الجمعة.

عندما عدت إلى الطاولة، وجدت "ناز" و"فوفو" مندمجان في الحديث. كان "فوفو" يعبر عن مدى حبه لإسطنبول لدرجة أنه لا يستطيع الرحيل عنها.

سألت "ناز":

- هل زرتِ إسطنبول من قبل؟

أجابت:

- بالطبع. قضيت أيام دراستي في إسطنبول، ولديّ الكثير من الأصدقاء هناك. حتى أنني أفكر في البقاء في المدينة مدّةً. عدت إلى "لوليبورجاز" لأهدأ قليلاً بعد الجنازة. بالإضافة إلى أنه عليّ إحضار تقرير الطب الشرعيّ، وهناك بعض

الأشخاص الذين أريد رؤيتهم.

- هل سيسلمون التقرير للعائلة؟

- عليهم ذلك. على كل حال، إن الأطباء الشرعيين أصدقائي. بالتأكيد سيسلمونه إليّ.

- هل يمكننا رؤيته إن أعطوه لكِ؟

- لا يُسمح لكِ بأخذ نسخةٍ منه دون صفةٍ رسمية، أليس كذلك؟ أخبرني والدي أنكما ليسا من الشرطة. أنتما لا تشبهان الشرطة أبدًا.

يا لذكاء الأب وابنته! بدأت أحب هذه العائلة.

شجعني تعليقها فقلت:

- في الواقع، سينفعنا كثيراً إن زرنا بيت "ساني".

قالت "ناز":

- لقد أغلقته الشرطة. أظنه مجرد روتين أثناء قيامهم بالتحقيق.

قلت:

- ربما أغلقوا البيت لكن لم يخطر ببالهم تغيير الأقفال.

- من المفترض أن مفاتيح بيت "ساني" مع والدي. سأجلبها غدًا ونذهب معًا.

قلت:

- كان لديها "لاب توب". قالت سكرتيرتها "سيفيم" إن "ساني" لم تتركه قط.

- بالطبع. كانت "ساني" متشبثة بذلك الـ"لاب توب" وكأنه ملتصقٌ بها. ماذا حدث له؟

قلت:

- لقد اختفى.

تساءلت "ناز" في عبوس:

- اختفى؟ كيف يمكن أن يختفي؟

- لم يجدوه في شقتها أو مكتبها. هل ذكرت الشرطة شيئًا عنه؟

- لا. لقد مرضت أمي أثناء الجنازة وأخذناها بسرعةٍ إلى "لوليبورجاز". ربما يحاولون التواصل معنا حاليًا.

يبدو أن "باتوهان" لا يحقق تقدمًا في التحقيق. إنه لم يرَ عائلة الضحية حتى الآن! لكن أعترف بأنني شديدة الانتقاد للشرطة التركية.

سألتها:

- ربما تركت الـ"لاب توب" في سيارتها؟

أجابت "ناز":

- لم يكن لديها سيارة. لقد باعتها مؤخرًا لأنها أرادت موديلًا أحدث. اختفاء الـ"لاب توب" غريب. أظنه قد سُرِق على الأرجح. أتساءل إن كان هناك شخصٌ في شقتها حين ماتت.

- ربما اقتحم مجرم ما الشقة بعد وفاتها في ذلك اليوم ولم يبلغ أحدٌ. أعلم أنه احتمالٌ ضعيف لكن ليس مستحيلًا. ستتضح الأمور بعد حصولنا على تقرير الطب الشرعيّ.

تخطت الساعة السادسة. قلت:

- علينا الذهاب. سنعلق في زحام المساء، ويجب على الأقل أن نحاول العودة قبل منتصف الليل.

قال "فوفو":

- إن المسافة من "لوليبورجاز" إلى إسطنبول تستغرق وقتًا أقل من القيادة إلى البيت بعد الوصول إلى المدينة.

قالت "ناز":

- لا يمكن أن يكون الأمر بهذا السوء. أنتما تبالغان.

قلت:

- بل هو كذلك بالفعل. ويزداد سوءًا أثناء النهار. تزدحم الشوارع تمامًا في رمضان في الوقت الذي يسبق الإفطار.

قالت "ناز" وهي تسير معنا:

- لا أعرف إن كنت أستطيع تنظيم أموري غدًا، لكن بالتأكيد سآتي إلى إسطنبول بعد غد.

قلت:

- في هذه الحال، تعالي وقابلينا.

وصفت لها عنوان المكتبة وأعطيتها أرقامي، وأخبرتها أنني سأظل في المكتبة حتى ظهر يوم الجمعة.

oooooo

في طريق عودتنا إلى إسطنبول، تشاجرت مع "فوفو" أربع مرّات لأنه ظل ينتقد قيادتي. ربما كنت مسرعةً قليلًا، لكن مَنْ شبَّ على شيء شاب عليه. ليس ذنبي أن الطرق السريعة في ألمانيا لا تضع حدودًا للسرعة.

وصلنا إلى المنزل ساخطين على بعضنا وعلى زحام إسطنبول وقت الذروة. قضيت وقتًا طويلًا تحت الدُش.

ضبطت المنبه في الساعة وفي تليفوني المحمول؛ لكي أستيقظ مبكراً في الصباح التالي لأنهي بعض الأعمال. بعد ذلك فكرت في أن أفضل شيءٍ بعد يومٍ شاق هو نومٌ هانئ.

ooooooo

بمجرد أن دخلت المكتبة في الصباح التالي، فتحت الإنترنت لأبحث عن فرقة "سنيف" ومطربها "سِنان". قالت مواقع كثيرة أنهم يذهبون إلى بار "كارا" في "باي أوغلو" ليالي الجمعة. فكرت في أنه يمكنني التحدث مع "سِنان" بعد العرض، فقررت الذهاب إلى هناك مع "فوفو".

تصفحت موقع "سكاي رات"، لكن لم أجد أخبارًا جديدة مهمة. ولكي يمضي الوقت، بحثت عن عائلة "أنكاراليجيل" و"إيلين أكوز" وزوجها والتلوث في حوض نهر "إرجين" وموقع "جريتور" والـ"مرسيدس" التي اشتراها أصحاب المصانع لمحافظ "كوكايلي". لم أستطع التوقف بمجرد أن بدأت. أردت إعطاء نفسي بعض الراحة، فاتصلت بـ"لالي" التي كانت على وشك البدء في اجتماع ولا وقت لديها للحديث. اتفقنا على اللقاء في إجازة نهاية الأسبوع.

أخيراً وصل "فوفو".

قال بعينين منفوختين من أثر النوم:

- استيقظت للتو، كيف أتيت باكراً هكذا؟ اتصل "حسن". يريد سيارته؛ لكي يوصل والدته للمطار، وما زالت المفاتيح معكِ.

- حسنًا. لكن لا تتأخر، فربما أحتاج الخروج.

لم يهتم "فوفو" بكلامي كالعادة، وغاب ساعتين. بمجرد أن عاد تركت له المكتبة وعدت للمنزل.

ooooooo

في اليوم التالي، جاءت "ناز" قبل الظهر مباشرةً.

قالت وهي تدخل:

- يا لها من مكتبةٍ جميلة. أنتِ متخصصة في بيع روايات الجريمة إذًا.

جَلَسَتْ على الكرسيّ الهزاز الخاصّ بي، وهو شيءٌ لا أسمح لأي شخصٍ بفعله. لكنني تجاهلت الأمر هذه المرَّة.

سألتها:

- ما رأيكِ بتناول بعض الشاي؟

- نعم، شكرًا. وسيكون لطيفًا لو طلبتِ شيئًا نأكله إن أمكن. لقد أتيت دون إفطار؛ لكي لا أتأخر.

قلت لها عن الوجبات الخفيفة الشائعة في منطقة "كوليديبي":

- ساندويتش محمص بالجبن أو الببروني، أو ساندويتش كباب، أو الفاصوليا الحمراء.

- ساندويتش ببروني محمص، من فضلك.

تقاعد "ريجاي" قهوجي الحي العام الماضي، وتولى العمل بعده ابنه الكسول "مسلم" الذي يقضي يومه بجانب البوتاجاز ليراهن في سباقات الخيول ويتجاهل بيع الشاي. أشعر بالغضب حين أضطر لضغط الجرس عدة مرّات لأقدم طلبي، بدلًا من أن يحييني "ريجاي" وهو يحمل صينية بمجرد أن أدخل مقهاه. من آنٍ لآخر يوبخه والده، فيتحسن حاله بضعة أيامٍ قبل أن يعود كما كان. لقد مر يومان على الأقل على توبيخ والده الأخير، لأن "مسلم" لم يحضر الشاي حتى بعد وصول الساندويتشات من مطعم "بيتيك سناك بار". يئست من انتظاره وذهبت إلى البوتاجاز لأصبَّ الشاي بنفسي.

بينما انشغلت بصب الشاي ووضع الساندويتشات في طبق، وصلتني رسالة على

تليفوني تقول: "هل أنتِ وحدكِ؟".

إنها من "فوفو". من الواضح أنه يتساءل إن كانت "ناز" قد أتت أم لا. لم أكن مضطرةً لإرضاء فضوله، فلم أرد.

عدلت "ناز" جيبتها وسألت أيضًا إن كنا وحدنا. هل تظن أن هناك شخصًا مختبئًا خلف ستارة المطبخ الصغير؟

- نعم، وحدنا. لماذا تسألين؟

ذهبَت إلى واجهة المكتبة الزجاجية وراقبت الشارع مثل عميل مخابرات سوفيتي في فيلمٍ عن الحرب الباردة ويخشى أن يكون مراقبًا.

- أريد أن أخبركِ شيئًا ما، لكن يجب أن يظل سرًا بيننا.

ما قصدها؟ ألا أخبر "فوفو"؟

أزعجني هذا. هناك بالطبع بعض الأمور التي قد أخفيها عن "فوفو". قد أنتقد "فوفو" وأختلف معه، لكنني لا أدع شخصًا آخر يعامله بالطريقة نفسها. لو أخبرني شخصٌ ما سرًا، فلا أتوقع منه أن يشترط عليّ إخفاءه عن "فوفو". صديقي العزيز "فوفو" يمكن الوثوق به بالتأكيد. على كل حال، لن أدع شخصًا غريبًا يملي عليّ أفعالي.

قلت بانزعاج:

- لا يمكنني أن أعدكِ بعدم إخبار أي شخصٍ على الإطلاق. أنا و"فوفو" نعمل معًا كما تعرفين.

- لم أقصد "فوفو". أنا فقط لا أريد إذاعة هذه المعلومة لأن سلامة شخصٍ عزيزٍ عليّ تعتمد عليها.

يا إلهي! فكرت في أنها ربما تعرف عن علاقة "ساني" بـ"سِنان"، وقلت:

- لو أخبرت شخصًا ما فسيكون "فوفو".

لو أن هذا هو السر الخطير، فما علاقته إذًا بسلامة الشخص العزيز على "ناز"؟ فكرت في أنه ربما يكون هذا الشخص هو "سِنان"، وتخشى "ناز" أن يقتله "جيم أنكاراليجيل" دفاعًا عن الشرف إن انكشف أمر العلاقة.

بدأت الأفكار تتضح في ذهني. لكنني لم أظن أن "جيم أنكاراليجيل" من النوع الذي يقتل دفاعًا عن الشرف. الحمقى البدائيون فقط هم من يرتكبون هذه الحماقة. الأتراك العاديون - مثل كل الناس - ينتظرون عودة أزواجهم. وإن لم يحدث، يتطلقون.

أردت طمأنتها سواءً أكانت تتحدث عن علاقة "ساني" و"سِنان" الغرامية أم لا:

- لا تقلقي من إفشاء سركِ. أؤكد لكِ.

قالت "ناز":

- هذا ما أردت سماعه.

لكنها مع ذلك لم تبدُ مرتاحة.

اقترحت عليها:

- لا تبدين مرتاحةً هنا، يمكننا الذهاب إلى بيتي إن أحببتِ. إنه ليس بعيدًا.

- نعم، أود ذلك. المكان لطيفٌ هنا، لكنه محل ويدخله الزبائن في أي لحظة.

- سأتصل بـ"فوفو" وأطلب منه المجيء. إنه في البيت حاليًا، لكنه سيصل فوراً.

قالت "ناز":

- جيد. أقترح ألا نتحدث معًا برسميةٍ منذ الآن.

- فكرة رائعة.

ثم اتصلت بـ"فوفو".

ꝏꝏꝏ

بمجرد أن دخلنا الشقة، ذهبت لأحضِّر بعض القهوة. تبعتني "ناز" إلى المطبخ وقالت:

- يريد أبي أن يدفع لكِ ولـ"فوفو" أجرًا، أو على الأقل يدفع النفقات.

- مستحيل! فيم تفكرين؟

- لكنكِ لا تبدين ثرية.

- نعم، وأنتم تنفقون أموالكم على مكافحة أصحاب المصانع. ظننت أنني توصلت إلى اتفاقٍ مع والدكِ. لو أن "ساني" تعرضت للقتل، فأنا و"فوفو" نهتم بمعرفة القاتل.

في الواقع، لم يصرف "فوفو" قرشًا حتى الآن، لكن لن أذكر ذلك. أضفت:

- الأمر بدأ بسبب فضولي، أما الآن...

قالت "ناز":

- الآن ماذا؟

- الآن بعدما قابلتكِ أنتِ ووالدكِ ورأيت ما تفعلانه...

قالت "ناز" بحزن:

- لم ترَي شيئًا في الواقع، لأننا لم نحقق أي شيء.

- لكنكم تحاولون، وهذا يستحق التقدير. يمكنكِ القول إنني عرفت "ساني". كنا نقابلها طوال الأسبوع في وقت الغداء.

- في ذلك المطعم الصغير في المركز التجاري؟

- هل تعرفينه؟

- بالطبع. كانت "ساني" تأخذني إلى هناك عندما آتي إلى إسطنبول.

- أحببت ما سمعته عن "ساني". أعجبني أنها بعد المرحلة الابتدائية ذهبت للعيش مع عمها؛ لكي تستطيع دخول المدرسة الإعدادية. ألم يكن هناك مدارس إعدادية في القرية وقتها؟

- لا. كان علينا الذهاب إلى "لوليبورجاز". ليست بعيدةً جدًّا كما تعرفين. كان هناك أتوبيس صغير يلف على القرى ليأخذ الأولاد ثم يوصلهم إلى هناك. عرض عمي وعمتي أن يهتما بتعليم أختي لأنهما لم ينجبا أطفالًا، ووافق والداي. بعد ذلك رزقا بطفلٍ بعدما عاشت "ساني" معهما لبضع سنوات، لقد جلبت لهما الحظ السعيد.

- هل ذهبتِ إلى المدرسة الإعدادية في "لوليبورجاز"؟

- كنت في إسطنبول، ذهبت إلى مدرسة "جالاطا سراي ليسييه" بصفتي طالبة مقيمة.

صببت لنا كوبين من القهوة، وقلت:

- لنعد إلى غرفة الجلوس.

سألتني "ناز":

- هل يمكنني التدخين؟

- لم لا؟ لقد أقلعت مؤخراً عن التدخين، لذلك ستجدين طفاية سجائر على الرف.

- أتمنى لو أستطيع الإقلاع عنه أيضًا. لا أدخن بشراهةٍ على كل حال.

جلسنا على طرفيٍّ أريكة حمراء كبيرة ونظرنا إلى بعضنا وصينية القهوة بيننا.

سألتها:

- إذاً، ما السر؟

- لا أعرف إن كنتِ تذكرين منظمة مسلحة تسمى "KLA"، أي "جيش تحرير كوسوفو Kosovo Liberation Army"، التي ظهرت أثناء الحرب في "كوسوفو".

أومأت لها. صحيح أنني لا أقرأ الصحف، لكنني لست جاهلة.

- واصلت المنظمة نشاطها حتى 1999. لكن حين شارفت الحرب على الانتهاء، انتهت المنظمة معها. تم محاكمة بعض أعضائها، وقيل إن بعضهم عمل في مناصب إدارية في "كوسوفو"، بينما أخذوا بعضهم الآخر للالتحاق بالجيش الأمريكي. تم حذف منظمة الـ"KLA" من قائمة المنظمات الإرهابية عام 1998، بعدما وصفها الأمريكان بمجموعة من الإرهابيين عام 1997. اتضح لاحقًا أن منظمة "KLA" تم تدريبها على يد المخابرات الأمريكية، كما أنها تلقت دعمًا من ألمانيا مقابل حماية مصالحها في البلقان.

- هذا مثير للاهتمام، لكن ما علاقة هذا بنا؟

- اصبري وسأشرح لكِ. لا يوجد صلة مباشرة بالطبع. انتشرت الكثير من الشائعاتِ حول الـ"KLA" على الرغم من الإنكار المستمر لها. فمثلاً، قيل إن الـ"KLA" حصلوا على أسلحة من "بن لادن"، وإنهم قتلوا كل الألبان الذين استخدموا العنف ضدها، وإنهم تاجروا في المخدِرات في البلقان وأداروا المافيا في ألبانيا. لكن كل هذا لم يمنع الناس من اعتبارهم أبطالاً.

قلت:

- كانت قيادة الجيش والحكومة في يد الصرب، أما الألبان فكانوا أقلية مكبوتة. لذلك كان من الطبيعيّ أن يتعاطف الناس مع الـ"KLA".

أومأت "ناز":

- صحيح، لقد كسبوا تعاطفًا شديدًا.

- واصلي كلامك.

- كما قلت بالأمس، عائلتي ألبانية.

- نعم.

أدركت أن كل كلامها متعلق بكلامها عن الأصول العرقية بالأمس، لكن لم أفهم الصلة وقتها.

- يعيش الكثير من الألبان في تركيا. ليس فقط الألبان بالطبع، هناك أيضًا البوسنيون ومسلمو بلغاريا. تجدينهم يعيشون بالقرب من إقليم شَمال "إيجة" في مدن مثل "إزمير" و"مانيسا" وإسطنبول، لكنهم يتركزون في "تراقيا". من المستحيل حصر عددهم هناك. لقد ذابوا في مجتمعهم الجديد ونسوا لغتهم الأم، فهؤلاء المهاجرون من الجيل الثاني أو الثالث أو حتى الرابع. إن سيل المهاجرين الذين هربوا من الموت في حرب البلقان جاؤوا في وقتٍ كانت فيه البلقان متقدمة عن الأناضول، والأهم هو أن سكانها كانوا أفضل تعليمًا. وبالتالي حصل الكثير منهم على وظائف مرموقة في جمهورية تركيا حديثة النشأة. لذلك أظن إنه ما زالت توجد مشاكل عرقية أو ثقافية حتى الآن.

أدهشتني جملة "ناز" الأخيرة. ماذا تقصد بـ"حتى الآن"؟ وما المشاكل التي تشير إليها؟ أشعر أن الأفكار بدأت تترابط في عقلي تدريجيًا.

- هل تقصدين أن هناك منظمة مثل الـ"KLA" تأسست في "تراقيا"؟

قالت، وهي تشرب قهوتها:

- نعم، واسمها "TLF".

- "TLF"؟

- نعم، أي "قوات تحرير تراقيا Thrace Liberation Force".

لم أعرف ماذا أقول، فاستدرت وعدلت من وضعية الوسائد التي خلفي ثم سألتها:

- ما علاقة منظمة الـ"KLA" بكل هذا؟

- يتم اعتبارها مثالًا. لا أظن أنه يوجد صلة أخرى. سمعت أن الـ"TLF" مكونة من أهل المنطقة فقط.

سألتها:

- لكن لماذا لم نسمع شيئًا عن هذه المنظمة؟

- لأنهم لم يقوموا بأي نشاطاتٍ بعد. هذا هو السبب. إلا إذا كان أحدهم هو قاتل أختي.

- مهلًا، هل تظنين حقًا أن منظمة الـ"TLF" مسؤولة عن وفاة أختكِ؟

- قيل إن الـ"KLA" كانوا يقتلون أي ألباني لا يدعمهم. وبما أن منظمة الـ"TLF" مشتقة من الـ"KLA" قد يكون هذا نشاطهم الأول.

- هل عارضت "ساني" الـ"TLF"؟

- لا أعرف إن كانت قد عارضتهم مباشرةً، لكن يمكن القول إنها لم تتقبل أساليبهم. الـ"TLF" منظمة مسلحة، يعني أنها مستعدة لاستخدام العنف، وهذا ما عارضناه أنا وأختي دائمًا. هدفنا واحد مع "TLF"، وهو منع أصحاب المصانع من الإضرار بالبيئة وصحة الإنسان، كما أننا نؤمن بضرورة الرقابة على الهجرة. نريد كل هذا، لكن إن دخل العنف في الموضوع، من يدري ماذا ستكون النتائج. لا يوجد ما يضمن ألا تتحول المنظمة إلى مجموعة من المنشقين. عندما تصبح الأفعال متطرفة، فتميل الأفكار إلى التطرف أيضًا. وهذا لم يخطر حتى ببالنا.

سألتها:

- لكن كيف يعرف الـ"TLF" إنكم لا تدعمونهم؟

سألت "ناز" التي لم تفهم سؤالي:

- هل تسألينني إن كانت المنظمة اتصلت بنا أم لا؟

- نعم.

- لقد اتصلوا بي منذ ستة أشهر، وبعدها اتصلوا بأختي. ما أعرفه هو أن المنظمة تأسست منذ عام، وهم يبحثون في كل "تراقيا" عن أي أحد لديه استعداد لدعمهم ومن يمكن إقناعه بذلك. إنهم يتحدثون إلى أي شخصٍ معروف باهتمامه بالبيئة وانزعاجه مما يحدث، ما أعنيه هو أنهم لم يستهدفوننا مخصوص. ربما يكونوا قد ضغطوا علينا أكثر من الباقين، لكن الكثير من الناس قد...

- ضغطوا عليكم؟ أي نوعٍ من الضغط؟

- اتصلوا كثيراً بالتليفون وأثاروا ضجةً في المستشفى.

قلت فجأة بينما أنهض:

- سأحضر بعض الماء. هل تريدين أن تشربي؟

احتجت لحظاتٍ بمفردي لكي أستوعب ما سمعته. عندما عدت إلى غرفة الجلوس، كنت مقتنعةً أنني استمعت إلى ثرثرة شخصٍ على وشك الجنون.

تمتمت:

- ضجة ومكالمات وضغط...

قالت "ناز":

- هل تتساءلين عم كانت الضجة؟

كان عقلي مشوشًا لدرجة أنني لم أستطع توجيه سؤالٍ مناسب. في الواقع، لم أعرف ماذا أريد أن أسأل أصلاً.

- لحظة واحدة. دعيني ألخص لكِ ما فهمته حتى الآن. هناك منظمةٌ مسلحة اسمها "TLF" تأسست في "تراقيا"، ويريد أفرادها تكوين دولةٍ مستقلة. صحيح؟

قالت "ناز" بتشديد:

- لا. إنهم لا يسعون إلى الاستقلال، ليس الآن على الأقل. إنهم يريدون وضع حدٍّ لأساليب الصناعة غير القانونية ونقل بعض المصانع خارج "تراقيا" ووضع قيودٍ على العمال المهاجرين وتقوية الإدارة المحلية. البند الأخير بالطبع يمكن أن يتطور لاحقًا إلى المطالبة بحكمٍ فدرالي.

- ثم الاستقلال؟

- لا يستخدمون مصطلح "استقلال". تزايد الاستياء مؤخراً بسبب التطورات التي جرت في "تراقيا" على مدى العشرين عامًا الماضية، وتحولت لأزمةٍ أمنية بالنسبة للأحزاب السياسية الكبرى. رأى الكثيرون أن "تراقيا" تتعرض للنهب. وبما أنهم خسروا أرضهم مرةً أثناء حرب البلقان ونجوا بحياتهم بالحظ، أصبحوا يشعرون الآن بالتهديد مجدداً من المهاجرين القادمين إليهم.

- هل تظنين أنهم قد يدعمون منظمةً كهذه؟

- ربما. لكن الجميع خائفون لدرجة أنني لا أعرف إن كانوا يملكون الشجاعة الكافية.

بدأت أقضم أظافري من التوتر، وقلت:

- من الطبيعيّ أن يخاف الناس حين يوشكون على خسارة شيءٍ ما.

- المشكلة هي أن الحكومات تتبدل دون أن يتم حل مشاكلنا، ويزداد الوضع سوءًا بمرور الأيام. يدرك أهل "تراقيا" ما يحدث، على عكس باقي أهل تركيا. إن مستواهم التعليميّ أفضل، والمنطقة أكثر تطورًا، والقرى فيها طرق ومدارس.

- لكن، هل يمكن لمنظمة مسلحةٍ أن تكسب هؤلاء الناس في صفها؟

- في هذا البلد، رجل الأعمال الذي يسبب أكبر قدرٍ من التلوث البيئي يحصل على جوائز لمساهماته الاقتصادية. تخيلي لو أن أحد هؤلاء الرجال قُتِل أثناء عودته إلى المنزل وفي يده الجائزة. هل تظنين أن أي شخص فقد والده

بالسرطان الذي يسببه تلوث مصنعه سيحزن على وفاته؟ إن احترق مصنعه، هل أي شخصٍ سيعتبر ذلك حدثًا مأساويًا؟ لقد سئم الناس. بالطبع أفعال كهذه ستترك أثرًا فيهم.

ضغطت بأصابعي على جانبي وجهي لمحاولة تجنب صداعٍ فظيع، وقلت لها:

- نعم بالطبع.

- قد تكون "تراقيا" مكتفية ذاتيًا من الناحية الاقتصادية ولا تحتاج لكل تلك الصناعات. هناك أنهار "ماريستا" و"تونكا" و"إرجين"، وسهول فيضية وأحواض نهرية. كما يكتشفون آبار غاز طبيعي باستمرار، والجامعة عالية المستوى. ستكون الحياة هناك وردية دون التلوث البيئي والهجرة المتزايدة. المعايير في "تراقيا" تشبه معايير دول وسط أوروبا. إنها المنطقة الوحيدة في تركيا التي ارتقت لمستوى الاتحاد الأوروبي. هذه الحقيقة تم استغلالها بشدة.

- هل تحاولين إقناعي بفكرة جمهورية "تراقيا"؟

- لا، بل أوضح الحجج التي يتم استخدامها لكسب دعم أهالي "تراقيا".

- ونحن في المكتبة قلتِ إن حياة شخصٍ عزيز عليكِ في خطر.

- أشك في أن حبيبي السابق متورطٌ في كل هذا.

- وما زلتِ تظنين أن منظمة "TLF" قتلت "ساني"؟

- لا أعرف ما القرارات التي يتخذونها، ولا أعرف ما الدور الذي يلعبه حبيبي السابق في المنظمة. ربما لا يعرف شيئًا عن كل هذا.

- أظنكِ تدركين أن هناك نقاط ضعفٍ في نظريتي عن أصحاب المصانع ونظريتكِ عن منظمة "TLF".

- لماذا؟

- لماذا قد تسمح لهم "ساني" بدخول بيتها؟ قالت الشرطة إن الباب لم يُفتح

بالقوة. إن كانت "ساني" قد قُتِلت، فهي فتحت الباب لقاتلها. بمعنى آخر، كانت تعرف القاتل جيدًا لدرجة أن تفتح له - أو لها - الباب.

صمتت لحظة ثم أضافت:

- الحياة في إسطنبول تجعلكِ تفقدين الثقة في الناس، صحيح؟ لن تفتحي الباب لكل من يطرق عليه.

قالت "ناز" وهي تستدير لتنظر عبر النافذة:

- لنقل إنكِ من أصبح أكثر حذراً. هذه مدينة كبيرة وعليكِ الحذر طوال الوقت.

على ضوء شمس الخريف، لاحظت خطوط حول عينيها وعلى جبهتها لم ألحظها من قبل. ارتسم الحزن على وجهها فجأة، وظهر عليه علامات لمصاعب الحياة بما فيها من ربحٍ وخسارة وفرص ضائعة وأحلام.

قالت، وهي تغلق عينيها لحظات:

- بدأت أفقد إيماني بنفسي تدريجيًا منذ وفاة أختي. لم أعد أثق في نفسي أو في قدرتي على علاج المرضى أو إنقاذ نهر "إرجين" أو حتى الحصول على السعادة. فقدت ثقتي بكل شيء. لأول مرةٍ في حياتي، أشعر أنني منهكةٌ تمامًا.

- لماذا الآن؟ بدوتِ بخير بالأمس، وكنت تتعاملين مع حزنكِ بشكلٍ معقول.

قالت "ناز":

- حقًا؟ لا أظن ذلك. أظن أن كل شخصٍ يتعامل مع الحزن بأسلوبٍ مختلف. أنا مثلًا أفقد قدرتي على الشعور بأي انفعال وأصبح كتمثالٍ أجوف. تسوء حالتي حين أرى حالة والديَّ. ماذا سيحدث الآن؟ ماذا سيحدث لاحقًا؟

- سنفكر في خطة.

كنت أعلم أنها لا تقصد ذلك، لكنني تعلمت من "فوفو" أن المواقف الدرامية لا يجب أن تطول. واصلت:

- ستذهبين إلى الطبيب الشرعيّ، وأنا سأتحدث إلى الضابط المسؤول عن التحقيق هذا المساء وسأعرف ما يعرفون. ما رأيكِ؟

- جيد.

- هل تودين بعض الشاي الأخضر أو شيئًا آخر؟

ردت "ناز" وهي تنظر لساعتها:

- ما زال الوقت مبكراً، صحيح؟

- نعم، لنذهب ونأكل شيئًا. سيفيدكِ الخروج قليلًا.

قالت "ناز":

- هل يمكننا الانتظار قليلًا؟

قلت بينما أفتح النافذة ليدخل الهواء النقي والشمس:

- بالطبع، وقتما تحبين.

ستُحل الأمور من تلقاء نفسها. عيني الشمال ترف وكأنها تلقت لكمة. لا بد أنه صداعٌ نصفي.

5

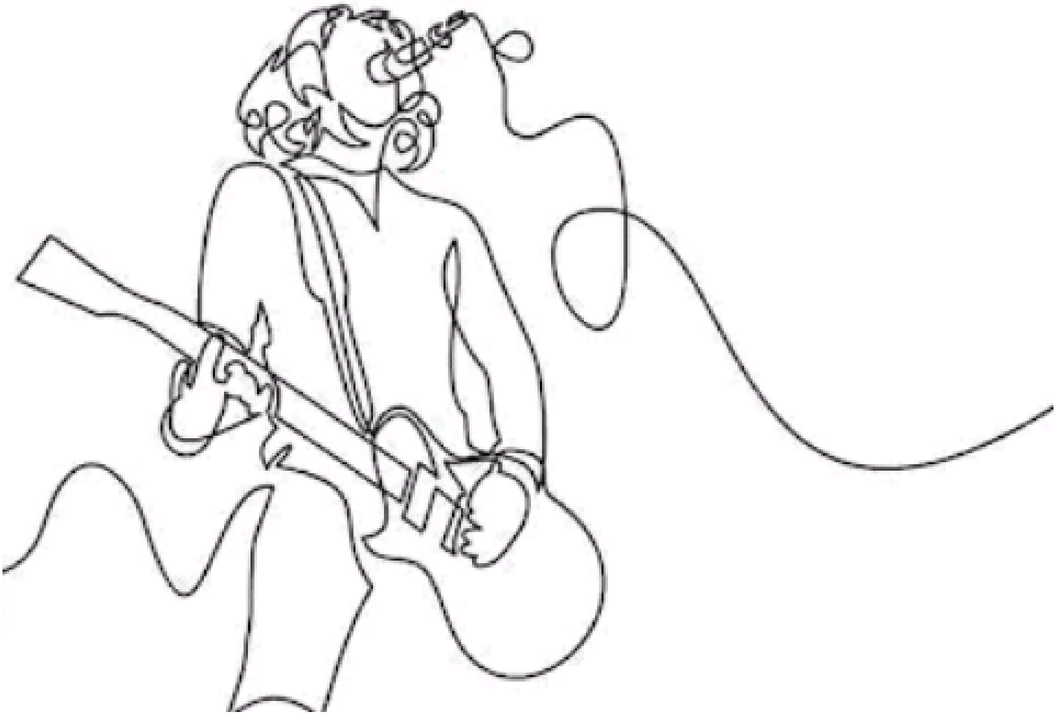

سألت "بيلين" بينما أدخل المكتبة:

- أين اختفى "فوفو" هذه المرَّة؟

كانت الساعة الخامسة تقريبًا. ذهبت "ناز" إلى الطبيب الشرعيّ، أما أنا بقيت أشاهد التليفزيون حتى مللت وقرأت رواية كنت قد وصلت لنصفها منذ أيام.

قالت "بيلين":

- ذهب ليقابل صديقًا وسيتناول العشاء معه. قال إنه سيعود إلى البيت ليلاً.

- لكننا ذاهبان إلى حفلةٍ غنائية هذا المساء.

- من سيعزف؟

- فرقة تسمى "سنيف". هل سمعتِ عنهم؟

- نعم، لا بأس بهم. أين الحفلة؟

- في بار "كارا".

- إنه مكانٌ سيئ. لو أن "سنيف" سيعزفون هناك، فسيكون المكان مزدحمًا، بل لا يطاق في الواقع.

لا يهمني، سأذهب في كل الأحوال. اتصلت بـ"فوفو" واتفقت معه على اللقاء لاحقًا.

اشتكت "بيلين" قائلة:

- أنا متعبة بإدارة العمل وحدي بينما تتجولان أنتما في كل مكان.

- في هذه الحال، لمَ لا تعودين إلى المنزل الآن؟

قالت "بيلين":

- إنه يوم الجمعة وسأقابل أصدقائي في "باي أوغلو" هذا المساء. لذلك ماذا سأفعل لو غادرت الآن؟ يستغرق المشوار إلى البيت ذهابًا وعودة ساعتين.

من الواضح أنها تأمل أن أقترح عليها الذهاب إلى شقتي، وبالفعل قلت:

- لمَ لا تذهبين إلى شقتي؟ يمكنكِ أن تستريحي هناك قليلًا قبل الخروج مساءً.

- أنتِ رائعة!

ثم نهضت فورًا وأخذت مفاتيحي وانطلقت.

oooooo

بدأت أراجع الحسابات الأسبوعية، لكنني عجزت عن التركيز. ظللت أراقب الباب والمارة في الشارع. انتظار "باتوهان" ليس سهلًا. قررت تأجيل مراجعة الحسابات ليومٍ آخر، وبدأت أتصفح الأخبار على الإنترنت. كانت الأخبار المملة نفسها عن من يقول ماذا لمن. فجأة دخل ثلاث زبائن دفعةً واحدة وبعت خمس كتبٍ خلال ثلاثين ثانية دون أدنى مجهود.

عدت لمكتبي وبدأت أرسم دوائر، وحرصت على أن تكون كلها بالحجم نفسه. بعدما لم يبق مكان في الورقة، أخذت غيرها وبدأت أرسم زهورًا بالقلم الجاف الورديّ الخاص بـ"بيلين"، لكن لم يكن الأمر ممتعًا مثل رسم الدوائر. هناك ماسح أحذية عجوز يعمل في مدخل مبنى متهالك يطل على الميدان. عندما أنهى ورديته، مر بجانب مكتبي وطرق على الزجاج لكي يتمنى لي ليلةً سعيدة. وجدت نفسي أنظر إلى الساعة كل سبع دقائق. طل عليَّ القهوجي الجديد "مسلم" وقال:

- هل تريدين شيئًا قبل أن أنهي عملي يا آنسة "كاتي"؟

- لا، شكرًا يا "مسلم". أبلغ والدك تحياتي.

يبدو أن والده وبخه مجددًا على إهمال العمل.

فتحت لعبة كمبيوتر تعتمد على الصبر، لكن لم أصبر على لعبها فأغلقتها. بعد ذلك دخل "دورسون"، وهو أحد أهم زبائني. كان "دورسون" يبيع أسطوانات مقلدة في محلٍ صغير في شارع "غالب ديدي"، لكن الشرطة طاردته. فاضطر لبدء العمل من جديد في قبو محل النجف المقابل للمعبد اليهوديّ. بعد مصادرة بضاعته، بدأ يبيع الأسطوانات في مدخل مبنى في زقاق "تشيشميلي". نسخ كل أفلامه على "هارد" كمبيوتر. لذلك كل ما عليَّ فعله هو إرسال إيميل له وسيرسل لي الفيلم في اليوم التالي.

قال "دورسون":

- لا تسير الأمور جيدًا يا آنسة "كاتي". لا تتركني الشرطة وشأني أبدًا. أوغاد! لا يتركوني أرتاح.

أضاف: إنهم في الأسبوع الماضي صادروا أكثر من مائتي فيلم وحجزوه مدة ليلة.

- أحتاج إلى طلبيةٍ كبيرة؛ لكي أقوم بخدمة التوصيل حتى المنازل في مرّةٍ

واحدة، فليس من الجيد التجوال باستمرار وبحوزتي أسطوانات مقلدة. إن لم تتحسن الأمور، سأبيع العصير.

شرح "دورسون" باستفاضة عن ارتفاع أرباح بيع العصائر أثناء الخريف والشتاء الماضيين. أعترف أنني كنت منحازة جزئيًا لعصير الرمان ولكوكتيل البرتقال مع الجريب فروت.

- يبيع عمي شرائح من ثمار جوز الهند والأناناس على عربة يد في شارع "غالب ديدي". يقول إن العمل مزدهر. لقد وجدت محلًا صغيراً. سأفتتح مشروعًا لبيع العصائر الاستوائية بعدما أدبر أموري. سأنتظر قدومكِ يا آنسة.

بعد مغادرته، دخلت الحمام وتأكدت من إغلاق باب المكتبة؛ لكي لا يدخل أحد في غيابي. عندما خرجت وجدت "باتوهان" منتظراً في الخارج.

قلت:

- كنت على وشك المغادرة.

قال "باتوهان" وهو يضحك:

- كنا مشغولين جدًا. غادر اثنان من فريقي لحفل عيد ميلاد، لذلك اضطررت للقيام بعملهما. ستكون الحياة أسهل إن استطعنا توظيفكِ مستشارةً لنا.

- نعم بالطبع! تعرف كم أحب الشرطة التركية.

رد وهو يضحك مجدداً:

- وهي أيضًا تحبكِ. لا تبدين سعيدة.

- لم تحدث جرائم قتل في إسطنبول مؤخراً. ماذا أفعل؟ إنها ليست غلطتي.

- لا توجد جرائم قتل؟! بل هناك زيادةٌ في معدل جرائم القتل، لكنها لا تثير اهتمامكِ على ما يبدو. ما زلت أظن أنكِ تتدخلين في بعض الحوادث التي تقع في "باي أوغلو".

- هذه المرة في "باشا بهتشه". أظنني مستعدةً للذهاب إلى البحر الأسود حتى.

ضحك بشدةٍ أكبر، وهو يقول:

- أنتِ توسعين نشاطكِ.

بدأت سخريته تزعجني، فقلت:

- هل أتيت لانتقادي يا "باتوهان"؟

- هل هذا ما تظنين أنني أفعله؟ في هذه الحال، لنتبادل وجهات النظر إذاً!

ضحك "باتوهان" فشاركته الضحك هذه المرَّة وقلت في سخرية:

- يا لك من ماهر!

سكتنا قليلاً وجلست أنا على كرسيِّ الهزاز بينما جلس هو على الكرسي المقابل.

سألته:

- هل تريد بعض الشاي؟

- لا، شكراً. لقد شربت الكثير اليوم.

- هل تريد أي شيء آخر؟

- لا، شكراً. كيف حال العمل؟

- هل هذا ما دار ببالك عندما عرضت عليك بعض الشاي؟

- هيا، لديكِ موظفان الآن، تلك الفتاة وذلك الشاب الذي رأيته سابقًا. ما اسمه؟

- "فوفو".

- ما هذا الاسم الغريب؟ يبدو مثل اسم كلب "بودل".

ضحكت على دعابته. يا له من فظ. قلت متجاهلةً سخريته:

- إنه اسمٌ إسباني. لا بأس بسير العمل، نتدبر أمورنا.

- يزداد عدد قراء روايات الجريمة في المدة الأخيرة. أفكر في كتابة مذكراتي عندما أتقاعد. سيكون العنوان "ثلاثون عامًا في قسم المباحث الجنائية". ما رأيكِ؟

- طويل جدًّا.

- لنجعله "ثلاثون عامًا من الجنايات".

- هذا يفي بالغرض. هل ستضم إليه قضية "ساني أنكاراليجيل"؟

- لا، لكن أفكر في أن أذكرك فيه. فكرت في فصلٍ بعنوان "محققة ألمانية تطارد الأدلة في شوارع باي أوغلو".

- يبدو ثقيلًا على اللسان بالنسبة لي.

فكرت في أن هذا القدر من الإبداع يبدو مبالغًا فيه بالنسبة لشرطي، ثم قلت:

- سأعد لنفسي بعض الشاي الأخضر. أخبرني إن أردت منه.

- كيف تشربين ذلك المشروب القوي؟

- ربما كان كذلك، لكنه مفيدٌ للصحة. هل تريد بعضه؟

- حسنًا، سأشرب معكِ.

بينما كنا في المطبخ بانتظار غليان الماء، سمعت باب المكتبة ينفتح. لا بد أنه زبون. يا له من توقيت! أنتظر في محلٍ فارغ لساعات ثم فجأة يأتي زبون.

إنهما زوجان أستراليان أرادا إخباري عن المغامرات التي مرا بها أثناء رحلتهما إلى "كابادوتشيا" حيث مرا بمواقف تكفي للتحدث عنها حتى الصباح. دفعتهما دفعًا خارج المكتبة وأغلقت الباب. أعرف أن إبعاد الزبائن ليس جيدًا، لكنني لا أريد

اختبار صبر "باتوهان" أكثر.

أعدت تسخين الماء وأحضرت الشاي.

سألني:

- أين كنا؟

- كنا نتحدث عن الكتاب الذي ستؤلفه عندما تتقاعد. هل ستذكر "ساني" في الكتاب؟

وضع "باتوهان" يده على ذقنه ودقق النظر إليّ وقال:

- هذا الفصل يمكن تسميته "وفاة مريبة".

- ليس "قتل"؟

قال في ملل:

- هل تريدين إجباري على قول كلامٍ محدد؟

من الواضح أن "باتوهان" ازداد نباهةً في السنوات التي مضت على لقاءنا الأخير. سألته:

- لماذا تقول ذلك؟

- تحدثي أنتِ أولاً.

- لا أعرف شيئاً. لديّ شكوكي في بعض أصحاب المصانع في "تراقيا"، والذين يحاولون الإفلات من العقاب.

- عصابة إجرامية؟

- إن كانوا يستطيعون الاتفاق على شراء "مرسيدس" للمحافظ، إذاً لن يصعب عليهم تأجير قاتل...

قاطعني "باتوهان":

- هل تحاولين القول إنهم ربما قتلوا "ساني"؟

- قلت ذلك لأنك سألتني. يمكننا الجلوس والسخرية من بعضنا إن كان هذا ما تفضله.

- تلك المرأة ماتت ولم تُقتل.

بدأ يتحدث بجدية، وإن كان وجهه ما يزال يحمل بعض ملامح سخريته السخيفة السابقة.

سألته:

- ماذا تعني؟ توفيت نتيجة الوقوع، صحيح؟

- بالضبط. ما الذي تحاولين قوله؟

قلت بينما أشرب الشاي:

- لو أنها سقطت لأن أحدهم دفعها، فهذه جريمة قتلٍ بالتأكيد. أما لو أنها انزلقت وسقطت، فالوفاة طبيعية. هل تعرف كيف سقطت؟

الشاي الأخضر مفيدٌ للصحة، فهو مضاد للأكسدة ويزيد نشاط المخ، وإن كان لا يفيد البشرة.

أضفت سؤالًا آخر:

- ألا توجد كاميرا مراقبة داخل المنزل؟

قال "باتوهان" وهو يرجع بظهره إلى الخلف ويشبك ساقيه:

- أنتِ تثيرين حيرتي. يجب أن تكتبي أنتِ الكتاب. يمكنكِ تأليف روايات جريمة رائعة بخيالكِ الواسع. هل دفع أحدهم الضحية أم أنها انزلقت ووقعت؟ كيف يمكن معرفة ذلك؟

كنت أفكر في كل ما تعلمته من كُتاب روايات الجريمة عن جرائم القتل التي يتم حلها باستخدام تكنولوجيا متقدمة على العينات المستخرجة من تحت الأظافر أو شعرةٍ عالقة في يد الضحية أو تحاليل الحمض النووي أو قطرة دم أو فرو كلب وما إلى ذلك. أشياءٌ كهذه يمكن أن تثبت أن "ساني" تعرضت للقتل. أما "باتوهان" فيقول إن المرأة توفيت ببساطة. كيف له أن يعرف دون فحص كاميرا المراقبة لتثبت إن كانت "ساني" وحدها في وقت الوفاة أو لا؟

نظر "باتوهان" إليَّ وكأنه تفوق عليَّ. لو أن "فوفو" كان هنا لقال: "الانتقام طبق، من الأفضل أن يقدم بارداً"، لكن إذا ترجم المثل إلى التركية سيقول مثلاً: "الانتقام مثل الشوربة الباردة، لا يمكن أن تشربها ساخنة".

وقف "باتوهان" فجأة، فقلت:

- كنت سأطلب لك وجبة كباب.

- فيما بعد. عليَّ الذهاب إلى قسم الشرطة لأقوم ببعض الأعمال. أنا مشغولٌ جدًّا.

- كما تحب.

- سأعطيكِ شيئًا إضافيًا تعملين عليه ويمكنكِ اعتباره تدريبًا لقدراتكِ الذهنية. نعرف أن "ساني" لم تُقتل، لكن كان هناك شخصٌ آخر معها في البيت.

صحت فيه:

- الآن تخبرني! هيا إذاً، أخبرني بما تعرفه!

هذه المرَّة ضحك "باتوهان" مثل الأيام الخوالي. هل بدأ يلين معي قليلاً يا ترى؟

- عليَّ الذهاب حقًا، مع أنني أتمنى لو بقيت لتناول الكباب.

- لكن لو أن شخصًا كان معها لأنقذها، صحيح؟

- بالضبط! كان يمكن إنقاذها، أو على الأقل كان ذلك الشخص سيتصل بالإسعاف. لكنه لم يفعل.

- لكنك تقول إنها ليست جريمة قتل.

- ليست كذلك. لكن علينا معرفة من كان معها في البيت، ولماذا لم يحاول إنقاذها.

سألت بينما تذكرت فجأة الـ"لاب توب" المفقود:

- لماذا أنت واثقٌ من أن أحدًا كان في بيت "ساني"؟ هل تم سرقة الـ"لاب توب" الخاص بها من هناك؟ هل هذا هو السبب؟

قال بهدوءٍ وبرود:

- لدينا أساليبنا في الشرطة التركية.

- ظننت أن أسلوب التعذيب انتهى منذ زمن.

ندمت فورًا على تعليقي، لقد كانت مزحة سيئة. قال:

- اعذريني، عليَّ الذهاب.

تساءلت إن كانت مزحتي أزعجته، ثم سألته:

- ما هي أساليبكم إذًا؟

ضحك وقال:

- هاها! لقد قلت الكثير بالفعل.

تجاهلت الأمر لأنني لا أنوي إغضاب "باتوهان" منِّي وسط التحقيق في جريمة قتل. غادرنا المكتبة معًا.

oooooo

كانت "بيلين" جالسة أمام التليفزيون. بمجرد أن دخلت الشقة نادتني من غرفة الجلوس، وقالت:

- لقد طبخت بعض أرز "بيلاف" المتبل.

لأول مرة لا أشعر بالجوع. قلت:

- لن آكل. متى ستخرجين؟

قالت "بيلين" وهي تعتدل في جلستها فورًا:

- إن كنتِ مشغولة سأغادر فوراً.

لماذا الناس حساسة جدًّا؟ قلت:

- أنا أسألكِ فقط.

- سنتقابل في الحادية عشر.

رائع! كان يمكنها الذهاب والعودة إلى منزلها عشر مرّاتٍ حتى الساعة الحادية عشر، لكن لم أقل شيئًا. لم أسمع أخبارًا من "ناز". هل تنوي حقًّا مقابلتي عندما تحصل على تقرير الطب الشرعيّ؟ على كل حال، لا يمكن الاعتماد على الشباب.

إن لم يأتِ الجبل إليك، فاذهب أنت إليه كما يقولون. قررت الاتصال بـ"ناز"، لكن لم يظهر شيئًا على شاشة تليفوني. لقد فرغت البطارية وانغلق الموبايل الرديء. لكن هذا أفضل من أن تكون "ناز" لا يُعتمد عليها لأنها تعمدت عدم الاتصال.

بدأت أبحث عن الشاحن في الشقة. إن مشاركة أي شيءٍ مع "فوفو" هي فكرةٌ سيئة؛ لأنه يضع أغراضي في أماكن غريبة بحيث لا أجدها أبدًا. بحثت أولًا في المقابس وعلى المكتب وتحت السرير في غرفته، ثم المقابس التي في غرفة الجلوس وغرفتي والمكتبة وغرفة الضيوف التي كانت فارغة إلا من سرير. بحثت في المقبس الذي فوق الثلاجة لأنني وجدته هناك كثيراً من قبل، وفي مقبس

الحمام الخاص بمجفف الشعر. كلما احتجت أن أجد شيئًا بسرعة، تمنيت لو أنه مزودٌ بنظامٍ صوتيّ ليرد مباشرةً إذا اتصلت بالرقم الخاص به مثل الموبايل.

فمثلًا إذا أضعت كتابًا وأكاد أجن لمعرفة نهايته، يكفي أن أنادي اسمه، مثل "Selige Witwen" - بقلم "إنجريد نول". إن لم يرد، سأنادي بصوتٍ أعلى! عندها ومثل السحر - سأجده تحت الكومودينو حيث كان هناك طوال الوقت.

أو مثلًا لو كنت أبحث عن طلاء الشفاه البني (بالتأكيد لن أختار أحمر) الذي أضع منه على خديّ أيضًا، وكنت في عجلةٍ للحاق بموعدي أيضًا، سأنادي "يا طلاء الشفاه!". لا، يجب أن أكون أكثر تحديدًا وإلا سيرد عليّ كل طلاء شفاه في البيت ولن أميّز بينها. أما لو ناديت "طلاء شفاه شانيل!".. "أبراكادابرا"!.. سيرد عليّ من داخل حقيبةٍ لم أستعملها منذ الشتاء الماضي.

خذ "فاطمة" على سبيل المثال. إنها تأتي مرّةً في الأسبوع لكنها تقضي ثماني ساعات في الشقة، وهي تظن أن هذا يمنحها حقوقًا أكثر من الساكنين أنفسهم. أرادت نظامًا يمنحها سيطرة كاملة، خاصةً في المطبخ. تغضب "فاطمة" كثيراً إن وجدت فتاحة الزجاجات في غير مكانها. لا أفهم لماذا قد يتعمد أي شخص تحريك شيءٍ بسيط كهذا، لكن هذا الأمر يهمها بشدة. إن أردت مثلًا أن أشرب صودا أثناء مشاهدة التليفزيون، سأجد الصودا، لكن ستمر نصف ساعة قبل أن أعود لمشاهدة الفيلم لأنني سأظل أبحث عن الفتاحة. أبحث في كل الأدراج وعلى الأرض وتحت الحوض وخلف سلة القمامة وداخل الدواليب، لكن بلا فائدة.

حين كنت أذهب للتخييم في الماضي، كان هناك بعض الشباب الذين يمكنهم فتح غطاء الزجاجة عن طريق تسليط نار الولاعة عليه. لكن بما أنني أعيش مع "فوفو" الآن، لا يوجد معي من يمتلك هذه المهارات. لذلك البحث عن الفتاحة هو الخيار الوحيد. وجدتها أخيراً. خمن أين هي؟ في كوبٍ زجاجي على الرف. ما الذي تفعله فتاحتي الصغيرة الجميلة هناك؟! لو أن جهازي الصوتي الخيالي تم اختراعه، كل ما عليّ فعله هو مناداة الفتاحة وسترد عليّ من داخل الكوب

الزجاجي الذي على الرف، دون أن أتعب في البحث عنها ويفوتني مشاهد مهمة في الفيلم.

ناديت على الشاحن ربما يرد عليَّ، لكنه لم يفعل بالطبع. لو أنني كتبت رقم "ناز" على ورقة، لاتصلت بها من على التليفون الأرضيّ. سنهلك إن ظللنا نعتمد على التكنولوجيا فقط. يجب كتابة الأرقام على ورقةٍ دائماً.

هتفت "بيلين" من مكانها:

- لماذا تصيحين؟ ولماذا تقفزين مثل "دجاجة" بأصابع محروقة؟

صححت لها بفظاظة:

- يقول التعبير "عاهرة" بأصابع محروقة، وليس "دجاجة".

- لا أحب تشبيهكِ بعاهرة، لذلك قلت دجاجة.

قلت بغضب:

- بدلًا من المبالغة في الأدب، لم لا تساعدينني في البحث عن الشاحن؟

- هل تبحثين عن الشاحن؟ لقد استعرته لأشحن تليفوني. ستجدينه في المقبس الذي خلف التليفزيون.

كدت أنفجر غضبًا، لكنني تمالكت أعصابي بصعوبةٍ كبيرة. وأخيراً نجحت في الاتصال بـ"ناز".

قالت "ناز" كما هو متوقع:

- لم أستطع الاتصال بكِ لأن تليفونكِ كان مغلقًا.

- لقد فرغت البطارية. أين أنتِ؟

- بقيت لأتناول مشروبًا مع أحد أصدقائي من الطب الشرعيّ. أنا في "باي أوغلو" الآن.

- عظيم. هل يمكن أن تأتي لمقابلتي؟ هل حصلتِ على التقرير؟

- نعم، هل تحدثتِ مع الشرطة؟

- نعم.

تذكرت حديثي مع "باتوهان"، لكن لم أحصل منه على الكثير.

- في هذه الحال سآتي. ما رقم المبنى؟

- رقم اثنان وعشرون. إنه أول مبنى بعد الناصية. احذري بينما تنزلين المنحدر. أحياناً يتربص بالمارة هناك بعض النشالين.

- حسناً.

يصبح شارع "غالب ديدي" مهجوراً أثناء الليل لأن كل المحلات تغلق أبوابها. في العام الماضي، اختبأ متشردٌ في مدخل سوبر ماركت كبير ليسرق حقيبة صديقتي السويسرية "ليز". لم ينجح في محاولته، لكنه تسبب في سقوط المسكينة مما أدى لكسر فخذها. تم نقلها إلى المستشفى لتخضع لعمليةٍ طارئة، ولم تستطع السير إلا بعد شهورٍ من العلاج الطبي في عيادةٍ سويسرية. نصحتها بأن تبحث عن مكانٍ آخر لتتعالج فيه، لذلك عادت إلى بيتها الريفي الحبيب بمجرد أن أتمت مدة علاجها. عندما وصلت "ناز"، أخبرت "بيلين" أن تطفئ التليفزيون وتذهب إلى مكتبي.

اعترضت قائلة:

- لن أصدر ضجة لو تركتيني أبقى هنا.

نظرت إلى "ناز" وفكرت في أنها لن تشعر بالراحة بوجود شخصٍ آخر يسمع حديثنا.

قالت "ناز" وهي تهز كتفيها:

- لا تشغلي بالكِ بي.

- حسنًا يا "بيلين"، لكن لو نطقتِ بكلمة ستذهبين إلى مكتبي. مفهوم؟

أعلم أن تهديدي لن يصنع فرقًا، وهذا تأكد لي بعد قليل.

سألت "ناز":

- ما أخبار تقرير الطب الشرعيّ؟

أجابت "ناز":

- لن يمكنهم التخلص من "ناز" بعدما عرفت النتيجة.

ما قصدها؟ هل هذا تعبيرٌ خاصٌ بين الأطباء؟

- ماذا تعنين بـ"لن يمكنهم التخلص من "ناز"؟

ذهبت "ناز" لتحضر حقيبتها من على الشماعة في الصالة، ثم أخرجت بعض الأوراق وأعطتها لي قائلة:

- اقرئي الفقرة الأخيرة.

يقول التقرير:

"تقرير قسم التحليل الكيميائي رقم 8334 ليوم 21 سبتمبر 2006 يؤكد أن عينات الدم والبول لا تحتوي على آثارٍ للكحول أو المخدرات أو السموم المرفقة مع التقرير. كما تنفي فحوصات الأمراض على عينات من المخ والحبل الشوكي والقلب والكلى والكبد والرئتين وجود أيّ أضرار في الأعضاء. بالإضافة إلى أنه لا يوجد آثار للتحلل الذاتي في البنكرياس.

تقرير قسم البيولوجي رقم 6879 ليوم 21 سبتمبر 2006 ينفي وجود آثارٍ للحمض النووي في العينتين واحد واثنين المستخرجتين من الثياب الداخلية للمتوفاة.

يشير الفحص الخارجيّ إلى أن الجروح الظاهرة التي حللها تشريح الجثة لا يمكن اعتبارها سببًا للوفاة. وهذه الجروح كالتالي؛ جرح بحجم 1x1 سم على المرفق الأيمن، وجرح بحجم 0,5x1 سم على المرفق الأيسر، وجرح بحجم 1x2 سم على الركبة اليمنى، وعلامات وخزٍ بالإبر على الذراع اليسرى بالقرب من ثنية المرفق، وجرحٌ نازف بحجم 7x10 سم في الجانب الأيمن من فروة الرأس. يفيد التقرير بأنه لكي يتم تحديد سبب الوفاة بدقة، يجب أن يحصل القسم على السجل الطبيّ الكامل للمتوفاة لمعرفة حالتها الصحية وقت الوفاة".

قالت "ناز":

- من الواضح أنها صدمت الجانب الأيمن من رأسها عندما سقطت، لكن ذلك لم يكن كافيًا لقتلها.

- وماذا عن علامات الوخز بالإبر؟

- نعم ، هناك علامات للوخز بالإبر على ذراعها، لكن لا توجد آثار لمخدِّراتٍ أو سموم في دمها.

- هل تظنين أنها كانت تتعاطى مخدِّرات؟

قالت "ناز":

- لا أعرف سبب وجود علامات الوخز.

نظرنا لبعضنا بقلق.

تمتمت أنا:

- من المؤكد أنها كانت مع رجل. لكن من هو؟

ثم نظرت إلى الصفحة الأولى في التقرير مجدداً، وقلت:

- لقد وجدوا صبغة جلدٍ بنية تحت أظافرها. ما مصدرها؟

- ربما من حقيبتها أو حذائها أو المقعد. صبغة الجلود في كل مكان. قد لا تعني شيئاً.

قلت بينما أضع التقرير على طاولة القهوة:

- أو قد تكون في غاية الأهمية لكننا لا نرى أهميته بعد.

أخذت "بيلين" التقرير ونظرت إليه بفضول، وقالت:

- يقول إنها لم تُقتل.

قالت "ناز":

- لا، لم تُقتل. ولا يوجد سببٌ واضح للوفاة. لم يكن جرح رأسها مميتاً، ولم تصَب بأزمةٍ قلبية، ولم يتم خنقها أو تسميمها. ومع ذلك ماتت.

لقد قرأت الكثير من روايات الألغاز، على الأقل واحدة أسبوعيًا منذ كنت في الخامسة عشر، لكن لم أقرأ قط عن وفاةٍ كهذه. لا آثار لمخدِّرات أو سموم، مع ذلك هناك علامات للوخز بالإبر على ذراعها. لم تمت بسبب خبطة الرأس. بحسب ما قرأت، لا يوجد في الكتب من مات بوفاةٍ طبيعية كهذه.

لماذا لم يجعل أي مؤلف مقتل الضحية يبدو مثل وفاة طبيعية؟ لماذا لم تعطني الروايات أي إشارة؟ الجواب سهل بالطبع، إن الوفاة الطبيعية لا تجذب القراء. لن تجد روايات جريمة دون جريمة قتلٍ يتم حلها.

في أدب الجريمة كل شيءٍ عقلاني ومنطقيّ دون تفاصيل إضافية وحيرة وتضليل. كل شيءٍ يحدث بدقةٍ شديدة، حتى لو تدخلت الأقدار والمصائر والمصادفات لتتحكم في الأحداث واستجابت الشخصيات بردود أفعالٍ متناقضة ومتنافرة ومعقدة. لكن في الحياة الواقعية يمكن لمحققٍ كسول مبتدئ مع صديقه أن يسعيا لحل قضيةٍ غامضة.

قلت:

- كان هناك شخصٌ ما في شقتها عند وفاتها.

سألتني "ناز":

- كيف تعرفين؟ هل أخبرتكِ الشرطة؟

- نعم، إنهم يؤمنون بأن شخصًا ما كان معها في ذلك الوقت.

- كيف تأكدوا من ذلك؟

- لا أعرف، لكن علينا معرفة هُويته.

- لو أن شخصًا كان هناك، لكان عليه طلب النجدة عندما سقطت "ساني".

- بالضبط. وما دام لم يتصل، فهو - أو هي - لا يريد أن يعرف أحد بوجوده هناك. ربما أحد أعضاء منظمة "TLF"؟

سألت "بيلين":

- ما هي الـ"TLF"؟

تجاهلناها وواصلت أنا:

- أو ربما أرسل أصحاب المصانع شخصًا ليقتلها لكنه قرر تركها عندما سقطت ظنًا منه أنها ستموت بأي حال.

سألت "بيلين":

- لكن لماذا؟

قلت:

- إن أمكننا معرفة السبب، سيكون سهلًا علينا تحديد هُوية القاتل.

سألت "بيلين":

- هل قرأت الشرطة تقرير الطب الشرعيّ؟

قالت "ناز":

- بالطبع. طلب المدعي العام إجراء تشريحٍ للجثة في اليوم نفسه. ذهبت الشرطة إلى المشرحة في الرابعة والنصف عصرًا، وتحدثت إلى المختصين دون انتظار التقرير.

سألت "بيلين":

- لماذا كتبت الصحافة الخبر على أنه حادثة؟ لتضليل الناس؟

قالت "ناز":

- من الواضح أنه عندما زار المدعي العام مكان الحادث، كان معه طبيب من مركز صحة "باشا بهتشه". ويبدو أن هذا الطبيب صرح بشيءٍ للصحافة دون أن ينتبه لما يدليه من معلومات.

- بما أن الشرطة اصطحبت طبيبًا، فهذا يعني أن الشكوك ساورتهم منذ البداية.

- قال صديقي من الطب الشرعيّ: إن وفاة امرأة شابة في بيتها دائمًا ما تُعتبر شيئًا مريبًا. حتى لو ظهرت الوفاة في شكل حادثة، يجب إثباتها بالأدلة. عندما تسمع الشرطة عن حادثةٍ مماثلةٍ، يبلغون المدعي العام فورًا لأن إذنه ضروري من أجل البدء بالتحقيقات الأولية وأخذ طبيبٍ شرعيٍّ معهم. هذا إجراءٌ طبيعي. كل منطقة في إسطنبول فيها طبيب شرعيٌّ، حتى "باشا بهتشه". لكن في يوم الحادثة، تم استعداء الطبيب الشرعي للمنطقة إلى مكانٍ آخر، لهذا ذهب معهم طبيبٌ من المركز الصحيّ.

سألت:

- أعلم أن المدعي العام يجب أن يرافقه طبيبٌ شرعي عندما يموت شخصٌ ما فجأة في البيت. لكن هل يقومون بتشريح الجثة دائمًا؟

- يقومون بتشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة إن لم يجدوا أدوية وعقاقير لأمراضٍ مزمنة في المنزل وإن لم يجدوا شهود عيان. إن كان المتوفى من عائلةٍ مشهورة مثل "أنكاراليجيل"، إذًا يتم تشريح الجثة بأي حال، بغض النظر عن عمر الشخص أو سجله الطبيّ.

قالت "بيلين":

- لو تتذكرين، لقد شرحوا جثة المؤلف "عزيز نيسين". مما يعني أنهم لا يفعلون ذلك مع الأثرياء فقط، فـ"عزيز" كان عجوزاً فقيراً، وكان بصحبة أصدقائه حين مات. لم يشك أحدٌ في أنه قد تعرض للقتل، ومع ذلك أجروا تشريحًا.

صحت فيها:

- توقفي عن المقاطعة. لقد وعدتِ بذلك!

قالت "ناز":

- لكنها محقة. لماذا أنتِ منشغلة بأمر التشريح إلى هذه الدرجة؟ لا يوجد ما يريب في تشريح جثة.

قلت بينما أنهض لأذهب إلى المطبخ:

- أحاول ربط الأفكار ببعضها؛ حادثة، تشريح، وفاة طبيعية، أصحاب مصانع، منظمة "TLF". الأمر محير، وأظن أن أفضل ما يمكنني فعله الآن هو إعداد كوبٍ من الشاي الأخضر.

عندما عدت، كانت "ناز" و"بيلين" تشاهدان التليفزيون.

قالت "ناز":

- أحتاج إلى التوقف عن التفكير قليلًا.

جلسنا نشاهد فيلمًا عن السرقة، مع أن المقدمة فاتتنا.

6

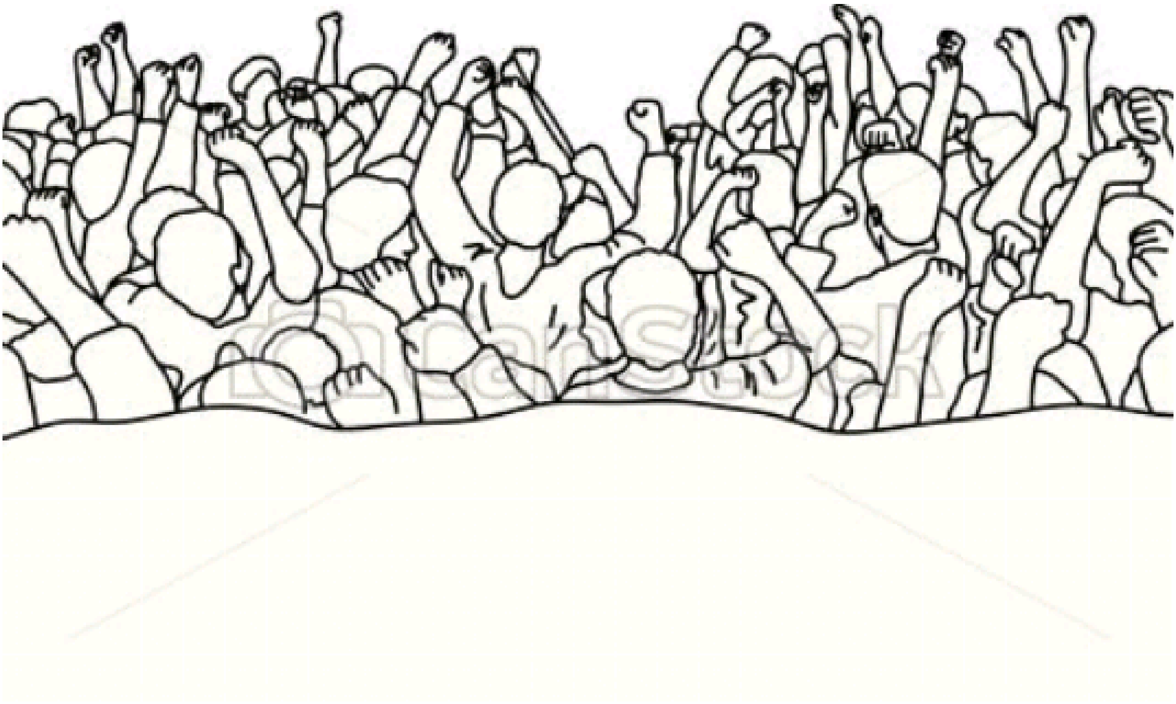

© CanStockPhoto.com - csp55752403

قلت بحدة:

- هل نسيت أننا سنخرج هذا المساء؟ لقد تأخرت مجدداً يا "فوفو". تأخرت خمسًا وعشرين دقيقة. لقد بدأ الحفل بالفعل، ونحن ما زلنا هنا.

لم أرد قط أن تكون مواعيده دقيقة كالألمان، لكن تأخره الدائم أزعجني كثيراً. إنه لا يأتي في موعده أبدًا ولو مرّةً من باب المصادفة.

- لم أستطع المغادرة قبل ذلك. متى بدأ الحفل؟

- لقد بدأ بالفعل. ولقد أردت أن أذهب باكراً.

- لم أكن مهتمة بالعزف، لكنني أملت في التحدث إلى "سِنان" قبل العرض.

سألته:

- هل تعرف الفرقة؟

قال "فوفو":

- الفتيات يعشقنهم. عزفهم ليس سيئًا في الواقع. ليس سيئًا أبدًا.

قلت بينما أنهض و"فوفو" يغوص أكثر في مقعده:

- هيا بنا.

تمتم:

- أحتاج مشروبًا.

- يمكنك أن تشرب هناك. بالإضافة إلى أنك أكلت بالفعل، صحيح؟

- كنت سأتناول قهوة.

- يمكنك أن تشرب هناك. هيا انهض!

اشتكى "فوفو" وهو ينهض:

- سيكون الوضع رهيبًا هناك.

لم يكن مزاجي يسمح بالاستسلام بعد الانتظار طويلًا.

oooooo

يقع بار "كارا" في قبو في شارع "سيراسيلفيلير"؟ وكان أحد الأماكن التي تضع حراسًا على مداخلها؛ لكي يفحصوا كل من يدخل أو يخرج. جعلت "فوفو" يشتري التذاكر. هذا أقل ما يجب عليه فعله للتعويض.

كان المكان مزدحمًا جدًّا بحيث لا يمكنك التنفس أو الحركة فيه. تراجعت إلى ركنٍ بجوار الباب. من المستحيل رؤية أعضاء الفرقة بوضوح من هذا البعد، وهذا لا يهمني. لكنني شعرت بالفضول لمعرفة أي نوعٍ من الأشخاص يكون "سِنان"، ولم أفكر في رؤية صوره على "جوجل".

اندمج "فوفو" مع الموسيقى، ورقص بطريقةٍ مضحكة. الفتى يملك طاقة مثيرة

للإعجاب. عزف "سنيف" ليس سيئاً. ما كنت لأشغل أسطواناتهم في البيت، لكن لا بأس به.

في وقت الاستراحة، حاولت شق طريقي بين الحشود إلى الكواليس، لكن هذا مستحيل بالطبع. الجماهير الغفيرة في طريقي ورائحة السجائر مع رائحة العطور والعرق جعلتني أشعر بالغثيان.

صاح "فوفو" في أذني وكأن الضجة ليست كافية من حولي:

- ماذا تفعلين؟

- سأذهب إلى الكواليس.

- لماذا؟

- أريد التحدث إلى المطرب الأساسيّ.

- هذا ما كان ينقصنا! لماذا تتصرفين كالمراهقين إذاً؟ ولماذا لم تخبريني بهذا من قبل؟

من الواضح أن "فوفو" المسكين كان يظن بأنني معجبة بالمطرب.

قلت ببراءةٍ متناهية بينما أسير وسط الحشود المتدافعة:

- لم تسنح لي الفرصة.

قال "فوفو":

- فلنخرج. هيا.

- لكنني أريد الذهاب إلى الكواليس. لماذا نخرج؟

قال "فوفو" بإصرار:

- تعالي معي وثقي بي.

كان الشارع صاخبًا مثل الملهى بالضبط. اختلط صوت سرينة الإسعاف التي تحاول الوصول إلى قسم الطوارئ في المستشفى المحلي بصوت سيارات التاكسي التي تطلق أبواقها بلا سبب. قال "فوفو" لأحد الحراس إننا نريد التحدث مع "روحي".

رد الحارس دون أن ينظر إلينا حتى:

- "روحي" بك مشغول.

جذبت "فوفو" جانبًا وسألته:

- من هو "روحي"؟

رد "فوفو":

- إنه المدير هنا والشخص الوحيد الذي يمكنه أخذنا إلى الفرقة. كان يذهب إلى "ألفونسو" ليأخذ دروس اللغة الإسبانية.

لا أحتاج إلى سؤاله من هو "ألفونسو". إنه حبيب "فوفو" السابق، الذي رحل معه وتركني.

- من فضلك، أخبره أن "فوفو" هنا. إنه ينتظرنا.

لم يحرك الحارس ساكنًا.

صحت فيه:

- أنت! ألا يمكنك النظر إلينا على الأقل؟

ثم نظرت إلى "فوفو" وقلت:

- هذا مهين! إنه لا ينظر إلينا حتى!

قال "فوفو":

- ليس خطؤه. إنه مضطرٌ للتعامل كل ليلة مع أشخاص يخبرونه بأسماء مشاهير على أمل أن يتمكنوا من الدخول مجاناً. إنه لا يعرف أننا نعرف "روحي" حقًا، وهو لن يسمح حتى لوالده بالمرور مجاناً. الأمر ليس شخصياً، لذلك لا تغضبي.

- لم لا؟ لقد خرجنا بسببك.

قال "فوفو" وهو يشير إلى ختم الدخول على ظهر يدي:

- لا تقلقي، يمكننا الدخول في أي وقت.

- لكن الاستراحة تكاد تنتهي، وسنضطر للانتظار حتى نهاية الحفل لكي نقابل "سِنان".

بصراحة، لا أرغب أبدًا في الدخول إلى هذا المكان الخانق.

قال "فوفو":

- اصبري، لديِّ فكرة. سأتصل بـ"ألفونسو" وأطلب منه رقم "روحي".

ثم أضاف عندما لاحظ مدى سروري بالفكرة:

- لكن لن أدعكِ تفلتين بفعلتكِ بهذه البساطة.

- لماذا؟ ماذا فعلت؟

- لقد خدعتني لأصدق إننا هنا من أجل الحفل، في حين كنتِ تنوين مقابلة المطرب طوال الوقت.

- لكنك يا عزيزي "فوفو" لم تعطني فرصةً للشرح.

أمسكت بشعره، أو بالأحرى ما تبقى منه. لقد بدأ صديقي العزيز يصاب بالصلع.

ظل "فوفو" يصعد وينزل من على الرصيف وهو يتكلم مع "ألفونسو" ثم "روحي".

استدار إليَّ أخيراً، وقال:

- الوضع كالآتي، سيقابلنا "روحي" فورًا، لكن فرقة "سنيف" سيصعدون على المسرح الآن وسنضطر للانتظار حتى نقابلهم.

- حسنًا، سننتظر. ما باليد حيلة.

شعرت أن الكثير من عملنا يتطلب انتظاراً.

الحارس الذي لم ينظر إلينا منذ قليل، اقترب منا ومعه جهاز لاسلكيّ، وقال:

- سآخذكما إلى مكتب "روحي" بك.

دخلنا من بابٍ صغير وسرنا في ممر ضيق وشبه مظلم. طرق الحارس على أحد الأبواب وانتظرنا حتى دعانا شخصٌ ما للدخول.

- ادخلوا.

قال "روحي" وهو يعانق "فوفو":

- عزيزي "فوفو".

- كان عليك ألا تقطع علاقتك مع الإسباني، فلقد كانت تسير على ما يرام.

- لا فكرة لديك كم أنا مشغول. سنفتح ناديين آخرين، والعمل يتراكم عليَّ. سمعت أنك و"ألفونسو" انفصلتما.

- شعرت أنني ولدت من جديد عندما تركته.

لم يخبرني "فوفو" قط أنه كان على خلافٍ مع "ألفونسو".

قال "روحي":

- أنا وحبيبي انفصلنا الأسبوع الماضي أيضًا.

قال "فوفو":

- ستعودان لبعضكما، دائمًا تنفصلان وتعودان.

قالها "فوفو" بنبرةٍ توحي بأنه يجس النبض بينهما ولا يقصد فعلًا إظهار ثقته بعلاقتهما.

رد "روحي" فورًا:

- لا، الانفصال جاد هذه المرَّة. لقد خرج من حياتي.

ضحك مع أنه يتألم بكل شدةٍ ووضوح، ثم أضاف:

- لقد أحب امرأة. ويا لها من امرأة كالرجال! ليتكما تريانها. عندما يتغير شخصٌ ما بشكلٍ جذري، فيجب أن يكون الهدف يستحق.

سأل "فوفو":

- ماذا تعني بأنها كالرجال؟

بينما يتحدثان شعرت بوجود أشخاصٍ خارج الغرفة التي ما يزال بابها مفتوحًا.

رد "روحي" على سؤال "فوفو":

- لا أعرف، إنها ضخمة وبدينة وقبيحة.

قال "فوفو" وهو يستدير إليَّ:

- "روحي" لديه تعبيرات ممتعة.

سألت نفسي عن الممتع في هذا.

قال "روحي":

- لم تعرفنا ببعض.

- هذه "كاتي" رئيستي في العمل وزميلتي في السكن وصديقتي وكل شيء في

حياتي تقريبًا.

قال "روحي":

- ألم تكوني تعيشين في "جيهانجير"؟ كنا نرى بعضنا مصادفة في المقهى الموجود في "فيروز أغا" أحيانًا.

ثم استدار لـ"فوفو"، وقال:

- أنا أعرف هذه السيدة من قبل أن أقابلك حتى.

قلت:

- لقد انتقلت إلى "كوليديبي" الآن.

- تفضلا بالجلوس. ماذا تشربان؟ ويسكي؟

قلت بينما أستريح على مقعدٍ جلديٍّ:

- نعم، من فضلك.

سأل "روحي" بينما يملأ بعض الكؤوس من زجاجة ويسكي "لاجافولين".

قال "روحي":

- أخبراني، ما سبب قدومكما اليوم؟

قال "فوفو":

- نريد مقابلة مطرب الفرقة هذه الليلة.

قال "روحي" وهو يغمز لـ"فوفو":

- الجميع يريدون لقاءه. لكننا لا نلقِ له بالاً.

- هل تريدين ثلجًا في الويسكي؟

ثلج في "لاجافولين"؟ ستكون جريمة في حق هذا المشروب! قلت:

- لا، شكراً.

- ماذا تريدان من "سِنان"؟

قال "فوفو":

- "كاتي" من أشد معجبيه.

قلت:

- هذا صحيح.

سأل "فوفو":

- كيف هو؟

رد "روحي":

- إنه شابٌ راقٍ. ليس كمن تقابلهم في أماكن كهذه عادةً. لا أعرفه جيدًا، لكن لديه كاريزما رهيبة.

سألته:

- هل يمكنك تقديمنا إليه حقًا؟

ضحك "فوفو" و"روحي" كأنني قلت شيئًا غبيًا.

قال "روحي":

- التقديم ليس مشكلة. أعذراني لحظة، عليَّ تفقد الأحوال في الصالة. انتظراني وسأعود بسرعة. من الأفضل أن يراقب المدير موظفيه باستمرار.

لا أحب الكذب على "فوفو"، لذلك بما أننا وحدنا الآن شرحت له سببي الحقيقي لمقابلة "سِنان".

- كانت "ساني" على علاقةٍ بـ"سِنان". لهذا أردت لقاءه، لكنني لست معجبة بالفرقة أبدًا.

- ما نوع العلاقة؟

- قلت لك "علاقة". ما نوعها في رأيك؟!

- ألهذا جررتني معكِ إلى هنا؟ لماذا لم تخبريني من قبل؟ لماذا أخفيتِ عني؟

"فوفو" يكرر الأسئلة دائمًا عندما يكون منزعجًا.

قلت بينما أفكر في كيفية إصلاح الأمر:

- لم أخفِ شيئًا عنك.

- لماذا لم تخبريني بهذا من قبل؟

- لم تسنح الفرصة.

صاح ووجهه يحمر من الغضب:

- لم تسنح الفرصة؟ ماذا تعنين يا "كاتي"؟ من تخدعين؟

- أعني أن الفرصة لم تسنح لي لأنني عرفت للتو.

ماذا عساي أقول غير ذلك؟ لو اعترفت بأنني أعرف عن "سِنان" منذ بضعة أيام، سيلتهمني حية من الغضب.

واصلت:

- لم أصارحك بالأمر لأننا لم نكن وحدنا. لو أنك لم تتأخر عن موعدك بخمسٍ وعشرين دقيقة، لأخبرتك قبل أن نخرج.

- كان يمكنكِ إخباري في الطريق.

- حسنًا، هل كان عليَّ إخبارك في شارع "استقلال" أم ميدان "تقسيم"؟ ربما لو اعتذرت على تأخرك كنت سـ..

احتج "فوفو" قائلًا:

- يا إلهي! لنغير الموضوع. إن الجدال معكِ عقيم. أنتِ مثل الزئبق، دومًا تجدين وسيلةً للفرار.

صحت فيه:

- يا للمصادفة، كنت أفكر في الشيء نفسه عنك يا "فوفو".

قال وهو يشبك ذراعيه أمامه:

- أرفض الجدال معكِ يا "كاتي".

بعد ذلك تصافحنا وتبادلنا القبل وجلسنا ننتظر "روحي".

○○○○○

قال "روحي":

- اتبعاني. إنهم على وشك المغادرة من الباب الخلفي، لكننا سنمسك بـ"سِنان" قبل أن يهرب.

جمعنا أغراضنا وشربت ما تبقى من الويسكي على دفعةٍ واحدة. لن أترك ولو نقطة من الـ"لاجافولين". تبعنا "روحي" عبر الممر حيث انفتح أحد الأبواب ودفعنا شخصٌ ما إلى الداخل.

قال "روحي":

- "سِنان"، معي صديقان يريدان مقابلتك. إنهما من أشد معجبيك.

سار نحونا رجلٌ طويل بشعر بني قصير وسوالف طويلة. كان يرتدي "تيشيرت"

ملتصقًا بجسده بسبب العرق. يا لوسامته! لم تخطئ "ساني" في اختيارها قط.

أنا و"فوفو" قدمنا أنفسنا إليه فأومأ بتحية.

قلت:

- هل يمكنك منحنا بعض الوقت؟ نحتاج التحدث إليك في أمرٍ خاص.

- أود ذلك، لكن مستحيل. فنحن سنغادر فوراً. سأعطيكِ صورة.

- أي نوعٍ من الصور؟

قلتها بكل جدية لأنني لم أفهم قصده. فأنا لا أقابل فنانًا له معجبين كل يوم.

- صورة موقعة.

أدركت أنه حان الوقت لأتوقف عن التظاهر بأنني معجبة، فهمست له:

- في الواقع، نريد التحدث معك بشأن "ساني".

تغيَّر تعبير "سِنان" مباشرةً. ذهبت شخصية مغني الروك الواثق والمغرور وحلت محلها نظرة ذهول وحيرة. لكنه ما زال شديد الوسامة. لا يمكن تغيير هذا.

سأل "سِنان":

- من أنتما؟

أجبته:

- لسنا من الشرطة.

- هذا واضح، لكن من أنتما؟

قال "فوفو":

- سنشرح لك.

ثم سحب نفسًا طويلًا وكأنه سيحكي تاريخ حياته. هذا تصرفٌ خاطئ، لأن الرجل مشتبه به في قضية قتل. فقاطعت الحديث:

- نحتاج إلى التحدث معك. متى يمكننا اللقاء؟

عض "سِنان" على شفته وهو يفكر قليلًا ثم قال:

- أعيش في منطقة "روملي حصار". عندما تصلان إلى هناك، ادخلا أي مقهى واتصلا بي. سيأتي أخي ليأخذكما. أراكما غدًا.

ثم استدار وغادر.

قال "فوفو":

- مهلًا، لم تعطينا رقمك.

- حقًا؟ آسف، نسيت. لقد كان أسبوعًا شاقًا وأرهقني.

حديثه عن أخيه الذي سيأخذنا ومحاولته للرحيل دون إعطائنا رقمه أقنعاني بأن "سِنان" سيتهرب منا.

قلت لـ"فوفو" بينما نخرج من الغرفة:

- أراهنك إنه تليفونه سيكون مغلقًا عندما نتصل به غدًا.

- هل تظنين ذلك حقًا؟

- بالتأكيد. وإلا فلماذا لم يعطنا عنوانه مثل أي شخصٍ طبيعي؟

كان "فوفو" مبهورًا بـ"سِنان" وتفكيره مشلولا، فلكزته؛ لكي أعيده إلى صوابه.

سأل في شرودٍ كمن خرج من حلمٍ للتو:

- ماذا نفعل إذًا؟

- لنأخذ عنوانه من "روحي". هل معه؟

- حتى لو ليس معه، يستطيع الحصول عليه.

وهذا ما حدث بالفعل.

ooooo

تذكرت يوم الجمعة أنني اتفقت على اللقاء مع "لالي" ظهراً، لكنني نسيت.

اعترفت لها:

- أنا و"فوفو" ذاهبان للتمشية عند البوسفور قبل أن نخرج هذا المساء. لقد نسيت موعدنا معًا تمامًا.

قالت "لالي":

- كيف ستجدين رجلًا جديدًا بينما تخرجين مع "فوفو" وأصدقائه المثليين؟

- لا فرق بين خروجي معه وخروجي معكِ.

- أحد أصدقاء "إيرول" سيقيم حفل شواء في حديقة منزله الليلة.

- هل تخبرينني أن الجلوس لتناول كفتة مشوية مع مجموعة أشخاص لا يجارون الموضة ومع أطفالهم وكلابهم هو خيارٌ أفضل لي؟

لا أفهم أبدًا كيف تتشبث النساء بأوهامٍ تقليدية عن إيجاد حبيب؟ حتى ولو كانت أعز صديقاتي من ضمن هؤلاء النساء!

- أعترف أنه ليس بديلًا جيدًا، لكنه مفيد.

- ما مفهومكِ عن "ليلة جمعة مفيدة"؟ لأنني أقول لكِ إن تناول كفتة في "كيمير بورجاز" ليس في قائمة اختياراتي.

قالت "لالي":

- لم أقل إن البيت في "كيمير بورجاز".

عندما قلتِ إن الحفل في حديقة أحد الأشخاص، أول منطقة خطرت ببالي هي "كيمير بورجاز". أين هو إذاً؟

قالت "لالي":

- في "باشا بهتشه". لا عليكِ. ربما يمكننا اللقاء وسط الأسبوع في المساء حين أكون في "كوليديبي".

- مهلًا. أين بالضبط في "باشا بهتشه"؟

- كيف لي أن أعرف؟ هل تناول الطعام مع أشخاصٍ لا يجارون الموضة سيكون أفضل لو أنه في "باشا بهتشه"؟

كان "باشا بهتشه" مكاناً صغيراً في منطقة غابات على الجانب الأسيوي من البوسفور. في الماضي، كان معظم سكانه يعملون في المصانع المحلية التي تصنع مشروب الـ"راكي" والزجاج. ثم انتبه الجميع فجأة لإمكانيات المنطقة، فخضعت لتطوير عقاريٍ مكثف. الآن تحولت واحدة من أقدم قرى الصيد على البوسفور إلى منطقة فيلاتٍ جديدة. ويخبرني حدسي بأنه في حفل الكفتة سأجد أشخاصًا يتناقشون حول الشائعات المنشورة في موقع "سكاي رات". إنها فرصةٌ لا تعوض.

قلت:

- قد يكون هذا لطيفًا في الواقع. لقد مللت من المرح ليلًا في "باي أوغلو". أظنني أحتاج بعض التغيير. هل يمكن أن يأتي "فوفو" معي؟

سألتني "لالي" بجدية:

- فيم تفكرين يا "كاتي"؟

لا أطيق الأصدقاء الذين يفهمونني تمامًا. يحق للإنسان أن يخفي بعض الأسرار،

صحيح؟

- سأشرح لاحقًا.

- يمكننا المرور لاصطحابكِ. وإلا كيف ستذهبين إلى هناك؟

- بالأتوبيس والميكروباص والتاكسي.

- هـذا سـيستغرق وقتًا طويـلًا! سنأتي لاصـطحابكِ مـن ميناء المعـدية فـي "أوسكودار".

oooooo

غادرنا في الظهيرة للذهاب إلى "سِنان". وبما أن الجو جميل، قررنا الخروج من التاكسي في "أرنافوت كوي" والتمشية باقي الطريق. في الثالثة بالضبط، جلسنا على مقعدٍ يطل على البوسفور، واتصلت بالرقم الذي أعطاه لنا "سِنان".

هتفت في دهشةٍ بينما أتساءل إن كان عليَّ الثقة بالناس الآن:

- إنه يرن!

قال "فوفو":

- أترين! كان علينا الثقة به.

رن التليفون مدةً طويلة قبل أن ينقطع الاتصال آليًا. قلت:

- إنه يرن لكن ما من مجيب.

- حاولي مجددًا. ربما لم يستطع الرد قبل انقطاع الاتصال.

حاولت بضع مرَّات، لكن بلا فائدة. قلت:

- لم نخطئ بشأنه. لنركب تاكسي ونعود للبيت.

- هل تظنين أن الرحيل ببساطة هو الحل المناسب؟

- لقد جئنا كل هذا الطريق إلى هنا، ومن أجل ماذا يا "فوفو"؟ بأي حال، هل قابلت محققًا حسن الأخلاق من قبل يقوم بترتيب موعد مع مشتبهٍ به مثلما فعلنا!

- لكننا لا نعمل وفق المعايير التقليدية. نحن لا نقتحم خصوصية الناس حتى لو كانوا من المشتبه بهم. لهذا نحن محبوبان.

- محبوبان؟

- يمكننا أن نكون كذلك. يمكننا أن نصنع سمعةً لأنفسنا هكذا.

- لا أهتم بكوننا محبوبين. لن نحل هذه القضية على هذه الحال. لو أن "سِنان" هو القاتل، فسيتجنب لقاءنا بالطبع. وسينجو بفعلته لو تصرفنا كضعفاءٍ مهذبين وتركناه على افتراض أنه متعبٌ قليلاً.

بدوت مقتنعةً تمامًا.

قال "فوفو":

- حسنًا، لنعد إلى المنزل. لكن على الأقل اتصلي به مرةً أخيرة.

اتصلت مجددًا. رن طويلًا ثم انقطع الاتصال.

- انتهى الأمر. سنغادر.

بينما كنت أشرح لـ"فوفو" في التاكسي معنى "ضعفاء مهذبين"، رن تليفوني برقم مجهول.

أجبت فرد صوتٌ ناعس:

- لقد اتصلتِ بي.

- "سِنان" بك، هل هذا أنت؟

- نعم.

- لقد تحدثنا بالأمس واتفقنا على اللقاء اليوم.

- لقد استيقظت للتو. لم أسمع التليفون.

أندهش دائمًا من قدرة الناس على النوم بعمقٍ أكثر منِّي.

- نحن في طريقنا إليك بالتاكسي.

- هل أعطيتكما العنوان؟

- لا، لكننا حصلنا عليه بأي حال.

- هل يمكن أن تأتيا بعد نصف ساعةٍ؛ لكي أستحم أولًا؟

لم يبدُ منزعجًا لأننا حصلنا على عنوانه.

- بالطبع.

وماذا يمكنني أن أقول غير ذلك؟!

طلبنا من سائق التاكسي أن يستدير ويعود بنا إلى "روملي حصار" حيث جلسنا في حديقة شاي وتأملنا البحر بصمت. كنت منزعجةً لأنني لن أحصل على وقتٍ لأغيِّر ملابسي قبل لقاء "لالي" و"إيرول"، وأيضًا لأنني مضطرةٌ لإطاعة رغبات أحد المشاهير، بغض النظر عن وسامته.

في النهاية ركبنا تاكسي آخر، لكن السائق هذه المرَّة لم يعرف المنطقة بتاتاً، وتعبنا حتى وجدنا المنزل. توقفنا عند محل وعند جزار لنسأل عن الاتجاهات، ثم أخيراً خرجنا من التاكسي عند طريقٍ ذي مدخلٍ واحد.

قلت لـ"فوفو":

- "سِنان" على حق، ليس من السهل إيجاده.

علق "فوفو":

- سائقو التاكسي في إسطنبول يعجزون حتى عن إيجاد ميدان "تقسيم".

- لا تبدأ بالشكوى من سائقي التاكسي مجدداً من فضلك.

- لكنني محق، أليس كذلك؟

ثم رن الجرس قبل أن يمنحني فرصةً للرد.

ooooooo

فتح الباب شابٌ يبدو أصغر من "سِنان" ببضع سنوات. كان في مثل وسامته، ولا يرتدي شيئًا إلا منشفة حول خصره. عجز "فوفو" عن الكلام، فأجبرت نفسي على التحدث. قلت بصوتٍ مبحوح قليلًا:

- لدينا موعدٌ مع "سِنان".

- ادخلا. أنا "ألكان"، شقيق "سِنان".

- يسعدني لقاؤك.

كنت صادقةً تمامًا، فأنا لا أقابل رجلًا وسيمًا كهذا كل يوم.

قادنا "ألكان" إلى الطابق الأول من البيت ذي الواجهة الضيقة.

- اجلسا وسأعود حالًا، كنت أعد بعض القهوة.

ثم نزل للطابق الأرضيّ بينما تتحرك المنشفة حوله وهو يسير.

كنا في غرفةٍ تحتوي على أريكة ومقعدين مريحين، والجدران مزدحمة برفوف مليئة بالأسطوانات. عاد "ألكان" بسرعة حاملًا كوبين كبيرين من القهوة، وما زالت المنشفة حول خصره. قال:

- سأحضر اللبن والسكر.

قلت:

- لا أريد.

قال "فوفو":

- أنا أريد.

نزل "ألكان" مجدداً، ومال "فوفو" ليهمس في أذني:

- ماذا سيحدث لو سقطت المنشفة يا ترى؟

نظرت له بتوبيخ. لماذا يصبح بعض الناس منحرفين عندما لا يكون لديهم حبيب؟

عاد "ألكان" ومعه السكر في يد واللبن في اليد الأخرى.

قال قبل أن يذهب مجدداً:

- سأذهب لأتفقد "سِنان".

قلت لـ"فوفو" الذي يشرب القهوة بكل أريحية ولامبالاة:

- نحن هنا منذ الثالثة.

عندما عاد "سِنان"، كنت على وشك أن أفقد أعصابي. فلقد بدا لي أنه كان يأمل أن نغادر ببساطة إن جعلنا ننتظر طويلاً.

قال:

- آسف لجعلكما تنتظران.

قال "فوفو" بكل سعادة:

- لا بأس. لا يهم.

أوقفت الكلام الذي على طرف لساني تجنبًا لأي انفعال.

قال "سِنان":

- هلا دخلنا في صلب الموضوع؟ قلتما بالأمس إنكما تريدان التحدث عن "ساني".

قلت:

- وأنت سألتنا من نكون.

علينا التخلص من هذه النقطة أولًا، فأضفت:

- نحن نعمل لصالح عائلة "ساني".

لم أكذب، فوالدها عرض علينا أن يدفع أجرًا.

- أنتما محققان لوكالةٍ خاصة إذًا. لكن لا توجد جريمة. لا أفهم لماذا توظف العائلة محققًا خاصًا.

تظاهرت بأنني لم أسمع الجملة الأخيرة، لأنه من الحكمة الانتظار قليلًا قبل فتح موضوع القتل. قلت:

- في الواقع لديَّ مكتبة في "كوليديبي".

- "كوليديبي"؟ لا تقولي أنك متخصصة في بيع روايات الجريمة!

قال "فوفو" في دهشةٍ وهو يتساءل كيف يمكن ألا يلاحظ رجلًا وسيمًا كهذا:

- هل أنت أحد زبائننا؟

- ليس أنا، بل أمي. إنها تقرأ الكثير من روايات الجريمة، وهي من أفضل زبائنكم على الأرجح.

ثم نادى بصوتٍ عالٍ:

- "ألكان"! إنهما يملكان المكتبة التي تحبها ماما.

سألته:

- أخبرني، كيف تبدو والدتك؟

قال "سِنان":

- إنها في الخمسينيات، وشعرها أشقر تربطه على شكل ذيل حصان. ترتدي نظارة شمسٍ دائماً حتى لو كانت الشمس غير ساطعة.

بدأ شكلها يتكون في عقلي، فسألته:

- هل تفضل قراءة الروايات باللغة الإنجليزية؟

- إنها تقرأ باللغة الإنجليزية بشكلٍ عام. تقول إن معظم روايات الجريمة المترجمة إلى التركية رديئة.

لم أظن قط أنها مهما كانت جذابة يمكنها إنجاب هذين الوسيمين. سألته:

- هل والدتك هي "بريهان" هانم؟

- بالضبط. أحسنتِ!

لم يتذكرها "فوفو" بعد.

جاء "ألكان" الذي خلع المنشفة وارتدى بنطلون جينز مقطع، لكنه ما زال بلا قميص. سأل:

- ما الأمر؟

أجاب "سِنان":

- إنهما يعرفان ماما، فهما يملكان مكتبة روايات الجريمة في "كوليديبي".

قال "فوفو" في تواضع:

- "كاتي" هي المالكة. أنا أعمل هناك فقط.

هل يحاول كسب تعاطفهما؟

قال "سِنان":

- آسف، لقد نسيت اسمك.

- "فوفو".

- لديك لكنة مختلفة. ما هي؟

يا لها من طريقةٍ ذكية لسؤال أحدهم عن جنسيته.

قال "فوفو":

- أنا إسباني. أتيت إلى إسطنبول منذ ست سنوات.

- لقد أجدت التركية لهذه الدرجة في ست سنوات. يا له من إنجازٍ رائع في مدةٍ قصيرة.

شعر "فوفو" بالفخر وانتفخ مثل الديك الرومي، ثم استدار إليَّ وكأنه يقول "هل سمعتِ هذا؟".

لا أستطيع إضاعة الوقت في أحاديثَ تافهة بعد كل هذا الانتظار، فتدخلت قائلة:

- نريد التحدث عن علاقتك بـ"ساني".

قال "سِنان":

- أشعر بالفضول لمعرفة كيف علمتِ بعلاقتي مع "ساني".

- لقد وعدت ألا أكشف هُوية الشخص الذي أعطاني المعلومة.

قال بصدقٍ واضح:

- فهمت. هل أخبركِ ذلك الشخص أننا انفصلنا؟ يمكنكِ إخباري بذلك على الأقل.

- انفصلتما؟

أدركت فورًا أن هذا قد يعني أنه ليس الشخص الذي كان معها وقت وفاتها. إما هذا أو أنه يكذب.

- لقد انفصلنا في 19 يونيو.

من الغريب أنه يتذكر تاريخ انفصالهما بالضبط. بعض الناس ما زالوا مهووسيين بهذه الأشياء.

- لقد تقابلنا في بيتي مساءً. كانت "ساني" خائفة من أن يكتشف زوجها علاقتنا، لذلك رفضت اللقاء في الأماكن العامة وظللنا نتقابل في بيتي. بعدما تناولنا الطعام، قالت إن علاقتنا انتهت. ولم أرها بعد ذلك. اتصلت بها بضع مرّات، لكنها عاملتني بجفاءٍ شديد فتوقفت عن الاتصال.

إما إنه ممثلٌ بارع أو إنه بالفعل ما يزال غاضبًا أو على الأقل يشعر بالإهانة؛ لأن امرأة هجرته.

سألته:

- لماذا لم تحضر الجنازة؟

- كيف أحضر؟ الصحافة كانت ستذهب بالتأكيد، وسيتساءل الناس ماذا أفعل هناك. لماذا أحضر جنازة امرأة متزوجة؟ لم ترغب "ساني" قط في كشف علاقتنا للعلن. كانت منزعجة من فرق السن بيننا، لكن العائق الأكبر كان زواجها.

سألت بدافع الفضول فقط لأن هذا لا يؤثر على التحقيقات:

- كم فرق السن؟

- ثماني سنوات.

هذا يعني إنه في الخامسة والعشرين.. في ريعان شبابه!

- كانت "ساني" خائفة دائماً؛ خائفة من أن يكون زوجها يراقبها، خائفة من أن تتسرب صور لنا معًا، خائفة من اكتشاف أمرنا، خائفة من كل شيء. كانت واثقة أن زوجها سيفعل ما بوسعه ليتهرب من دفع نفقة الطلاق. لكنها لم تكن في حاجةٍ إلى النفقة في الواقع. لقد كانت مثقفة ومتعددة المواهب لدرجة تمكنها من الحصول على عملٍ في أي مكان وقتما تريد. لكن لم أستطع إقناعها بهذا. لسببٍ ما كانت تشعر دائماً بأنها غير مؤهلة.

صورة "سِنان" عن "ساني" تختلف تمامًا عن صورتي. لقد تخيلتها امرأة مبادرة ومستعدة للقتال من أجل مبادئها حتى النهاية مهما كانت العواقب.

واصل "سِنان":

- لقد تفاجأت حقًا حين عرفتها شخصيًا. هل تريدين رأيي؟ أظن أن الجميع يولد بقدرٍ معين من الروح القتالية. لكن إن تم إجبار أحدهم على القتال في سنٍ صغيرةٍ، سيستهلك مخزونه من القدرة القتالية. لقد اعتادت على حياة الثراء التي وفرها لها زوجها، ولم تستطع أن تتخيل نوعًا آخر من الحياة.

قلت:

- مع ذلك لم ترغب في العيش مع زوجها.

- لا فكرة لديَّ عن حقيقة علاقتهما. لم تخبرني ولم أرد أن أعرف لأنني لا أحب مناقشة العلاقات السابقة. كان واضحًا أن قلبها مجروح، لكنها لم تبح بأسرارها قط. لهذا اندهشت عندما وجدتكِ تعرفين بشأن علاقتنا. هل أخبرَتِ أختها؟

التزمت الصمت.

- لقد رأتنا سكرتيرة مكتبها معًا. ربما هي من أخبرتكِ.

لم أجبه.

- ألن تقولي شيئًا؟

- لقد وعدت ألا أقول شيئًا.

ساد صمتٌ مزعج، وساء أكثر حين حاولت التفكير في أعذارٍ أقولها لأغادر. أخيراً سألت:

- هل تعرف أي شخصٍ يريد قتل "ساني"؟

أرجع "سِنان" ظهره إلى الخلف وضحك. نظر "ألكان" إلى أخيه وشاركه الضحك. هذان الأخوان يعرفان كيف يمرحان.

قال "سِنان":

- تتحدثين مثل شخصٍ يستمتع بقراءة روايات الجريمة. ماما مثلكِ. كلما مات شخصٌ ما افترضت أنها جريمة قتل، بغض النظر عن هُويته أو الطريقة التي مات بها. عندما تُوفيت عمتها ذات السابعة والثمانين، كانت أمي مقتنعة أن صاحب المحل القريب سممها. حتى عندما تقرأ عن حوادث الطرق، تبدأ بالبحث عن دوافع شريرة خلف الحادث. وفي النهاية تتعجب لأننا لا نقرأ روايات الجريمة!

قال "ألكان":

- إنها لا تفهم أن هذه الأفكار قد تصيبها بجنون الارتياب. فرضًا أن الزوج قتل "ساني"، فرضًا أنه كان يتجنب دفع النفقة. كلها افتراضات.. افتراضات.

نظر "سِنان" بحدةٍ إلى أخيه ثم التفت لنا وسأل:

- هل تشكان بزوجها؟

قلت وأنا أبدو كقارئة تقليدية لروايات الجريمة:

- من الطبيعيّ أن يحوم الشكُّ حول الأشخاص المقربين من الضحية. لو سألت والدتك ستقول ذلك.

- ستكون كارثة لو أن كل الأزواج الرافضين دفع النفقة بدأوا بقتل زوجاتهم. لا. لا أظن أن "جيم أنكاراليجيل" قد يقتل لكي لا يدفع مبلغ النفقة البسيط. لكن لو أن "ساني" ارتبطت بشخصٍ آخر من بعدي وهو علم بذلك، فربما. لا أعرف. ربما تعتبر الغيرة دافعًا منطقيًا.

قلت:

- مال، غيرة، انتقام، قلب مكسور، كبرياء مجروح... كل هذه الأشياء تعتبر دافعًا قويًا لشخصٍ تعرض للرفض.

ضاقت عينا "سِنان" وهو يقول:

- في هذه الحال، أنا في قائمة المشتبه بهم بالتأكيد. فلقد أخبرتكِ بنفسي أن "ساني" تركتني.

شعرت أنه من غير اللائق أن تتهم شخصًا بالقتل بينما تجلس في بيته وتتناول القهوة، فقلت:

- لا أقول إنك في قائمة المشتبه بهم. نحن نتحدث فقط.

- لقد أغضبتني "ساني". كنت مستاءً جدًّا حين هجرتني، وحاولت إقناعها بإعطاء علاقتنا فرصةً أخرى. لكن قتلها أو الرغبة في قتلها...

قال "فوفو" بترقب:

- نعم؟

سار "سِنان" في الغرفة وقال بعينين دامعتين:

- لم أكن مفتونًا بها لدرجة قتلها إذا انفصلنا.

بدا مقنعًا جدًّا، لكن لم أعرف لماذا. بالتأكيد ليس بسبب دموعه أو بلاغته غير المتوقعة بالنسبة لشاب في الخامسة والعشرين.

قلت:

- علينا الذهاب. اتصل بي إن تذكرت شيئًا ما.

قال "سِنان":

- أنا و"ساني" كنا معًا لثلاثة أشهر فقط. عندما تقابلنا كانت على وشك ترك زوجها. لقد حدث كل شيءٍ بسرعة وانتهى بسرعة.

سأله "فوفو":

- كيف تقابلتما؟

سؤال وجيه بالفعل. أجابه "سِنان":

- كانت تعمل لصالح المؤسسة نفسها التي تعمل بها الخالة "إيلين". طلبوا منا القيام بحفل غنائي لصالح المؤسسة. عندها تقابلنا. هل تعرفين "إيلين"؟

قلت:

- نريد التحدث معها، لكن من الواضح أنها مسافرة. هل تعرف إن كانت قد عادت أم لا؟

- لم أعرف حتى أنها مسافرة.

من الواضح أننا لن نعرف المزيد من "سِنان"، ويبدو أنه لا يعرف ما قد يفيدنا. لذلك أشرت لـ"فوفو"؛ لكي نغادر. لكن يبدو أنه لا يرغب في الرحيل بعد، بل بدا مستعدًا تمامًا لقضاء بضعة أيامٍ يتأمل وسامة الأخوين.

قلت:

- هيا يا "فوفو". نحن مدعوان لحضور حفل. لا يصح أن نتأخر.

قال "سِنان":

- سأسجل رقمكِ في تليفوني، وسأتصل بكِ لاحقًا.

قال "فوفو" وهو ينهض أخيراً:

- سنعطيك خصمًا بالتأكيد إن أتيت لمكتبتنا.

لا أظن أن "سِنان" سيتصل أو سيأتي للمكتبة.

ооооо

قال "فوفو" بينما نغادر البيت في طريقنا إلى البحر:

- حسنًا، لم نعرف الكثير، لكنَّ هذين الأخوين مذهلان. قلة من الناس تتمتع بهذه الوسامة، بما فيهم نجوم هوليوود.

- هل تتحدث بجدية؟

- لم لا؟ في رأيي، حتى "براد بيت" يبدو بشعًا مقارنةً بـ"ألكان".

- لم أقصد هذا. أنت قلت إننا لم نعرف الكثير.

- وماذا عرفنا إذًا؟

- لو أن الزوج كان يراقب "ساني" بالفعل، إذًا فلا بد أن من راقبها يعرف إن كانت وحدها وقت الوفاة أو لا. لماذا لم يخبر "جيم" الشرطة بشيء.

- آهٍ منكِ يا عزيزتي. لقد تخليتِ بسرعةٍ عن نظرية أصحاب المصانع في منطقة "إرجين".

- أنت تعرف جيدًا أننا ما زلنا في مرحلة تكوين النظريات. هذه فقط نظرية جديدة.

قال "فوفو" وهو يهز رأسه يأسًا منّي:

- هل تصدقين حقًا احتمالية أن تكون مراقبة؟ إنها مجرد حيلة رخيصة تستخدمها النساء اللواتي يحببن رجالًا أصغر سنًا منهن.

- ماذا تعني؟ أي خدعة؟

- عزيزتنا "ساني" اختلقت هذه القصة لكي تثير "سِنان". وكأنها تقول: "أترى؟ الجميع يريدني لكنني أختارك أنت لأهبك نفسي". إنها حيلةٌ رخيصة وحقيرة. تعلمي يا عزيزتي! كان مجرد شابٍّ مفتون يقول لنفسه: "وااااو، يا لها من امرأة! لقد اختارتني مع أن لديها زوجًا مثل "جيم أنكاراليجيل". فكري كم كان الأمر مثيراً لـ"سِنان" الشاب!

هتفت وأنا أضحك:

- أنت فظيع يا "فوفو"!

- أنا؟ مشكلة؟ أنا؟

- ما الذي جعلك تفكر في الأمر هكذا؟

قال "فوفو":

- "ساني" لا تختلف عني. أعرف بالضبط ماذا كانت لتفعل لتوقع رجلًا مثل "سِنان" في شباكها. شعري لم يشب من الركض خلف المحامين العجائز الفاشلين مثلكِ.

يكره "فوفو" أحبائي مثلما أكره أحباءه، لكنه لا يحب "سليم" الذي انفصلت عنه العام الماضي بشكلٍ خاص. لكن من الواضح أن تعبير "المحامين العجائز الفاشلين" كان يقصد به "سليم" بالذات.

قلت:

- حسنًا، حسنًا. في المرّة القادمة سأطلب موافقتك لأتأكد من أنني أحب شخصًا أفضل من "سليم". والآن استمع لنظريتي.

- لا أستطيع التركيز حالياً. أنا متفاجئ حقًا من أنكِ صدقتِ حيلة "ساني" الرخيصة. أحتاج بعض الوقت؛ لكي أستعيد احترامي لكِ مجدداً.

- لا تكن سخيفًا!

- أنا جادٌ، صدقيني.

هتفت في أذنه مثلما يفعل معي دائماً:

- اسمع يا "فوفو"!

- حسنًا، حسنًا. تكلمي!

- لو افترضنا أن الزوج كان يرسل من يراقب "ساني" حقًا، فمن غيرهما يعلم بالأمر؟ "إيلين"؟ "ناز"؟

- على الأرجح أن "ساني" أخبرت أختها. لكن لا تشغلي بالكِ، أخبرتكِ أن موضوع مراقبتها مجرد كذبة.

oooooo

كان حفل الشواء في حديقة بيتٍ ضمن مجمعٍ من تسع فيلات. كالمتوقع، اصطحب السادة الضيوف زوجاتهم وأبناءهم، وبعضهم اصطحبوا أيضًا كلابهم. هذا حقهم. بعد قضاء بضع ساعاتٍ مع "سِنان" و"ألكان"، كان الشيء الوحيد الذي لاحظته في الرجال الحاضرين هو كروشهم المحشورة في الجينز وأصابعهم البدينة الشبيهة بأصابع السجق.

وكالمتوقع أيضًا أنه بمجرد أن تناول الجميع الكفتة ونام الأطفال، جلست النساء حول الطاولة لمناقشة أمر "ساني"، بينما جلس الرجال في الحديقة لمناقشة أمور السياسة ولإطلاق تعليقاتٍ بذيئة. بقى "فوفو" في الداخل يشاهد التليفزيون.

سألت امرأةٌ سمراء، فمها كبير وشعرها منفوش مثل مظلة القفز:

- هل كنتِ تعرفين "ساني أنكاراليجيل"؟

- لم أعرفها، لكن "سيمين" أخبرتني أنها انتقلت إلى هنا. إن زوجها عرف "ساني" من جامعة إسطنبول التقنية.

قالت امرأة بشعرٍ قصيرٍ جدًّا مواكب للموضة:

- اعتدت إلقاء التحية عليها عندما كنت أخرج للركض صباحًا. لا توجد فرص لممارسة الكثير من الرياضة في "باشا بهتشه"، لذلك نقوم جميعًا بالركض.

كانت تجلس بجانبي، وهي المرأة الوحيدة التي تستحق النظر إليها، بغض النظر عن "لالي" وأنا بالطبع.

كدت أقول إن "باي أوغلو" - حيث أعيش - تعتبر وجهةً مثالية لمحبي الرياضة. يمكنك ممارسة الوثب العالي، والتزلج، وتخطي الحواجز، والنشل والجري، ومطاردة السفاحين... كل هذا موجود هناك، كل ما يشتهيه قلبك. لكن لم أرد الخروج عن الموضوع، فالتزمت الصمت.

- هذه المنطقة ليست محببة كثيراً، فهي تبعد عن وسط المدينة. لكننا نستطيع الوصول إلى حي "ليفينت" في عشرين دقيقة من خلال الجسر الثاني.

- لكن التسوق صعبٌ جدًّا، خاصةً مع الأطفال الصغار.

كان المتكلم هذه المرَّة امرأة أخرى. مالت على المرأة منفوشة الشعر وهمست بصوتٍ عالٍ ليسمع الجميع:

- سمعت أن زوج "سيمين" كان حبيب "ساني أنكاراليجيل". هل تظنين أن هذا صحيح؟

قالت المرأة منفوشة الشعر:

- حقًّا؟ لم أسمع ذلك من قبل. هل رأيتِ الورود الشتوية في حديقة "سيمين"؟ إنها مستوردة. تبدو رائعة الجمال حين تتفتح.

هل تعمدت تغيير الموضوع؟

- حديقة "سيمين" في غاية الروعة بالفعل. أتمنى لو تفيدنا بخبراتها.

قالت المرأة منفوشة الشعر:

- إنها تخرج كل يوم لزرع البذور وتقليم النباتات. ليس لديها جنايني، بل تفعل كل شيءٍ بنفسها.

تغير الموضوع تمامًا فكدت أجن.

تجاهلت ما قد يظنه الآخرون، وسألت:

سألت امرأة بشعرٍ قصير ومجفف بطريقة لا تواكب الموضة إطلاقًا:

- هل كانت "ساني" على علاقةٍ بزوج "سيمين"؟

قالت المرأة ذات الشعر القصير على الموضة:

- كانت امرأةً جميلةً حقًا.

قالت المرأة ذات الشعر المنفوش:

- لقد خضعت لعمليات تجميل كثيرة في رأيي.

قالت امرأة أخرى:

- الجميع يخضع لعمليات التجميل الآن. حتى "ديمي مور" أجرت عمليةً لركبتيها.

تبادلت السيدات نظراتٍ خبيثة لركب بعضهن. شعرت بالراحة لأنني لم أحصل على وقتٍ كافٍ لأبدل بنطلوني الواسع. الحياة مليئة بالمفاجآت! من قد يظن أنني سأسعد بهذا؟!

قالت مضيفة الحفل:

- لقد تشوهت بطني بعد ولادتي الثانية. لقد كانت قيصرية.

قالت شقراء بدينة تجلس على يمين ذات الشعر المنفوش:

- عزيزتي، هل تسمين هذا تشوهًا؟!

قالت "لالي" التي تعرف كل شيء:

- جراحات البطن خطيرة جدًّا.

قالت ذات الشعر المنفوش:

- لا تشكل الجراحات خطرًا طالما الجراح ماهر.

قالت البدينة:

- المهم أن ترضي عن نفسكِ.

ثم أضافت:

- البدانة جميلة.

لا بد أنها شعرت بالتجاهل فقررت التدخل في الكلام.

همست لأسأل المرأة التي إلى جواري، صاحبة الشعر القصير على الموضة دون أن يسمعني أحد:

- من هي "سيمين"؟

- "سيمين" و"أورهان سونير" زوجان. ألا تعرفينهما؟ "أورهان سونير" هو أحد أشهر المهندسين المعماريين. لقد صمم ناطحة السحاب الزرقاء في "ليفينت"، وفندق "فينوس" في "بودرام"، ومتحف "زيوجما" في مدينة "عنتاب". إنهما يعيشان هنا.

وأشارت إلى بيتٍ قريب، ثم أضافت:

- لماذا تسألين؟

- ذكرِ اسمها في الحديث فتساءلت عنها.

- الجميع يعرفون أحوال بعضهم هنا، فنحن مجتمعٌ صغير كالقرية.

- هل بيت "ساني أنكاراليجيل" هنا أيضًا؟

قالت ذات الشعر القصير على الموضة وهي تعتدل لتنظر إلى بيت عائلة "سونير":

- لا يمكن رؤيته من هنا. لكن تعيش "ساني" في البيت المقابل لبيت "سيمين" و"أورهان". معظم بيوت تلك الجهة شاغرة. من الواضح أنها تعرضت لمشكلة في البناء فلم تبع، لكن تم تأجير بعضها. عاشت "ساني" في إحداها.

علقت قائلة:

- من الغريب أن تنتقل "ساني" إلى البيت المقابل لبيت حبيبها السابق دون بيوت إسطنبول كلها.

- هل تظنين ذلك؟

- ألا تجدين الأمر غريبًا؟

- الماضي فات وانتهى. كانا في علاقة وانفصلا. أنا على صلةٍ طيبة ببعض أحبائي السابقين. لماذا قد تكرهين شخصًا كان مقربًا إليكِ سابقًا؟

لم أسأل المرأة ذات الشعر القصير على الموضة إذا كان زوجها مثلها على صلةٍ طيبة بحبيباته السابقات ومن لا، لأن هذا لا يتعلق بموضوعنا الأساسيّ. بدلًا من ذلك قلت ببساطة:

- إن كانت العلاقة منتهية تمامًا بالنسبة للطرفين، فكلامكِ صحيح. لكن الوضع ليس هكذا دائمًا.

قالت المرأة ذات الشعر القصير على الموضة:

- أتساءل إن كان "أورهان" ما يزال يحب "ساني". أو أنها هي التي ظلت تحبه؟ لن نعرف أبدًا.

لا نعرف، لكن يمكنني التحقق دائماً.

© CanStockPhoto.com - csp55752403

7

سألت "ناز" بينما وصلت أكواب القهوة بالحليب:

- ماذا تعرفين عن حياة أختكِ الغرامية؟

ذهبت مع "ناز" إلى مقهى لنهرب من حشود الرجال الذين اعتادوا التجوال أيام الأحد. حي "باي أوغلو" مزدحمٌ كل يوم، لكن منظر الرجال أيام الأحد يكون مخيفًا بما فيه الكفاية لدرجة تجعلني أرحب بالرافعات والشاحنات والحفارات التي تفسد شارع "استقلال" باقي أيام الأسبوع. أحد الأسباب هو أن هؤلاء الرجال لا يتحركون فرادى أبدًا، بل يستمدون الشجاعة من بعضهم مثل المحاربين القدامى. لذلك يتحركون في جماعاتٍ من ثلاثة على الأقل، ويزعجون كل سيدة وحيدة يرونها، بغض النظر عن عمرهن. يأتون إلى "كاراكوي" بالأتوبيس من الأحياء البعيدة، ويزورون بيوت الدعارة في منطقتنا، ثم يذهبون إلى الحمام في آخر الشارع. بعد ذلك يتجولون بحماسٍ وهم يدفعون بعضهم بعضا؛ لكي يتحرشون ويرعبون النساء في شارع "استقلال".

هؤلاء الرجال لا يهتمون بعمارة المكان القديمة والجميلة، أو بالأزقة والساحات الخفية، أو بمنظر البحر الذي يمكن ملاحظته بين المباني الطويلة. إنهم كالغرباء الذين يلتزمون بالطريق الرئيسية ولا يسيرون في الطرق الفرعية؛ لكي لا يتوهون. كلما لمحوا امرأة بلا رجل، أصبح الأمر مزحةً لهم وتوقفوا عن دفع بعضهم وركزوا على المرأة وأمطروها بتعليقاتٍ بذيئة، من المفترض ظاهريًا أنها فيما بينهم لكن بصوتٍ عالٍ لتسمعها النساء. عندما يحل الليل يركبون الأتوبيس ليعودوا إلى بيوتهم حيث يتولون مسؤولية الاعتناء بأمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم.

سألتني "ناز":

- لماذا تريدين أن تعرفي عن حياة أختي العاطفية؟

- أحاول معرفة كل ما يمكنني على أمل إيجاد دليلٍ يقودنا إلى حل اللغز، وإنْ بدا بعيدًا عن القضية.

هذا ما يحدث في روايات الجرائم، أليس كذلك؟ في الروايات لا تجدين أبدًا أي قاتلٍ يعترف - نادمًا - بجريمته بمجرد أن يرتكبها. سألتها:

- هل تعرفين "أورهان سونير"؟

أجابت، وهي تتفادى النظر في عينيّ:

- بالطبع.

لماذا انزعجت من التحدث عن حبيب أختها السابق لو أن علاقتهما انتهت بالفعل؟ حتى لو وجدت صعوبة في التحدث عن الأمر، لماذا لم تستطع حتى إخفاء انزعاجها عنّي؟ أنا مجرد محققة فضولية هاوية. أشعر أنه لو استجوبتها مباشرةً بأسلوبٍ دراميّ سأحصل على الإجابات أسرع، مثل أن أدخن السجائر وأنفخ الدخان في وجهها بينما أمطرها بالأسئلة. لكن أعراض الانسحاب من التدخين جعلني عاجزةً عن التركيز الذي اعتدته في قضاياي السابقة. أتمنى ألا

يكون هذا التأثير دائماً.

قالت "ناز":

- كان "أورهان" هو حب حياتها. لم يظن أحدٌ أنهما سينفصلان أبدًا.

- لماذا انفصلا؟

قالت "ساني" دون أن تنظر إليَّ:

- بعدما تخرجت "ساني"، عُرِضتْ عليها منحةٌ في أمريكا. أراد "أورهان" البقاء في إسطنبول؛ لأنه وجد عملاً في شركة هندسة جيدة، لكنه تبعها إلى هناك. لم يكن راتب منحة "ساني" كافيًا لمعيشة اثنين، لذلك ظل "أورهان" وقتًا طويلًا يبحث عن عمل. وأخيراً، عمل موظفًا في محطة بنزين، لكنه كره هذا العمل. لم يستطع التحمل طويلًا وعاد بعد ستة أشهر ظنًا منه أن "ساني" ستعود بعده بقليل. لكنها لم تفعل. كانت حال "أورهان" في غاية السوء وقتها. لهذا انفصلا.

- إذًا، هذه هي قصة الحب العظيمة؟

قالت "ناز":

- لو أن "ساني" تخلت عن كل شيء لتكون مع "أورهان"، لكان ذلك خيانة لكل ما عملت لأجله.

لم أرد أن أسأل "ناز" ماذا كانت لتفعل لو هي مكانها، لأنني شعرت لو أنها في الموقف نفسه لضحَّتْ بكل شيء. وهذا النوع من النساء يخيفني. ألن تهزمنا جميعًا امرأةٍ مستعدة للتضحية بكل شيءٍ في سبيل الحب؟ أم أنني بدأت أتحول إلى عجوزٍ رومانسية؟

- هل تعلمين أن بيتها في "باشا بهتشه" مقابل لمنزل "أورهان سونير" تمامًا؟

تسائلت "ناز" متعجبة:

- حقًا؟

هل تخيلت ذلك أم أن صوتها اهتز؟ من الغريب أن تعرف القليل عن أختها، لكن بالطبع ليس كل الأشقاء مثل الأصدقاء المقربين.

- هل تظنين أنها و"أورهان" واصلا علاقتهما؟

قالت "ناز":

- لا تسأليني، فتصرفات"ساني" لم تكن متوقعةً أبدًا.

- حتى عندما يتعلق الأمر بالعلاقات الغرامية؟

- في كل شيء. بعض الناس يثبتون على قراراتهم، أما "ساني" فلا. لقد أصرت على تحضير الدكتوراه في أمريكا حتى عندما تطلب هذا الانفصال عن "أورهان" الذي ادعت عشقها الشديد له. ثم بعد بضعة أعوام، تخلت عن كل شيء لتتزوج "جيم" وتصبح ربة منزل. لا أعرف لماذا قررت الطلاق من "جيم". حدث الأمر فجأة. لم أستطع مواكبة حياتها الغرامية أو قراراتها.

تذكرت ما قاله "سِنان" عنها بالأمس. يبدو أنه كان محقًا حين قال إنه بمجرد أن حصلت "ساني" على الدكتوراه، تبخرت روحها القتالية. لم تعد ترغب في العمل أو الكفاح أو إجهاد نفسها.

سألتها:

- هل تعرفين شخصًا اسمه "سِنان"؟

قالت "ناز":

- لا، من هو "سِنان"؟

- كانت "ساني" على علاقةٍ به مدةً من الوقت. بدأ ذلك عندما قررت ترك "جيم".

- هل تقولين أنها ربما قررت ترك "جيم" لتكون مع "سِنان"؟ كيف علمتِ ذلك؟

- عملي يلزمني أن أعرف كل شيء.

قالت "ناز"، وكأنها تتحدث إلى نفسها:

- لم تتحدث "ساني" عن "سِنان" معي. ما كانت لتفعل.

- "إيلين" كانت أعز صديقاتها، صحيح؟ ربما حدثتها في هذه الأمور.

- أشكُّ في ذلك بشدة. لا أظنها تحدثت مع أي شخص. أنتِ لا تعرفين "ساني".

- لكنها أخبرت شخصًا ما بالتأكيد. كل شخصٍ يبوح بأسراره لشخصٍ آخر.

قالت "ناز":

- لو أنها فعلت، فأنا لا أعرف من هو. "إيلين" صديقة "جيم" أيضًا، لذلك من الجنون أن تخبرها "ساني" بسرها. بأي حال، كانت "ساني" كتومةً بشأن علاقاتها. لا تناقشها مع أحد ولا تلمح لأي أخبار. يمكنكِ أن تقضي معها اليوم بطوله ولا تعرفين شيئًا عن حياتها الخاصة. وهذا هو الحال منذ طفولتنا. لا تقول حرفًا، لكن تكتب كل شيء في مذكرات.

قلت بحماس:

- مذكرات؟ لماذا لم تذكري هذا الأمر من قبل؟! ربما ظلت تكتب حتى وفاتها.

قالت "ناز" وهي تضم شفتيها:

- إنها مجرد هواية يمارسها الأطفال. لماذا تضيع امرأة بالغة وقتها في كتابة مذكرات؟

- هل كتبتِ مذكراتكِ قط؟

- حاولت بضع مرات، لكنني دائمًا ما أشعر بالملل بعد أول يوم. هذه الهواية لا تناسبني.

- أنا أيضًا لم أكتب مذكراتي، لكن بعض الناس يعتبرونها إلزامًا، ولا أقصد بذلك الأطفال فقط. بعض الناس تكتب مذكراتها طوال حياتها.

كنت أفكر في مذكرات "باتريشيا هايسميث" الشهيرة التي قاسوا طولها بثلاثين متراً حين وضعوا الأجزاء بجانب بعضها.

سألتني "ناز":

- هل تقصدين أنها تصبح عادة؟

- عادة أو التزام، لا يهم. المهم هو أن بعض الناس يحتفظون بمذكراتهم طوال حياتهم.

قالت "ناز"، وهي تميل برأسها وتنظر إلى السقف:

- لقد خطر لي شيءٌ ما. ربما احتفظت بمذكراتها بالفعل.

- لماذا تظنين هذا؟

- شعرت "ساني" بوحدةٍ شديدة بعد عودة "أورهان" من أمريكا وقبل أن تقابل "جيم". لم تكن تعرف أي شخصٍ في أمريكا، أو على الأقل لم تحب من عرفتهم هناك. اعتدنا أن نكتب رسائل لبعضنا في ذلك الوقت. في إحدى رسائلها قالت شيئًا مثل: "ليس لديَّ ما أكتبه في مذكراتي. أقضي أيامي إمَّا في العمل في المكتبة أو النوم في البيت". عندما قرأت هذا شعرت بالدهشة لأنها ما زالت تكتب مذكرات.

- منذ متى هذا؟

- منذ ستة أو سبعة أعوام، أي منذ مدة.

- لكنه يعني أنها ظلت تكتب مذكراتها حتى وهي امرأة بالغة. هل تملكين مفتاح بيتها؟

- هل تريدين معرفة ما إذا كان بإمكاننا الذهاب إلى بيت "ساني"؟

- أنا لا أسأل، بل أقول إننا ذاهبتان بالفعل.

oooooo

أخذنا المترو إلى "ليفينت"، ثم أخذنا تاكسي إلى "باشا بهشته". بدت "ناز" متوترةً جدًّا، عندما وصلنا إلى المجمع السكنيّ.

قالت:

- ربما من الأفضل لو طلبنا مساعدة من أحد الحراس.

- لو جئنا بحارس، لن نتخلص منه أبدًا. لنجد البيت أولًا.

يقع المجمع السكنيّ على قمة تلٍّ. يتكون من سبع فيلاتٍ حول حمام سباحةٍ ضخم. ثلاث فيلات فقط تظهر فيها آثار لوجود حياة، أما الأخريات فتبدو خالية، مما يؤكد ما سمعته ليلة أمس.

قالت "ناز" وهي تقف أمام الفيلا الأقرب للطريق العام:

- هذه هي.

وجدنا إشعارًا رسميًا مختومًا بالشمع الأحمر ومحشورًا بين الباب وإطاره، وينص على أن من يكسر الختم ويدخل المكان سيتلقى عقوبة. لطالما دخلت سرًّا أماكن مختومة بالشمع الأحمر. لكن، هذا الباب واضحٌ للمارة ولعائلة "سونير" في البيت المقابل. إنها مجازفة تفوق استعدادي.

سألتني "ناز":

- ماذا نفعل؟ نبحث عن الحارس الليلي؟

لماذا هي مُصرَّة على إيجاد الحارس الليلي؟

- لن يسمح لنا بالدخول على الأرجح، ومن الأفضل ألا نظل واقفين هنا ننظر إلى الباب.

ثم سرت إلى جنب البيت بينما أسألها:

- ألا توجد طريقة أخرى لدخول هذا البيت الضخم؟ يوجد بابٌ خلفي مثلاً؟

- لا أعرف. لقد أتيت مرَّةً واحدةً فقط عندما بقى والداي مع "ساني" بضعة أيام وجئت لآخذهما. بأي حال، إن كان هناك بابٌ آخر، فسيكون مختومًا أيضًا.

- لننظر في الخلف.

ابتسمنا حين رأينا الباب الخلفي ليس مختومًا. شكراً لـ"باتوهان"، من الواضح أنه يقوم بعمله على أكمل وجه!

- لنأمل أن تكون "ساني" قد أعطت لأبي مفتاح الباب الخلفي.

بينما جربت "ناز" المفاتيح التي معها، راقبت أنا الطريق لأرى إن كان أحد قد لاحظنا. لكن الصمت ساد المنطقة، لا ستائر تتحرك ولا نوافذ تُفتَح ولا أصوات جيران. أخيراً، دخل أحد المفاتيح في الباب، فتنفسنا الصعداء.

سرنا في ممر حتى دخلنا إلى غرفة جلوسٍ خالية تمامًا، تطل على الشارع والبحر.

قالت "ناز":

- كانت تعيش في الطابق الثاني، أما الأول فكان خاليًا دائماً.

تشبثت "ناز" بذراعي بينما نصعد السلالم وكأنها تستمد منِّي الشجاعة. رأينا في غرفة الجلوس الخطوط التي رسمتها الشرطة حول جثة "ساني" لتحدد وضعيتها على الأرض الخشبية. وجدت على الأثاث آثار الغبار الأسود المستخدم لرفع البصمات. فاحت رائحةٌ نفاذة في الغرفة المكتومة. هل هي رائحة الموت؟ إنها لا تُحتمل.

هناك جزءٌ من غرفة الجلوس الواسعة مرتفعٌ عن باقي الأرضية قليلاً؛ لكي يعطي منظراً أفضل للبوسفور. توحي وضعية الجثة بأن "ساني" صدمت رأسها على السلالم المؤدية إلى هذا الجزء المرتفع.

- أي!!

تألمتُ عندما ضغطت بأصابعها على ذراعي.

- آسفة، آسفة.

كررتْ اعتذارها بضع مرات ثم سحبت يدها. ترنحت فوراً وكأنها عاجزة عن الوقوف بمفردها.

قلت بينما أمسك ذراعها:

- هل تريدين بعض الماء؟

- لا، أنا بخير.

- اذهبي واجلسي. تذكري، يجب ألا نلمس شيئاً.

- أنا بخير.

ذهبت "ناز" إلى المكتب حيث الأدراج مفتوحة ومحتوياتها مرصوصة بعناية، من الواضح أن هذا لتصويرها ووضع الصور مع أوراق التحقيق الخاصة بالقضية. هناك أشياءٌ أخرى مبعثرة على المكتب. أفترض أنها أغراض من حقيبة "ساني"، لأنها تشمل أحمر شفاه ومرآة جيب وسجائر وولاعة وقلم حبرٍ أسود وزجاجة عطرٍ نصف فارغة. لا بد أن الشرطة أزالت حقيبة يدها وأي غرضٍ آخر قد يكون دليلاً. لذلك حتى لو احتفظت بمذكرات، فلقد اختفت بالفعل منذ الحادثة.

سألت "ناز":

- ما شكل مذكراتها؟

- في صغرها، كانت تكتب في مفكرةٍ وردية صغيرة اشتراها لها عمي من إسطنبول. لكن لا أعرف ماذا كانت تستخدم مؤخراً.

- ألم تخبريني أنها لم تكتب قط بخط يدها، وأن توقيع اسمها يُعتبر مشقة؟ أليس كذلك؟

سألتني "ناز" وهي تهز رأسها يمينًا ويسارًا بعدم فهم:

- ما قصدكِ؟

- أسألكِ إن كنتِ متأكدة من أنها كتبت مذكراتها بخط اليد أو لا؟

سألتني "ناز"، وهي تنظر إلى المكتب:

- هل تقترحين أنها ربما كتبتها على الـ"لاب توب"؟

- ولم لا؟

ترنحت "ناز" مجدداً، فأمسكت يدها التي مدتها إلى المكتب لتستند عليه، وقلت:

- لا يجب أن نلمس شيئًا. هل هناك قفازات مطاطية في المطبخ؟

لم تجب "ناز"، فأمسكت بذراعها وأخذتها للمطبخ الذي بدا نظيفًا ومرتبًا وكأنه لم يستخدم قط في الطبخ. هناك جهاز تحميص الخبز وماكينة صنع قهوة "إسبريسو" وكوبان صغيران على الرخامة. وقفنا بلا حراك في المطبخ وما زالت أذرعنا متشابكة. حاولت تمالك نفسي لأسأل سؤالًا لكن "ناز" سبقت وقالت، بينما تجذب ذراعها وتتجه نحو السلالم:

- لنرحل عن هنا.

- لا! انظري لهذا.

توقفت على السلالم، وقالت:

- ماذا؟

- هل تعرفين كيف تشغلين ماكينة القهوة؟

- هل تريدين شرب القهوة الآن؟!

سألتني "ناز" وكأن هذا أغرب طلبٍ في العالم. ربما هي على حق بما أننا الآن في

بيت امرأةٍ متوفاة نفتش في أغراضها.

سألتها بينما أشير إلى الكوبين الواقفين بجانب ماكينة القهوة:

- هل تظنين أن "ساني" أخرجت هذين الكوبين لتصنع قهوة لشخصين؟

ردت "ناز" التي بدأت تتمالك نفسها:

- لماذا هناك كوبان يا ترى؟

- تأكدي إن كانت قد وضعت في الماكينة ما يكفي من القهوة لصنع كوبين. لكن لنجد قفازات أولاً.

- لا تضعين القهوة بالمقدار، بل تضعين كبسولة لكل كوب.

- ماذا تعنين؟ لا أفهم.

- تصنعين كل كوبٍ على حدة. تضعين كبسولة وتشغلين الماكينة ثم تنزعين الكبسولة الفارغة وتضعين غيرها ثم تشغلين الماكينة مجدداً.

- لكن هناك كوبان. ألا توجد طريقة لنعرف إن أرادت "ساني" صنع كوبين من القهوة؟

هزت "ناز" رأسها نفيًا، فسألتها:

- أين كانت تضع الكبسولات؟

- لا أعرف.

- كيف تعرفين طريقة عمل هذه الماكينة؟

- لديّ مثلها.

لماذا لا أعرف شيئًا عن هذه الماكينات في حين أن الجميع يستخدمونها على ما يبدو؟! قلت:

- لنفتش باقي الغرف قبل أن نغادر.

قالت "ناز":

- أحتاج إلى الجلوس قليلًا. اذهبي أنتِ.

- حسنًا، لكن لا تلمسي شيئًا. قد يعود رجال الشرطة لرفع مزيدٍ من البصمات.

فتشت في غرفة النوم والحمام والغرف الفارغة في آخر طابق. لو أن هناك ما غفلت عنه الشرطة، فأنا لم أجده. عندما عدت إلى غرفة الجلوس، كانت "ناز" تجلس القرفصاء على الأرض.

سألتني:

- هل وجدتِ شيئًا؟

هززت رأسي نفيًا، وسألت:

- لماذا تجلسين هكذا؟

ناولتني "ناز" قطعة معدنية صفراء صغيرة تشبه قبعة رفيعة الأطراف. ربما كانت غطاء زجاجة.

سألتها بينما أتفحص القطعة المعدنية عن قرب:

- أين وجدتها؟

- كانت محشورة بين رجل المكتب والجدار. رأيتها عندما جلست.

- لعلها غطاء زجاجةٍ مثلًا.

- يا له من غطاء بالغ الأناقة.

أمسكت القطعة المعدنية وقربتها من أنفي، كعادتي مع أي شيءٍ ألتقطه. لها رائحة عطرة، تبدو مثل خليطٍ من التوابل والأزهار. قلت:

- لا بد أنه غطاء زجاجة عطر. من الواضح أن "ساني" أحبت العطور النفاذة.

رائحة الغطاء تشبه رائحة عطر "جيرلان سمسارا" الموضوع على المكتب. مددت يدي إلى "ناز" لأساعدها على النهوض، وقلت:

- لنذهب الآن.

oooooo

اقترحت عليها بينما نتأكد من أن الباب مغلقٌ بإحكام:

- بما أننا هنا، ما رأيكِ أن نزور الجيران؟

قالت "ناز":

- أي جيران؟

- "أورهان" و"سيمين سونير". بيتهما مقابلنا تمامًا.

ثم أضفت، في تردّدٍ:

- ربما رأيا شيئًا...

قاطعتني "ناز":

- لا، لا أريد زيارتهما.

- لكن بيتهما هنا على بُعد خطواتٍ فقط.

- لا!

من الواضح أن "ناز" لا تريدني أن أحقق في الأمر، لكن لماذا؟ هل ما زالت غاضبة لأن "أورهان" عاد إلى تركيا وترك أختها في أمريكا؟ هذا مفهوم. لكن بما أنني أتيت إلى "باشا بهتشه"، تمنيت رؤية شيءٍ ما بالإضافة إلى كوبين من القهوة.

قلت:

- كنا سنتحدث إلى الحارس الليليّ.

- حسنًا، لنتحدث إليه.

- هل تعرفين أين منزله؟

- لا يمكن أن يكون بعيدًا.

- الموظف الموجود في المحل القريب سيعرف بالتأكيد.

دخلنا محلًا يبدو مشبوهًا، حيث امرأة شابة تجلس أمام صينية بها مشروبات كحولية. أدهشني المنظر، لأنك لن تجده في مناطق إسطنبول الشعبية بالتأكيد.

قلت بينما نتبع الإرشادات التي أعطتنا إياها المرأة لكوخ الحارس الليلي:

- محل لبيع الكحول علنًا! حتى "كوليديبي" ليس بها سوى واحد فقط.

قالت "ناز":

- الحال هكذا في تلال منطقة "باشا بهتشه". هل تشمين رائحة الكحول في الهواء؟

قلت لنفسي من المستحيل ألا أشمها. فالهواء يعبق برائحة بذور الينسون المستخدمة في صنع كحول الـ"راكي"، وهي قادمة من مصنع "راكي" تم إغلاقه مؤخرًا. كم أرغب في كأسٍ من الـ"راكي" المثلجة الآن.

قالت "ناز":

- لا يحب المسلمون الملتزمون العيش بالقرب من مصانع الـ"راكي"، لذلك معظم سكان هذه المنطقة من المتحررين.

- أنتِ تمزحين!

-لا أمزح. هكذا سمعت، لكنه منطقيّ. لو أن شربها خطيئة، فشمها قد يكون كذلك أيضًا.

سألتها همسًا بينما ذهبت لتطرق على الكوخ الذي أرشدتنا إليه المرأة التي في المحل:

- هل تعرفين ذلك الرجل؟

- لا. لماذا قد أعرفه؟ قلت إنني أتيت مرةً واحدة عندما جئت لأصطحب والديّ.

فتحت سيدةٌ الباب لنا، وافترضنا أنها زوجة الحارس. بدت في منتصف الخمسينيات، لكن الحياة اليومية القاسية حفرت آثارها في ملامحها، فبدت أكبر من عمرها الحقيقي بعشر سنوات. تخميني أنها في الخامسة والأربعين تقريبًا.

نظرت المرأة إلينا وشدّت طرفي حجابها من الأمام.

قالت "ناز":

- أنا أخت "ساني أنكاراليجيل".

- شعرت أنكِ مألوفةٌ لي، لكن لم ألحظ من تشبهين. أنتِ تشبهينها حقًا. ادخلا، لا تقفا على عتبة الباب.

خلعنا أحذيتنا ووضعناها على جريدة موضوعة بجانب الباب.

قالت المرأة:

- لقد أوشك شهر رمضان، لذلك المكان في فوضى. آسفة.

- نحن من عليه الاعتذار على القدوم فجأة.

- على الإطلاق. تعازيّ الحارة يا عزيزتي.

دخلنا غرفةً واسعة، فيها موقد في المنتصف وحوله وسائد مرتبة. هناك جدارٌ ضخم عليه شاشة مسطحة عرضها مترٌ على الأقل. إنها أغلى شيءٍ في المنزل

على الأرجح. بصراحة، لو كان لديّ واحدة، لكانت أغلى ما في منزلي أيضًا. لكن هذا موضوعٌ آخر.

قالت المرأة:

- سأشعل الموقد.

قلت لها:

- الجو ليس باردًا.

- قصدت أنني سأحضر الشاي. زوجة ابني الصغرى تكون هنا عادةً لتشعله لي، لكنها تزور أحد أعمامها اليوم.

قالت "ناز":

- لا تتعبي نفسكِ بسببنا، أرجوكِ.

كنت أتوق لبعض الشاي، لكن لم أقل شيئًا.

قالت المرأة متجاهلة كلام "ناز":

- يجب أن أقدم لكما بعض الشاي.

عادت المرأة بعد دقائق، وقالت مجددًا:

- تعازي الحارة. كانت "ساني" هانم شابةً جميلة. قالوا إنها سقطت وصدمت رأسها أو ما شابه.

- هل زوجكِ من وجدها؟

- هذا صحيح، هو من فعل. لم أكن موجودة. أذهب للتنظيف عند سيدةٍ عجوز في "قنديلي" أيام الخميس. أذهب إلى هناك منذ سنوات، فهي لا تدع شخصًا آخر يلمس أشياءها.

- هل ذهب زوجكِ إلى بيت "ساني" بمفرده؟

- اتصلت به "إيلين" هانم وطلبت منه الذهاب لإلقاء نظرة. معي نسخة من مفاتيح "ساني" هانم، لكنني لا أترك الأغراض مبعثرة أبدًا. أبنائي وأحفادي يسألونني دائمًا إذا فقدوا شيئًا. لقد أضاعوا مفاتيحهم العام الماضي، واشترى لي ابني تليفون محمول؛ لكي يتصلوا بي ويسألونني إذا أضاعوا شيئًا. بأي حال، عندما ذهب زوجي إلى بيت "ساني" هانم، رآها راقدة على الأرض، فركض خارجًا دون أن يلمس شيئًا. أخبرته الشرطة أنه فعل الصواب بعدم لمس شيء. زوجي عجوزٌ حكيم. لم يتعلم في المدرسة، لكنه يعرف دائمًا ماذا يفعل. لا يصدق أحدٌ أنه مجرد حارس ليليّ. يسأله الناس عمَّن توسط له ليحصل على الوظيفة. ليس لدينا واسطة. زوجي يجيد كل ما يفعل.

- ما الأيام التي تذهبين فيها للتنظيف عند "ساني"؟

- أيام الثلاثاء والجمعة عند "ساني" هانم، الإثنين والأربعاء عند "سيبيل" هانم، ثم أيام الخميس في "قنديلي". باقي الوقت أعتني فيه بأحفادي.

هذا يعني أنها كانت تنظف بيت "ساني" يوم وفاتها.

- هل كنتِ عند "ساني" يوم الثلاثاء الذي وقعت فيه الحادثة؟

- بالطبع، كالعادة. لقد واظبت على الذهاب حتى عندما أصبت بألمٍ في أسناني لأسابيع.

- هل رأيتِ "ساني" ذلك اليوم؟

- قالت "ساني" هانم أنها لا تريدني أن أتجول حولها كثيراً في المنزل، لذلك لا أذهب مبكراً أبدًا. لكن العمل كثيرٌ بالنسبة لشخصٍ واحد، لذلك أظل أنظف حتى المساء.

- متى غادرتِ يوم الثلاثاء الموافق للحادثة؟

- أغادر عند الغسق.

ماذا تقصد بالغسق؟

- هل رأيتِ "ساني" قبل مغادرتكِ؟

- لا، لم تعد باكراً ذلك اليوم.

- متى تعود في العادة؟

- ليس قبل صلاة المغرب، لكن أحياناً كانت تعود وقت صلاة العشاء.

يبدو أن المرأة تقيس يومها بمواعيد الصلاة. لكن كيف أعرف أنا التوقيت هكذا؟ همست لـ"ناز":

- متى صلاة المغرب؟

- حوالي السادسة والنصف - حاليًا - على ما أظن.

قالت المرأة:

- نعم، هذا صحيح. أو ما يقارب ذلك.

النهار يصبح أقصر كل يوم. وهكذا عند وفاة "ساني"، لا بد أن صلاة المغرب كانت بعد الساعة السابعة بقليل.

- إذاً، لم تتحدثي مع "ساني" ذلك اليوم. لكن هل رأيتها وهي عائدة للبيت تلك الليلة؟

- رأيت أنوار البيت مضاءة.

- هل كان ذلك بعد صلاة المغرب؟

- نعم. كان الوقت متأخراً، ورأيت الأنوار في طريق عودتي إلى المنزل. يوم الثلاثاء، دعتنا زوجة ابني الكبرى التي عادت من قرية والدتها. في طريق عودتنا للمنزل، رأيت أنوار بيت "ساني" هانم. عندما استيقظت لصلاة الصبح، رأيت

الأنوار ما زالت مضاءة. ذهبت لزوجي و...

قلتِ لأختها على المتابعة:

- نعم ؟

- كان الوضع هكذا في ليلة الأربعاء. ووجدت الأنوار مضاءة عندما استيقظت صباحًا.

قلت:

- لكنكِ لا تعرفين إن كانت وحدها أو لا. هل كان مع "ساني" صديق عندما عادت مساء الثلاثاء؟

قالت المرأة وهي تشعر بالإهانة وكأنني شوهت سمعة "ساني":

- يا إلهي! لا! لم نرها مع أي نوعٍ من "الأصدقاء". إنها نقية وصالحة كما ولدتها أمُّها. لكن المرأة العزباء تكون دومًا محور الشائعات، حتى بعد موتها. أقسم أنني لم أرها قط مع أي "صديق" أو أي شخصٍ آخر.

قالت "ناز":

- لكن، لا يمكنكِ رؤية أي شيء.

- بل يمكنني وأقسم على ذلك.

تجاهلت ادعاءها واعتبرته مجرد كلام، وسألتها:

- حسنًا، لكن لماذا لم تفعلي شيئًا عندما رأيتِ الأنوار، وهي ما تزال مضاءة حتى صباح الخميس؟

- بل تصرفنا بالفعل. اتصل زوجي بـ"جيم" بك.

إنها أول مرة أسمع فيها هذا الكلام، فسألت في دهشة:

- اتصل زوجكِ بـ"جيم" بك؟

- هذا صحيح. لقد اتصل بـ"جيم" بك.

سَألْتُ "ناز" التي بدت مندهشةً مثلي:

- هل تعرفين شيئًا عن هذا؟

واصلت المرأة:

- كنت أعمل وقتها. اتصلت "إيلين" هانم بزوجي، وأخبرته أن يذهب ليلقي نظرة.

- لكنكما اتصلتما بـ"جيم" أولًا، صحيح؟

- هذا صحيح. لقد اتصلنا به، أعني زوجي فعل.

- لكن كيف عرفتما رقم "جيم"؟

- أعطاه لنا.

أعطى "جيم" رقمه للحارس الليليّ الخاص بسكن طليقته المستقبلية. هذا لا يبدو تصرفًا طبيعيًا، لكن اتضح أنه مفيد.

سألت:

- متى أعطاه لكما؟

- جاء إلينا مثلكما وشرب الشاي ثم أعطانا رقمه. قال زوجي إنه رقم محمول. قال إن "جيم" بك له نفوذٌ كبير لأنه يستطيع إيجاد وظيفةٍ لأصغر أبنائي إن أراد. يعمل ابننا في مصنعٍ للأزرار، لكنَّ الأجورَ ضئيلةٌ.

سألتها:

- لماذا أعطاكما "جيم" رقمه؟

- حسنًا، كما ترين، أقف عند النافذة عندما أطبخ. أطبخ بنفسي لا أحب استغلال

زوجة ابني. أخبرها دائمًا أنها ستحصل على وقتٍ طويل للطبخ عندما يصبح لها بيتٌ خاص. بأي حال، لا أحب طبخ الآخرين. لكل شخصٍ أفكاره الخاصة في الطبخ، مثل مقدار الملح أو الزيت الذي يحب أو تحب إضافته للطعام.

شعرت بتقلصاتٍ في معدتي. سألتها:

- هل يمكنكِ رؤية باب بيت "ساني" من مطبخكِ؟

- باب بيتها مقابل تمامًا لنافذة المطبخ. طلب "جيم" بك منّي أن أراقب من يدخل ويخرج. تعرفين أن السيدات العزباوات يطاردهن الرجال دائمًا، خاصةً إذا كن شابات وجميلات مثلها.

- إذًا، تقولين إن "جيم" بك أعطاكما رقمه لكي تتصلا به إن رأيتما شخصًا يدخل أو يخرج من بيت "ساني". هل هذا صحيح أم أنني أخطأت الفهم؟

- هذا صحيح.

سألتها:

- هل يمكنني النظر من نافذة المطبخ؟

- تعالي.

وضعت المرأة يدها على ركبتها لتدعم وزنها وهي تنهض من على الوسادة.

إنها محقة، باب "ساني" واضحٌ تمامًا من هنا وبزاوية كبيرة. بينما انشغلت المرأة بصنع الشاي، عدت إلى "ناز" وسألتها:

- لماذا اتفق "جيم" مع هذين الزوجين على مراقبة "ساني"؟

بدأت عينا "ناز" تدمع.

قلت:

- الباب الأمامي فقط هو ما يظهر من نافذة المطبخ، لذلك لا يمكن رؤية من

يدخل أو يخرج من الباب الخلفي الذي استخدمناه.

قالت "ناز":

- ربما استأجر شخصًا آخر لمراقبة الباب الخلفي. هل تظنين أنه دفع لها مقابل هذا؟

- ربما ليس لها، لكن أراهن أنه دفع لزوجها الذي تعظمه بشدة.

- هل ستتحدثين إلى زوجها؟

- لقد تحدثت معه الشرطة بالفعل. بأي حال، لقد عرفنا ما نريد.

قالت "ناز":

- فلنذهب إذًا.

عادت المرأة حاملةً طبقًا، وقالت:

- صنعت بعض المخبوزات من أجل السحور. ابقيا وتناولا بعضها بينما أعد الشاي.

قالت "ناز":

- علينا الرحيل.

- لا يمكن. لم أحضر الشاي بعد.

قالت "ناز":

- اعذرينا، لا يمكننا البقاء لتناول الشاي.

ارتدت حذاءها بسرعة ثم اندفعت إلى الشارع وكأنما تطاردها العفاريت.

oooooo

عدنا إلى الباب الخلفي لبيت "ساني". كل ما يمكن رؤيته من هناك هو مبنى خالٍ في الأمام مباشرةً وفيلا خالية إلى الجانب ونوافذها مغطاة بالستائر.

لنذهب ونسأل سكان هذا المنزل.

- هل تظنين أنهم يعملون لصالح "جيم"؟

لم أكن أفكر في كونهم تابعين لـ"جيم". أردت أن أعرف إن كانوا قد رأوا شخصًا يدخل أو يخرج من البيت ما بين مساء الثلاثاء وظهيرة الخميس. لو وجدنا شاهد عيان سيصبح عملنا أسهل.

فتحت الباب سيدة كبيرة السن، رشيقة القوام، وشعرها قصير.

- مرحبًا، أنا "ناز كايا" أخت "ساني أنكاراليجيل".

قالت السيدة:

- يرحمها الله. تعازيٍّ الحارة.

- شكراً لك.

قلت:

- نود أن نسأل بعض الأسئلة إن سمح وقتكِ.

قالت السيدة:

- جاء شرطيٌّ في اليوم الذي يلي الحادثة، وأخبرته بكل ما أعرف.

- لن نأخذ الكثير من وقتكِ، إن لم تمانعي.

- على الإطلاق. لم أقصد. تفضلا بالدخول.

تصميم البيت مشابه لتصميم بيت "ساني". ذهبنا إلى الجزء المرتفع من أرضية غرفة الجلوس المفروشة ببعض الموكيت وأريكة ومقعدين مريحين.

قالت السيدة وهي تمد يدها:

- أنا "ليلى كانتار".

قدمنا أنفسنا إليها ثم سألتنا:

- هل أقدم لكما شيئًا؟

لا أريد التخلي عن شرب المزيد من الشاي الطازج، فقلت:

- لن يطول بقاؤنا.

قالت:

- زوجي في ورشته. اسمحا لي، سأتصل به. سيفيدكما أكثر منِّي.

قالت "ناز" عندما غادرت "ليلى" الغرفة:

- لا أظنهما تابعين لـ"جيم".

- لكن ربما رأيا شيئًا.

عادت "ليلى" بعد قليل حاملةً صينية عليها أربع كؤوس وزجاجة نبيذ.

- لم أسأل إن كنتما تفضلان النبيذ الأحمر أو الأبيض، لكن يقولون: إن بضعة كؤوس من النبيذ الأحمر يوميًا مفيدة. اعتدنا أن نشرب النبيذ الأحمر بينما نستمتع بهذا المنظر الجميل. بدأنا بفعل هذا منذ تقاعدنا بالطبع.

- أنتما متقاعدان إذًا.

أردت سؤالها عن عملها السابق، لكنني أعلم أن أبناء الطبقة المتوسطة في تركيا لا يهتمون بهذه الأسئلة الفضولية.

قالت:

- لقد تقاعدت منذ عامين.

- وأنا أدير مكتبة.

تمنيت أن تخبرنا عن عملها السابق في المقابل، لكنها قالت:

- يا لها من مهنةٍ جميلة. إن احتجتِ موظفين، تعرفين أين تجدينني.

ضحكنا جميعًا على فكرة وقوف هذه السيدة خلف الـ"كاونتر" في المكتبة.

- لم يكن لديّ الوقت للقراءة قبل التقاعد، أما الآن فأقرأ باستمرار. لطالما أحببت القراءة، لكن حين تعملين بجد...

لم أستطع المقاومة أكثر، فقاطعتها وسألت:

- أين كنتِ تعملين؟

- أنا طبيبة أطفال وزوجي جراح.

لماذا هناك أحاديث كثيرة عن جلب أطباء من الخارج في حين أنهم يملؤون البلد على ما يبدو؟

قالت "ناز":

- أنا طبيبة قلب. تخرجت في كلية "جراح باشا" للطب.

قالت "ليلى":

- نحن درسنا في كلية الطب جامعة إسطنبول. كان هذا منذ زمنٍ طويل.

دخل فجأة رجلٌ طويل، وقال:

- هل تخبرينهما عن مغامراتنا السابقة؟

صافحنا بقوةٍ كادت تخلع أيدينا، وقال:

- أنا "جاني كانتار". تقول زوجتي إنكِ شقيقة "ساني". حزنا كثيراً لما حدث.

قالت "ناز":

- شكرًا لك.

- أظنكِ تعتقدين بأننا رأينا شيئًا، لكن...

- هل رأيتما بالفعل؟

لم أستطع منع نفسي من الاندفاع ومقاطعة هذين الشخصين المهذبين، لأنني أفكر في أمورٍ أكثر أهمية من قواعد اللياقة.

قال "جاني":

- لم نقل شيئًا للشرطة لأننا لم نظن أنه من الصائب إفساد حياة المسكينة ما دام لا توجد شبهة قتل.

- الشرطة لا تشتبه في القتل بالفعل. لكن، يمكن اعتبار ظروف الوفاة مشبوهة.

قال "جاني" وهو يلتفت لزوجته بنظرةٍ مفكرة:

- حقًا؟

هل يشعر بالقلق لأنه لم يخبر الشرطة بما يعرفان؟

التفت "جاني" إلى "ناز"، وقال:

- لو أنها أختكِ، فبالتأكيد حصلتِ على نسخةٍ من تقرير الطبيب الشرعيّ من مكتب المدعي العام.

لم نظن قط أن هذا إجراءٌ طبيعيٌّ. ردت "ناز":

- نعم، معي نسخة من تقرير الطبيب الشرعيّ.

سأل "جاني":

- ظلت الصحافة تقول أنها حادثة، لكننا... ما سبب الوفاة الفعليّ؟

- يقولون إن وفاتها كانت نتيجة مرض أصيبت به قبل عمل التأمين الصحيّ.

رفع "جاني" حاجبيه وأشعل سيجارة، وقال:

- هذا يعني أنهم لم يجدوا ما يريب في تشريح الجثة.

شعرت بالسرور لأنني وجدت الفرصة للتحدث إلى طبيبٍ خبير، وقلت:

- كيف ماتت في رأيك؟

يا لها من ضربة حظ! مع أننا أتينا لنسأل فقط إن كانا قد رأيا شيئاً.

قال "جاني":

- قد يكون السبب أي شيء. ربما ماتت بسبب أزمةٍ قلبية لم تظهر في تحليل الأمراض.

ثم أضاف بأدب:

- بالطبع، "ناز" هانم ستعرف عن الأمر أفضل منِّي.

أتمنى لو أنه يحدثني أنا لأن "ناز" لا تبدو أنها تعرف شيئاً.

قالت "ناز":

- كانت هناك علامات لوخز إبرٍ على ذراعها. لكن لا يوجد آثار لأي سموم أو مخدِّرات في دمها أو بولها.

- هذا لا يعني شيئاً. في زمني، كانوا يبحثون عن أربعين مادة سامة في معهد الطب الشرعيّ. بالتأكيد ازداد العدد إلى خمسة وأربعين نوعًا الآن. إنهم يبحثون عن أكثر السموم شيوعاً. لكن لو أن هناك سمًا ليس شائعًا في تركيا ولم يستخدم منذ خمسين عامًا، سيكون من المستحيل اكتشافه في فحص طب شرعي روتيني. الفحوصات الروتينية للمعهد لن تكتشف سمًّا مستخرجًا من جذر نباتٍ أفريقيّ. في هذه الحال، سيقول التقرير: إن سبب الوفاة هو مرضٌ أصيب

به الشخصُ قبل عمل التأمين الصحيّ. في هذه الحال سينتهي التحقيق، حتى إن كان سبب الوفاة سمًّا مجهولا.

هذا رائع، ألا تتفقون معي؟ سألت:

- هل تقصد أنها ربما تسمَّمَتْ؟

قال "جاني":

- لا. ما أقوله هو أن آثار وخز الإبر على ذراعها يبدو مريبًا كما قالت السيدة.

لم تقل "ناز" هذا، لكن "جاني" يحاول التحدث بتهذيب.

قالت "ناز" وهي تنظر للأرض:

- هذا لم يخطر ببالي مطلقًا.

قالت "ليلى":

- هذا طبيعي، فأنتِ مصدومة لفقدان شخصٍ عزيز عليكِ. من المستحيل رؤية التفاصيل بوضوح عندما تعانين ألم الحرمان. حتى لو كان الشخص خبيراً بالإجراءات، لن يمكنه استيعاب الحقائق وهو في مدة حداد.

ارتحت لكلام "ليلى" المختصر، وكذلك "ناز". لو أن زميلتي في المهنة أظهرت جهلًا ببعض الأمور، فمن الأفضل أن أواسيها بأن أرجع سبب فشلها إلى حزنها.

تمتمت "ناز":

- لكن التقرير لم يذكر شيئًا عن...

قال "جاني":

- تقارير الطب الشرعيّ تكون ناقصة دائمًا إذا لم تصاحبها تحقيقات الشرطة. هذا طبيعي. لا يمكنك الاعتماد على تقرير الطب الشرعيّ في إلغاء بعض الاحتمالات، لقد عدنا إلى نقطة البداية إذًا. إن عجزنا عن تقليص الاحتمالات،

فكيف سنصل إلى النتيجة؟

قال "جاني":

- لو أنها جريمة قتل...

سكت قليلًا ثم أضاف:

- ستخبركِ "ليلى" أن حل جريمة قتلٍ ليس أمرًا سهلًا.

قالت "ليلى":

- أنا أقرأ الكثير من روايات الجريمة، لهذا قال ما قال.

قلت:

- أحب روايات الجريمة أيضًا. "جاني"، أظنك كنت على وشك إخبارنا بأنك رأيت شيئًا مريبًا.

- لا أعرف إن كان مريبًا. لكن حين قلتِ إن "ساني" لم تمت بسبب حادثة، ندمت لأنني أخفيت شيئًا عن الشرطة.

- فلتخبرنا إذًا.

قال "جاني":

- قد لا يتعلق بوفاة "ساني" هانم.

قلت:

- ربما، لكن أخبرنا على كل حال.

- حسنًا. كما تعلمين، لقد كبرنا ولا ننام بعمقٍ كالسابق. عادةً أستيقظ مبكرًا وأذهب لورشتي مباشرةً. اعتدت رؤية "ساني" وهي تمارس الركض عدة مرّاتٍ في الأسبوع. يوم الأحد الذي سبق وفاتها، رأيتها وهي عائدة بعدما انتهت من

الجري. أنا لا أعرفها جيدًا، لكننا كنا نتبادل التحيات عندما نتقابل صدفة. في ذلك الصباح لم ترني.

- لكنك رأيتها.

- نعم. لقد لاحظت باكرًا سيارة "مرسيدس A-class" مركونة على الرصيف؟ أنا مهتمٌ بالسيارات، ولقد بدأوا باستيراد هذا الموديل مؤخرًا. بأي حال، كنت أنظر إليها بتمعن لكن عن بعد بالطبع، ورأيت شخصًا يجلس خلف المقود.

قالت "ليلى":

- هذا الكلام يجعلنا نبدو متطفلين كسولين.

قال "جاني" بهدوء:

- مطلقًا يا عزيزتي. لقد أردت رؤية السيارة فقط.

سألت بنفاد صبر:

- وماذا حدث بعدها؟ عادت "ساني" بعد الجري، وكان هناك شخصٌ ما خلف مقود السيارة. ثم ماذا؟

- خرج ذلك الشخص من السيارة عندما رأى "ساني" عائدة. بدا شابًا. انزعجت "ساني" لرؤيته. تحدثا قليلًا، لكنني لم أسمع حديثهما لأن نوافذنا كانت مغلقة. لكن كان الغضب واضحًا على وجهها. بعد ذلك تشاجرا، أو بالأحرى دفعت "ساني" الشاب بعيدًا. لم يقم برد فعلٍ على ما فعلته، لكنني شعرت بضرورة التدخل عند هذه النقطة. لكن عندما خرجت، كانت "ساني" تدخل البيت والـ"مرسيدس" اختفت.

- هل تظنه كان زوجها؟

- لقد رأيت صورًا لزوجها في الصحف، ولا أظنه هو. كان ظهر الشاب لي معظم الوقت، لكنني رأيت وجهه وهو يخرج من السيارة.

تدخلت "ليلى":

- لا نريد إثارة الشبهات حول أي شخص.

قالت "ناز":

- أظن أن "جيم" بك كان في الخامسة والثلاثين.

أكدت كلامها:

- نعم.

قال "جاني":

- لا، لقد كان شخصًا أصغر. يمكن تخمين ذلك من ثيابه. كان يرتدي بنطلونًا مثل بنطلونكِ.

- هل كان طويلًا وذا بشرةٍ صافية؟

- لا أعرف، لقد كان بعيدًا.

سألته بينما اندهشت لأن زوجة الحارس الليليّ لم تعرف شيئًا عن هذا:

- هل يمكنك إخبارنا أين ركن سيارته بالضبط؟

- هناك زاوية أفضل لرؤية الشارع من ورشتي بالطابق السفليّ، لكن تعاليا.

أخذني إلى نافذة زجاجية من الأرض إلى السقف، وقال:

- هل تريان شجرة التين تلك؟ لقد ركن سيارته خلفها. لا يمكنني الجزم إن كانت الـ"مرسيدس" هناك قبل أن أنزل إلى ورشتي أو لا، لكنني واثقٌ من أنها ظلت هناك لمدة عشرين دقيقة على الأقل.

سألته:

- هل لديك إنترنت هنا؟

- ليس لدينا إنترنت "ADSL" سريع، لكن لدينا إنترنت بطيء.

- أريد فقط أن أريكما بعض الصور.

قال "جاني":

- تفضلا بالجلوس. سأفتح الكمبيوتر.

بعد خمس دقائق، جلسنا ننظر إلى الصور التي فتحتها من "جوجل".

قال "جاني"، وهو يعدل نظارته:

- إنه يشبه ذلك الشاب. لست متأكدًا، لكن...

- لست متأكدًا لكن ماذا؟

- أظنه هو.

- أشكر لك. لقد ساعدتنا كثيراً.

لقد ساعدنا بالفعل. لقد كشف كذبة على الأقل. إنه رجلٌ طيب وليس لديه سببًا للكذب في شيءٍ بسيطٍ كهذا. ربما زيارتنا البسيطة تكون أهم مما توقعت.

8

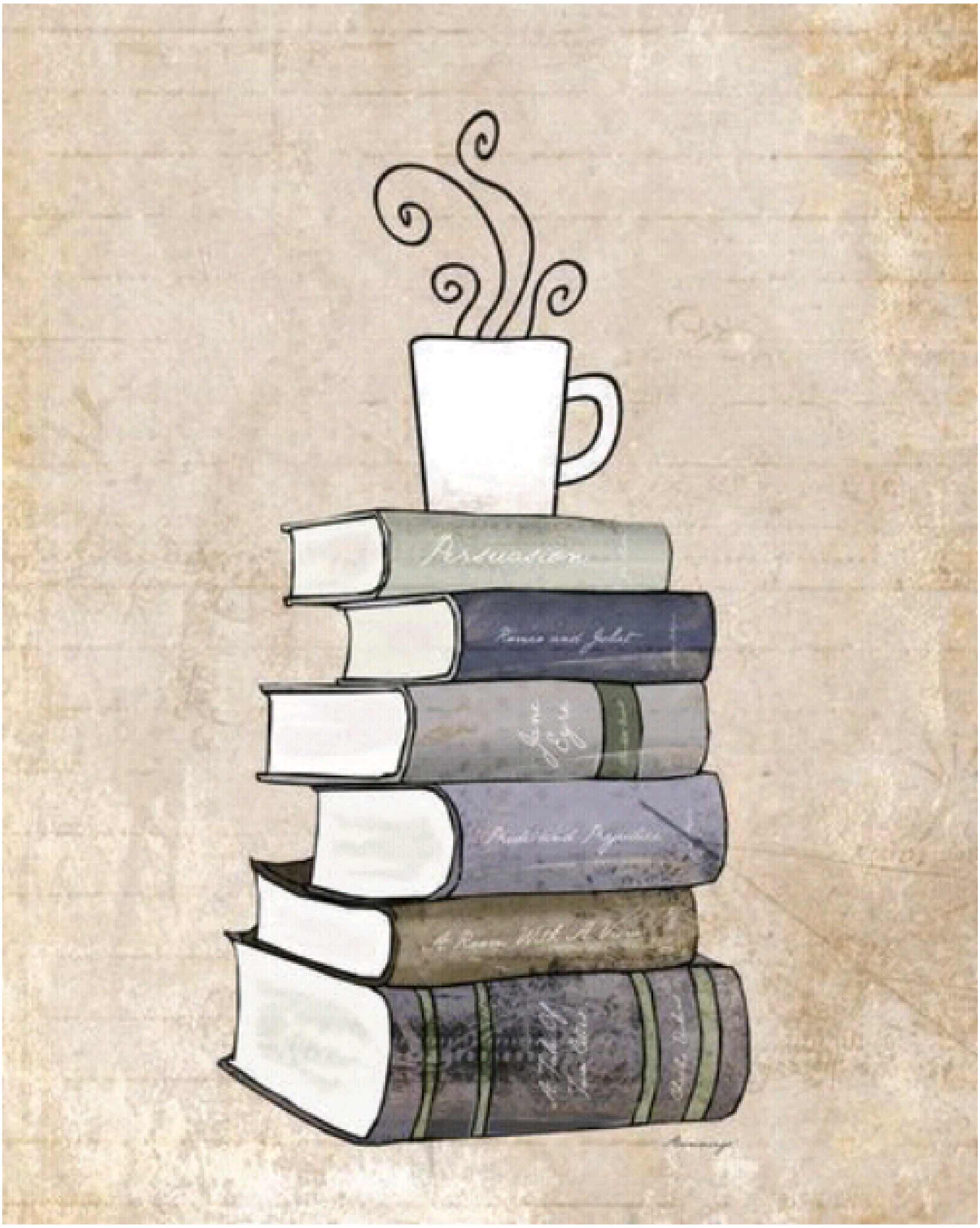

فتحت المحل يوم الإثنين كالعادة. بعد نصف ساعةٍ من شرب الشاي وتصفح الإنترنت، بدأت أشعر أنني مسجونةٌ في مكتبتي الصغيرة. ما زال الوقت مبكراً على قدوم الزبائن، وبالتأكيد شراء الكتب ليس أولويتهم القصوى. بالإضافة إلى أننا في أول أيام رمضان.

بالتأكيد، جميعنا نشعر أحياناً أن جدران بيتنا أو مكتبنا المريحة تضيق علينا.

لاحظت أن الجزّار المجاور يجلس في الشارع خارج محله. لا أفعل هذا عادةً، لكنني قررت تقليده فجأة.

مر بي رجلان أسمران بشوارب، وقالا:

- السلام عليكم.

كلٌّ منهما يحمل طبلة ضخمة وقبيحة، ويرتدي جاكيت بيج فاتح وبالي، وربطة عنق تشبه حبل المشنقة.

بصراحة، لم أشعر برغبةٍ في ردِّ السلام كاملًا بـ"وعليكم السلام"، فقلت:

- وعليكما.

قال أحد الرجلين وهو يعطيني ورقة إعلانية:

- نحن مسحراتية رمضان. لو أتى غيرنا ليأخذ نقودًا، لا تعطيهم شيئًا يا آنسة.

لن أعطي قرشًا لأي مسحراتي يوقظني فجرًا حتى ولو كان أخي. لكن لا داعي لأعلن هذا. مضى الرجلان في طريقهما، ونظرت إلى الإعلان الذي يحمل صورهما.

يقول الإعلان:

"أهالي حي "بركات زاده" الأعزاء، نحن مسحراتية رمضان اللذان تروهما كل عام. انتبهوا من فضلكم. في الأعوام الأخيرة، أتى محتالون لا يعرفون كيفية العزف على الطبول، وانتحلوا اسم فرقتنا واستخدموا الإعلان الذي نوزعه. ادعوا كذبًا أنهم أقرباؤنا وأعضاء فرقتنا، ونهبوا الأموال التي تتبرعون بها بكرم. نحن ثنائي كما ترون في صورنا بالإعلان. من فضلكم، لا تعطوا مالًا لأي شخصٍ غيرنا يأتيكم بالطبول. يمكنكم التأكد من صحة كلامنا عن طريق مكتب رئيس الحي أو العمدة أو الشرطة. شكرًا لانتباهكم. أعاد الله عليكم شهر رمضان بالخير".

لمحتني فتاة أبتسم بينما أقرأ الإعلان، إنها تعمل في محل الهدايا القريب.

اقتربت منِّي ظنًا منها أنني جلست في الخارج لأنني أريد صحبة. سألتني:

- أليس ممنوعًا عزف الطبول في "باي أوغلو"؟

- لا أعرف.

لا أتابع التغييرات في قواعد عزف الطبول خلال رمضان. سألتني مجدداً:

- هل ما زال هناك من يعتمد على الطبول لكي يستيقظ فجرًا؟

- لا أعرف.

الحقيقة هي أنني أتجنب المناقشات حول العادات التركية. لو أنك أجنبي أو حتى فرد في أقلية، فمن الأفضل أن تعرف موقفك وتبتعد عن المواضيع الحساسة مثل التقاليد الثقافية الدينية. ماذا سيحدث لو أن أتراك ألمانيا انتقدوا هستيريا التسوق التي تصيب الناس قبل الكريسماس بشهور؟ أو انزعجوا من إغلاق كل المقاهي والبارات ليلة الكريسماس؟

قالت فتاة المحل باعتراض:

- من يُرد أن يستيقظ لأجل السحور، عليه فقط أن يضبط المنبه. لا حاجة لإيقاظ غير الصائمين. أليس كذلك؟

صممت ألا أقول شيئًا ضد مسحراتية رمضان، فقلت:

- رمضان يعطي فرصة للعاطلين؛ لكي يحصلوا على أجرٍ من أي عمل. يكون المسحراتية – عادةً - من الرومانيين أو العاطلين القادمين من الضواحي خلال شهر رمضان. هل محاولتهم لكسب قوت يومهم سيئة إلى هذا الحد؟

يبدو أن نظريتي الداعمة للمواطن البسيط تزعج موظفة المحل الشابة التي قالت:

- هذا يعتبر تلوثًا سمعيًا. لا أظن أن ضرب الطبلة بالعصا يعتبر عزفًا. سمعت أنه في بعض المناطق يتم اختبار عازفي الطبول المتقدمين حتى يحصلوا على

رخصة بالعمل. هذا يحسن أداءهم.

إنها أول مرة أسمع فيها هذا. سألتها:

- هل تعنين أنهم يحصلوا على ختمٍ على طبولهم مثلًا؟

- أقول ما قرأت في الجرائد. لو أنه صحيح، فسيقضي على عازفي الطبول السيئين.

التزمت الصمت. بقت الفتاة قليلًا ثم غادرت عندما شعرت أنني لست اجتماعية هذا اليوم.

ooooo

اتصلت "ناز" في الظهيرة.

سألتها:

- ألم تعودي إلى "لوليبورجاز" بعد؟

- عادت "إيلين" يوم الخميس. سأقابلها الساعة الرابعة. هل لديكِ الوقت للحضور؟

بالطبع لديّ وقت! سألتها مباشرةً:

- أين؟

- في مطعم "نيشانتاشي براسيري".

لو أن لديك أحكامًا مسبقة عن الأتراك، فأنصحك بقضاء بضع ساعاتٍ في "نيشانتاشي براسيري" إن كنت في إسطنبول. عليك أن تذهب متأنقًا بالطبع. يجب أن أغيرّ بنطلوني الواسع وحذائي الرياضيّ إن أردت ألا يمسكني مدير المطعم من رقبتي ويرميني خارج المكان مثل قطةٍ ميتة.

عاد "فوفو" بعدما نمت في الليلة السابقة. اتصلت بالشقة لأجده ما زال نائماً. رائع! الشخص الذي ورطني في هذه المشاكل ينام بكسلٍ في السرير.

- أين أنت يا "فوفو"؟ من المفترض أن تكون في المكتبة في الساعة العاشرة أيام الإثنين! وأين كنت الليلة الماضية؟

تمتم مجيبًا:

- أسرفت في الشرب ليلة أمس.

صرخت فيه بشدة فأتى إلى المحل خلال ربع ساعة، من الواضح أنه خرج مسرعًا دون أن يغسل وجهه حتى.

قلت بينما أشير لساعتي:

- كيف تفسر تأخرك عن العمل؟

- حسنًا، حسنًا. سأفتح المكتبة غدًا. أيرضيكِ هذا؟

- لا، لا يرضيني.

تذكرت أن غدًا هو الثلاثاء، يوم تنظيف الست "فاطمة". ولا أريد أن أمضيه في البيت لأنها ستهلكني معها. سألته:

- لماذا تأخرت ليلة أمس؟

أجاب "فوفو":

- قابلت شخصًا جديدًا.

صرخت فيه:

- هذا رائع! بينما أجتهد أنا في العمل، تستمتع أنت بوقتك!

أخيراً هدأت وأوقفت نظراتي الغاضبة، ثم نظرت إليه بفضولٍ واهتمام وسألته:

- حقًا؟ هل وقعت في غرامه؟

قال "فوفو":

- لا يا عزيزتي. إنه من النوع العابث. لا دخل للحب في الموضوع.

سألته، على الرغم من أنني أفهم قصده:

- ماذا تعني؟

- وماذا أعني في رأيكِ؟ إذا اشتعلت شرارة الحب، انتهت العلاقة!

قلت، وأنا أضحك:

- هذا التفسير كافٍ.

قال "فوفو":

- هل أحضر لكِ بعض الشاي الأخضر؟

- سأقابل "إيلين" في مطعم "نيشانتاشي براسيري".

قال في سخرية:

- حسنًا، كنت سأفرح لكِ لو كنتِ ترتدين حذاءً من تصميم "ستيلا مكارتني" وبنطلونًا من "جوتشي". لكن لن تقتربي على مسافة مائتي متر من المطعم بهذه الملابس.

- لهذا سأعود إلى المنزل الآن.

- البسي البنطلون الأسود - الذي اشتريته أثناء التخفيضات في العام الماضي، مع قميصٍ أبيض وحذائك الأحمر ذي الكعب الطويل. ستبدين رائعة.

- هل جننت؟ لن أستطيع حتى السير إلى التاكسي بهذا الحذاء.

اقترح "فوفو":

- فلتتصلي بشركة "بيرا" للتاكسيات الخاصة، سيأتي ويقلك من المنزل.

دائمًا يجد حلولًا بسيطة لمشاكل معقدة. هل عرفتم لماذا أحبه كثيراً؟

قلت:

- ألا تظن أن سائق التاكسي سينزعج عندما يعلم أنني سأذهب إلى مكانٍ قريب مثل "نيشانتاشي"؟ بالإضافة إلى أننا في رمضان وكل السائقين صائمون بالطبع.

- صحيح، لقد نسيت تمامًا أن رمضان بدأ اليوم. لا عليكِ، يمكنكِ أن تعطي السائق إكرامية كبيرة. كلهم مهذبون في تلك الشركة.

- حسنًا، سأفعل هذا.

ليس من عادتي أن أعطي إكرامية لسائقي التاكسي في إسطنبول، فإعطاء إكرامية لأسوأ خدمةٍ في العالم هو شيءٌ ضد مبادئي.

أراحتني نصيحة "فوفو". فهي بالتأكيد أفضل من السير من "كوليديبي" حتى "نيشانتاشي" وأنا متأنقة.

قلت:

- سأغادر. أراك في المنزل. ستعود إلى المنزل هذا المساء، صحيح؟

قال "فوفو":

- هل تظنين أنني أتقدم في السن أم ماذا؟

انزعجت لأنه يريد مناقشة مشاكله الوجودية معي، وسألت:

- ما حكايتك الآن؟

قال "فوفو" على غير المتوقع:

- في الواقع، أفضل أمسياتي هي التي أقضيها معكِ في المنزل.

من الواضح أنه ترجم هذه الجملة حرفيًا من الإسبانية. فكرت في قصده بينما أسير إلى المنزل. لا بد أنه كان يقصد أن يقول: "أحب البقاء في المنزل إذا كنتِ فيه معي" أو "البقاء معكِ في المنزل أكثر متعة من الخروج" أو "البقاء معكِ ممتعٌ، وكذلك الأمسيات بصحبتكِ" أو "أنتِ رائعة ومرحة وجميلة".

رن تليفوني المحمول بينما أفتح باب الشقة. بحثت في حقيبتي الضخمة حتى وجدته أخيراً. رأيت اسم "فوفو" على الشاشة.

- ما الأمر؟

قال:

- هل تعرفين السلسلة الفضية الطويلة التي لديكِ؟ ارتديها.

جيد جدًّا! سيظن الجميع أنني ذاهبة إلى عرض أزياء بدلًا من استجواب شخصٍ ما. قلت له:

- حسنًا.

ooooo

حاصرنا الزحام المروريّ بمجرد أن دخل التاكسي في شارع "عبدي إيبكشي". تبًا للزحام المروري! كانت السيارات متوقفة تمامًا والسائقون يصرخون في بعضهم. كان هناك رجل يقود "رانج روفر" بعرض شاحنة نقل. حاول أن يخرج من المكان الذي ركن فيه، فصدم الاكصدام الخاص بسيارة "بورش" رمادية متوقفة. السائقة التي أمامنا ضربت بوق السيارة بيدها بقوة واندلعت بعدها حربٌ من الشتائم.

قال السائق:

- لقد تورطنا في زحام المساء يا سيدتي. الصائمون في عجلةٍ للعودة إلى منازلهم من أجل الإفطار.

قلت بينما أخرج من التاكسي:

- سأنزل هنا. يمكنك الخروج من هذا الشارع بعد مسافةٍ قصيرة.

قد لا تكون الشوارع مثل برلين، لكن على الأقل هناك أرصفة في "نيشانتاشي" على عكس باقي إسطنبول. سرت نحو المطعم، وزكمت أنفي رائحة عطرٍ قوية تفوح من سيدتين تسيران أمامي. بمجرد أن دخلت المطعم، توجهت إلى الطاولة الفارغة أقصى اليمين. كانت النوافذ مغطاة بالمرايا من الداخل، لذلك يمكنني رؤية كل الجالسين وكل من يدخل أو يخرج. بما أن الهدف من الجلوس هناك هو أن ترى الناس ويرونك، أردت الجلوس في موقعٍ مميز.

معظم الزبائن من سيدات "نيشانتاشي" الراقيات مع القليل جدًّا من الرجال. السيدات هناك كلهن متشابهات، سواء شابات في الخامسة عشر أو عجائز في السبعين. يبدو أنهن أجرين عمليات تجميل للأنف عند الطبيب نفسه. لديهن الشفاه المنفوخة نفسها، والوجه المشدود، وعلامات حقن البوتوكس، ومجموعة من الفيتامينات التي يتم حقنها تحت الجلد، بالإضافة إلى آثار الكثير من جلسات تسمير البشرة أسبوعيًا. استمتعت بمراقبة هؤلاء النساء، على الرغم من أنه استفزني لون الجلد البرتقاليّ المحروق من كثرة حمامات الشمس.

وصلت مبكرًا عن موعدي، فقررت أن أطلب قهوةً بالحليب، على الرغم من شعوري بالذنب لإكثاري من القهوة. لكن لن تحتسب إذا كانت بلا كافيين.

قلت للنادلة:

- قهوة بالحليب دون كافيين وزجاجة مياه لو سمحتِ.

ردت النادلة بالإنجليزية. هل لأنها لاحظت أنني لست تركية؟

قلت:

- لماذا تتحدثين بالإنجليزية؟ أنا أتحدث التركية.

ردت وهي تستدعي نادلًا يعمل خلف طاولة البار:

- آسفة، لا أتحدث التركية. سأنادي زميلي.

لا أكره الأجانب، لكن هل من الطبيعي أن نادلة تعمل في إسطنبول ولا تتحدث التركية؟!

وصلت "ناز" مع "إيلين" بعد دقائق. اندهشت لرؤية "إيلين". بدت نموذجًا تقليديًا لسيدات "نيشانتاشي". إنها في الرابعة والثلاثين، شعرها طويل وناعم وبه خصلات مصبوغة، وأنفها صغير ومرفوعٌ قليلًا للأعلى. ترتدي بنطلون جينز أزرق وحذاءً بكعبٍ عالٍ جدًّا لدرجة أنني لا أجرؤ على ارتدائه أبدًا، وتفوح منها رائحة عطرٍ قوية وجميلة لكن لم أتعرف عليها.

لم نعجب ببعضنا. بصراحة لا أعرف إن كانت قد أعجبت بي أو لا، فكل نساء "نيشانتاشي" ينظرن بتعالٍ للجميع. فمثلًا لو اصطدمت بك إحداهن في الشارع، ستنظر إليك بغضب بدلًا من الاعتذار. وهذه المعاملة ليست فقط مع الأشخاص العاديين أمثالي، بل مع بعضهن بعضا أيضًا. أكثرهن ثراءً تكون أشدهن وقاحة، وكأنه قانون غير مكتوب فيما بينهم يحدد كيفية التصرف في تلك المواقف.

إن خدمة هؤلاء السيدات هي أسوأ وظيفةٍ في العالم. ربما لهذا السبب يوظف المطعم من لا يتحدثون التركية. لا بد أن نادلتي أكثر سعادةً من زملائها الأتراك الذين يفهمون ما يقال من حولهم. أظن أن أشخاصًا مثل "سيفيم" سكرتيرة "ساني" لن يصمدون أبدًا في هذا المكان. عندما قابلت "إيلين" عرفت لماذا كانت "سيفيم" مرتبكة عندما رأيناها أول مرة.

أتساءل إن كانت "ساني" مثل سيدات "نيشانتاشي". إن صدق هذا، فبالتأكيد هناك دستة من الأشخاص كانوا مستعدين وفرحين لرؤيتها تموت.

قلت:

- سمعت أنكِ وزوجكِ "رمزي" كنتما من أوائل الناس الذين دخلوا بيت "ساني".

لقد اتصل بكما "جيم" بك على حد علمي.

ردت "إيلين" بغرور وهي تشدد على حرف الراء في كلامها وتكتم تثاؤبًا:

- هذا صحيح. قال "جيم" إن أحدًا لم يرَ "ساني" منذ بضعة أيام وهي لا تجيب على التليفون. اتصلت بالمكتب لكنها لم تكن هناك. أخبرني "رمزي" أن أتصل بالشرطة، وقد فعلت. عندما وصلنا إلى بيت "ساني"، كانت الشرطة هناك بالفعل.

- أفترض أن "ناز" أخبرتكِ أن...

قاطعتني بالغرور نفسه:

- لم يخبرني أحدٌ شيئًا.

وصفت لي "ناز" باختصار كيف ماتت "ساني". قالت "إيلين":

- حثالة! كيف يتركون "إيلين" ملقاة على الأرض هكذا؟ ماذا حدث للعالم؟

أمعنت النظر في وجهها بحثًا عن علاماتٍ للقلق، ولقد وجدتها.

طلبت "إيلين" - بالإنجليزية بالطبع - شايًا بالأعشاب لنفسها وقهوة "إسبريسو" لـ"ناز".

قالت "إيلين":

- من الأفضل أن تتحدثي مع "رمزي" عن هذا. معكِ رقمه، صحيح؟

- لكنكِ كنت صديقة "ساني"، قد تعرفين أمورًا تفيدنا.

- مثل ماذا؟

- أعلم أن "جيم" و"ساني" عقدا اتفاقَ ما قبل الزواج. هل تعرفين شيئًا عنه؟

- يستطيع "رمزي" أن يخبركِ عن هذا، فهو من تولى قضية الطلاق.

- هل كانت هناك أي حساسيات بينهم عندما بدآ بمناقشة قرار الطلاق؟

سألت "إيلين" بابتسامة وكأنني قلت نكتة:

- حساسيات؟ ماذا تعنين؟ لم يرغب "جيم" في التنازل عن قرشٍ واحد، وكان مستعدًا لفعل المستحيل لضمان ذلك.

قلت:

- لكن ليس لدرجة مشاهدتها وهي تموت على ما أظن.

- ربما فعل. حتى لو لم يقتلها بنفسه، ربما شاهدها وهي تموت واستمتع بذلك حتى.

ماذا؟ نظرت إلى "ناز" في دهشة. أليس من المفترض أن هذه المرأة صديقة "جيم"؟ الجميع يصفون "جيم" بأنه ملاك. ماذا يحدث؟

أرجعت "إيلين" شعرها للخلف، ونظرت حولنا إلى باقي الجالسين في المطعم.

إنها أول مرَّةٍ في حياتي، لا أعرف ماذا أقول.

قالت "إيلين"، وهي تنظر إلينا:

- الرجالُ قادرونَ على فعلِ أي شيءٍ.

سألتها "ناز" التي بدت مندهشةً بقدري:

- هل حدث شيءٌ ما يا "إيلين"؟ هل أنتِ غاضبة من شخصٍ ما؟

قالت "إيلين" وهي تستند برأسها على يدها:

- شخصٌ ما؟ نعم، أنا غاضبة من شخصٍ ما.

- ماذا حدث؟

اندفعت تشرح وكأنها كانت تنتظر هذا السؤال.

- ذهبت مع "رمزي" إلى "باشا بهتشه" يوم وفاة "ساني". عدنا إلى هذه الناحية من البوسفور في الساعة السادسة. أراد "رمزي" الذهاب إلى المكتب لأخذ بعض الأوراق، وذهبت معه لأنني لم أرغب في البقاء وحدي. عندما وصلنا وجدنا السكرتيرة مرتبكة. ظلت تتحرك كثيراً وتفعل أي شيء لتبقيني في صالة الاستقبال. أما "رمزي" فكان في حال عجيبة. شككت في الأمر عندما قرر فجأة أنه علينا الرحيل. بدا واضحًا أنهما يحاولانِ إبعادي عن مكتب "رمزي"، لكنني دفعتهما ودخلت. وجدت امرأة تشبه المغنية "كيلي مينوج"، قدمها لي "رمزي" بصفتها موكلة اسمها "شيلالي" هانم. حتى اسمها يبدو فألًا سيئًا.

سألتها:

- هل ستطلبين الطلاق من "رمزي" بك؟

- بعضهم يتجاهلون مثل هذه الأشياء، لكنني لست من هذا النوع. بالطبع سأطلب الطلاق. لقد وكلت محاميًا.

قالت "ناز":

- ستطلبين الطلاق إذًا.

- من المستحيل أن يستمر زواجنا. لقد تحدثت إلى المحامي قبل مجيئي مباشرةً. من الآن فصاعدًا سأصبح امرأةً مسكينة على وشك الطلاق. من الواضح أن "رمزي" أخبر المحامي الخاص بي أن ممتلكاته عبارة عن سيارة دفعٍ رباعي وبيت، وهو لا يمانع أن أشاركه فيهما. لقد كاد يطلب منِّي مالًا! أتصدقان هذا؟ إنه محامٍ ناجح ويملك شركة مقاولات. يجب أن أثبت بالضبط ما يمتلكه وما لا يمتلكه. لكن كيف لي أن أعرف مقدار ثروته وأين يخفيها؟ يجب أن أجد دليلًا على كذبه؛ لكي أحصل منه على تعويض، لكن كيف يمكن إثبات كذب شخصٍ ما؟

سألتها "ناز":

- ماذا ستفعلين؟

- لا أعرف. من الواضح أنه يأمل أن يمنعني من الطلاق. لقد قال للمحامي أن يحثني على التصالح معه؛ لأن النفقة التي سأتلقاها منه لن تكفي حتى البقشيش الذي أعطيه للكوافير في الشهر. ذلك الوغد!

- هل تظنين أنكما قد تعودان لبعضكما؟

- مستحيل. من الأفضل أن أوظف محققًا خاصًا لإثبات كذبه.

نظرت "ناز" إليَّ نظرة ذات مغزى، وكأنها على وشك قول أنني محققة خاصة.

قلت بسرعة:

- لا أقوم بهذا النوع من الأعمال.

التزمت "ناز" الصمت، حتى وإن ظنت أنني أتمنع طمعًا في زيادة الأجر.

قالت "إيلين":

- قد لا تصدقينني، لكن لم أتصور قط أن ما حدث مع "ساني" و"جيم" قد يحدث لنا، أو أن "رمزي" سيخونني أو يكذب عليَّ بشأن ثروته. كنت مغفلة! لقد تفاجأت من رؤية جانبٍ آخر له.

"إيلين" المسكينة! لقد تدهورت حالُها بعد أعوامٍ من عيش حياة كالأحلام. الخروج من حياة الرفاهية ومواجهة الواقع لن يكون سهلًا عليها بالطبع، لكن لا يهمني أبدًا اكتشافات "إيلين" عن تقلبات الحياة.

سألت:

- ما طبيعة "جيم"؟ بما أنكِ قلتِ أنه قد يكون القاتل؟

- لست متأكدة من أنه من النوع الذي قد يستطيع القتل، لكنه اعتاد على تهديد "ساني". ربما هذا ما يفعله الرجال عندما يوشكون على الطلاق. النساء يشتمن والرجال يهددون. قال "جيم" إنه إن طلقته "ساني"، فلن تجد مكانًا تعود إليه إلا قريتها.

- هل أخبرتكِ "ساني" بهذا؟

أجابت "إيلين":

- لا، "جيم" قال ذلك لـ"رمزي". ربما قال ذلك لـ"ساني" أيضًا، لكنها ما كانت لتقول شيئًا. ما كانت لتستطيع.

- لم لا؟

قالت "إيلين":

- كانت "ساني" في غاية التحفظ. هل ذلك لأنها لم تثق بأحد، أم بسبب مشاكل واجهتها في صغرها؟ ما رأيكِ يا "ناز"؟

أومأت "ناز".

قالت "إيلين":

- في الوقت الذي ظننتها تفكر في الإنجاب أخبرني "رمزي" أنها تفكر في الطلاق. لم تلمح قط إلى أن علاقتها مع "جيم" تسوء. هل أخبرتكِ شيئًا يا "ناز"؟

هزت "ناز" رأسها نفيًا.

- كانت تستشير زوجي لأنه محامٍ، ومع ذلك لم تخبرني أنها قررت الطلاق. هذه هي طبيعتها. ربما كانت غلطتي. ربما لأن خلفياتنا الاجتماعية مختلفة، جعلتها تشعر بـ..

سألتها:

- الدونية؟

قالت "إيلين":

- ليس تمامًا، لكن بالتأكيد لا توجد أمورٌ مشتركة في ماضينا.

قلت:

- وظننتِ أن هذا سبَّب خللًا في توازن العلاقة بينكما لمصلحتكِ.

- أحسنتِ الوصف.

بالطبع أحسنت الوصف، أخبرتكم مرارًا أنني أجيد التركية ببراعة. سألت من باب الفضول:

- لكن ماذا سيحدث الآن، بخلاف قرارك للطلاق من زوجكِ؟

قالت "إيلين":

- جميعنا نعيش الحياة نفسها. مهما كانت حالتنا المادية أو خلفيتنا الاجتماعية، تبدأ حياتنا في التدهور بمجرد أن نسلم مصيرنا لشخصٍ آخر. أخبرني "رمزي" أن أعود من حيث أتيت، أي إلى شقة والدي في "شيشلي". هل تتصورين؟ هل يجب أن أخجل لأن والدي المسكين الذي كان سفيراً لم يدخر مالًا إلا ما يكفي لشراء شقةٍ واحدة في "شيشلي"؟

من الغريب أن يوجد سفير بهذا الفقر، لكن ربما أهدر أمواله في الكازينوهات. على كلٍّ، لا يهمني. سألتها:

- هل كانت "ساني" تكتب مذكراتها؟

ردت "إيلين":

- مذكرات؟ لا أعرف. هل كانت تفعل؟

قالت "ناز":

- اعتادت أن تفعل في الماضي.

- تعرفين أنه قد وقع حادث اقتحام في مكتب "جريتور"، صحيح؟

أجابت "إيلين":

- اقتحام؟ لا، لم أعرف. لا بد وأنه قد حدث بينما كنت مسافرة بعد جنازة "ساني". لقد تلقيت صدمتين في يومٍ واحد، فاحتجت إلى الابتعاد قليلًا عن الضغوط. لكن ما الذي يستحق السرقة من "جريتور"؟

- أخذوا أجهزة الكمبيوتر. هل تعرفين إن كان عليها بيانات متعلقة بوفاة "ساني"؟

- كان عليها ملفات متعلقة بشؤون البيئة وملفات عمل، لكن ليس معلومات شخصية. كل المعلومات الشخصية على الـ"لاب توب" الخاص بها، وهي لم تكن تتركه يغيب عن ناظرها.

- لقد اختفى الـ"لاب توب" أيضًا.

- هل كان في المكتب أيضًا؟

- نظن أنهم أخذوه من بيتها.

تمتمت "إيلين":

- عجيب. أتساءل إن كانت استخدمت الـ"لاب توب" لكتابة مذكراتها.

لا بأس بتفكيرها. لم أتوقع ذلك منها. ربما تسرعت بالحكم على سيدات "نيشانتاشي".

سألتها:

- لماذا تظنين ذلك؟

أجابت "إيلين":

- اعتادت "ساني" القول إنها نسيت كيف تمسك بالقلم. لطالما حملت معها قلم حبر، لكنها اشتكت كلما اضطرت لاستخدامه. ما كانت لتنزعج من الأقلام هكذا لو أنها معتادة على كتابة مذكرات بيدها. أليس كذلك؟ لذلك أفترض أنها لم تكن مذكرات بخط اليد.

قلت:

- هذا ما خمناه نحن أيضًا. ويبدو أننا لسنا الوحيدين الذين فكرنا في ذلك، بدليل أنهم سرقوا كل أجهزة الكمبيوتر.

علقت "إيلين":

- في هذه الحال، قد يكون الفاعل شخصًا يعرف "ساني" جيدًا مثلما نعرفها على الأقل.

- هذا طبعًا في حال إن كانت المذكرات على أحد الكمبيوترات. ربما كان أحد الأشخاص المتورطين في شؤون البيئة.

سألت "إيلين":

- وما علاقة البيئة بموضوعنا؟

قلت:

- ظننا أن أصحاب المصانع الذين يلوثون البيئة في "تراقيا" متورطون في هذا. هل تحتوي الكمبيوترات على أي معلوماتٍ قد تدينهم؟

قالت "إيلين":

- لا أعرف بهذا الشأن. أظن أن "رمزي" سيساعدكِ في هذا الأمر أفضل منّي. لقد كان يبحث عن ثغراتٍ في اللوائح، وهناك الكثير منها، والذي يمكن استغلاله في قضايا المحاكم.

قلت:

- أخبريني عن السكرتيرة التي تعمل في "جريتور".

قالت "إيلين":

- إنها مجرد امرأةٍ عادية. أظن أن لديها أخ مصابٌ بصعوبةٍ في التعلم أو بمرضٍ

يتطلب الكثير من الرعاية. إنها تطلب الكثير من الإجازات لتأخذه إلى الطبيب، وهذا يضر بالعمل. لو الأمر بيدي لما أبقيتها، لكن "ساني" كانت طيبةً جدًّا. بخلاف ذلك، أنا لا أعرف عنها شيئاً.

- منذ متى تعرفين "جيم" بك؟

- تقابلنا في أمريكا. كان أبي سفيراً في واشنطن قبل تقاعده. وهناك، كانت توجد رابطة نشطة جدًّا للطلبة الأتراك. أنا و"جيم" تقابلنا هناك. في الواقع، أنا من عرفته على "ساني".

سألتها:

- هل تعرفين عائلة "جيم"؟

- قابلتهم بضع مرّات. لم يكن والداه اجتماعيين كثيراً. نادرًا ما قبلا دعوات أحد. والدته سيدة راقية من عائلةٍ عريقة، ووالده رجل أعمال ناجح جدًّا. لكن لا أعرف طبيعة شخصيتهما.

- هل لدى "جيم" أشقاء؟

- على حد علمي، لديه شقيقةٌ كبرى تعيش في "بودرام". إنها رسامة. لوحاتها آآآ... لا أحب التقليل من شأن أحد، لنقل إن لوحاتها لا تماثل ذوقي. إنها من الرسامين الذين يواصلون الرسم حول موضوعٍ واحد.

- وما هذا الموضوع؟

- المهرجون بكل أنواعهم، الضاحك والسعيد والحزين. سمعت أنها تعيش مع مغني يكبرها كثيراً. اعتاد الغناء في بارات في "بودرام". لماذا تسألين؟

- لا بد أن هذا أحزن أمهما كثيراً. سمعت أنها لم توافق على زواج "جيم" من "ساني".

- والدتهما؟ هل تعنين "تاماشا" هانم؟

أجبتها وأنا أتساءل عن سر اندهاشها:

- نعم.

- شقيقة "جيم" ليست ابنة "تاماشا" هانم. إنها ابنة "باهري" بك من زوجته الأولى.

- أها!

بالطبع تدركون كم أسعدني هذا الخبر الجديد الذي أعرفه عن شقيقة "جيم" الجامحة.

- ما اسمها؟

عبست وهي تفكر قليلًا، ثم قالت:

- لا أتذكر. هل تعرفينه يا "ناز"؟

- إنها أول مرة أسمع أن "جيم" لديه شقيقة أصلًا.

قالت "إيلين":

- سأعرف وأخبركما. سأطلب سَلَطَة. هل تريدان شيئًا؟

سألتها وأنا أشعر أنني ألف وأدور حول الموضوع نفسه:

- سأشرب شايًا فقط. هل تعرفين شيئًا عن مضمون اتفاقية ما قبل الزواج، التي وقعها "ساني" و"جيم"؟

قالت " إيلين" وهي تسند ذقنها على يدها:

- كما قلت، عليكِ التحدث مع "رمزي".

صمتت قليلًا، ثم أضافت:

- على حد علمي، تلك الاتفاقيات تتشابه. كلها تنص على أنه في حال الطلاق،

يحصل كل طرفٍ على الممتلكات التي كانت باسمه قبل الزواج ولا يطالب بممتلكات الآخر. أما إذا لم توجد اتفاقية ما قبل الزواج، فالممتلكات يتم تقاسمها بالتساوي بين الطرفين. لذلك يستخدم الأزواج هذه الاتفاقيات كمخرجٍ لحماية أنفسهم.

قلت ساخرة:

- وللتأكد من أن زوجاتهم سيعدن من حيث أتين.

قالت "إيلين":

- لكن حتى لو تم توقيع اتفاقية، ما زال من الممكن فعل شيءٍ ما. خذيني كمثال؛ إذا استطعت إثبات خيانة "رمزي" لي، أستطيع الحصول على تعويض. كان الأمر أصعب بالنسبة لـ"ساني" لأن "جيم" لم يكن الطرف المذنب ولم يرغب في الطلاق. في نظامنا القضائي يمكن الحصول على تعويض إذا تم إثبات أن أحد الطرفين مذنب. أما في أوروبا، تمنح المحكمة الزوجة نفقة ضخمة أو تعويضًا كبيراً، كما أخبرني المحامي اليوم. هل تعرفين كم دفع "لوتشيانو بافاروتي" لزوجته عندما تطلقا؟

- كيف لي أن أعرف؟

- دفع مائة مليون يورو.

- هل تعنين "بافاروتي" مغني الأوبرا؟

- نعم. وهل تعلمين كم طلبت زوجة "بول مكارتني" كتسوية طلاق؟

لا أعرف بالطبع. أجابت هي:

- ثلاثمائة مليون يورو. من المفترض أن "بول مكارتني" يمتلك 1,2 مليار يورو باسمه، وطالبت زوجته بالربع.

قلت:

- أتساءل كم يملك "جيم".

قالت "إيلين":

- هناك شركة "أنكاراليجيل" القابضة الضخمة. من يعلم كم تساوي. إنها بالتأكيد واحدة من أكبر عشر شركات. في رأيي، لا أظن أن "جيم" كان جادًّا في تهديده بحرمان "ساني" من كل شيء.

قالت "ناز":

- هل يمكنني قول شيء؟ تتحدثين وكأن كل النساء يحاولن نهب أزواجهن.

قلت تعليقًا على كلامها:

- حتى آخر قرش.

قالت "ناز":

- هذا الأسلوب يزعجني.

سألتها "إيلين":

- ماذا تعنين؟

- عندما عادت "ساني" إلى تركيا كان وضعها ممتازًا. كانت مؤهلة للعمل في شركاتٍ رائدة. وكان بإمكانها البقاء في أمريكا حيث تلقت عروض عملٍ كثيرة.

قالت "إيلين":

- هذا صحيح.

قالت "ناز":

- لكن ماذا حدث؟ ظل "جيم" يتذمر ويسألها بسخرية أين ستعمل ولماذا. في النهاية لم تحتمل "ساني" أكثر وقررت البحث عن وسيلةٍ تسلي بها نفسها بدلًا من

العمل الفعلي.

قالت "إيلين":

- هذا صحيح.

قالت "ناز":

- والوضع نفسه ينطبق عليكِ، أليس كذلك؟ قبل زواجكِ كان لديكِ وظيفةٌ جيدة كمترجمة فورية. لماذا تخليتِ عنها؟

- ما كنت أستطيع الاستمرار وأنا متزوجة وإلا زاد الضغط عليَّ مع كل هذه الرحلات إلى الخارج وقضاء معظم أيام الأسبوع في أنقرة.

- كنتِ تربحين جيدًا ولديكِ وظيفةً تحبينها، ومع ذلك تخبرينني الآن أنكِ تريدين سلب "رمزي" بعض الأموال القليلة.

قالت "إيلين":

- أسوأ شيء هو أن تفقدي ثقتكِ بنفسكِ.

قالت "ناز":

- هذا يحدث عادةً للنساء اللاتي يتخلين عن عملهن بعد الزواج. ليس سهلًا أن تعودي للعمل بعد الابتعاد عنه مدةً. تتدمر ثقة المرأة بنفسها أثناء الزواج لدرجة أن...

واصلت "إيلين" جملة "ناز" بالنيابة عنها:

- لدرجة أنها تعجز عن البدء من جديد. بِمَ تنصحينني؟

قالت "ناز":

- أنا؟ سأحاول العودة إلى العمل بالطبع.

- أشك في أنني سأحصل على وظيفةٍ رائعة مثل وظيفتي السابقة، لكن سأحاول بالتأكيد. ربما يمكنني أن أجد لنفسي عملاً مقبولاً في مكانٍ ما.

بالتأكيد لديَّ ما أفعله أفضل من الجلوس لأنصح النساء كيف يتعاملن مع الطلاق. قلت:

- هل يمكننا الرحيل الآن؟

قالت "ناز":

- لم تنته "إيلين" من تناول السلطة.

بل لم تقترب منها أساسًا. قلت:

- كلما رأيت "ساني" على الغداء كانت تتناول السلطة.

قالت "ناز":

- كانت تتبع حمية دائمًا، لكنها ليست حميةً صحية. ظللت أخبرها أن طبقًا واحدًا من السلطة في اليوم ليس كافيًا للجسم أبدًا.

قالت "إيلين":

- الحل الوحيد لخسارة الكثير من الوزن هو التوقف عن الأكل تمامًا.

قالت "ناز":

- هذا ليس صحيحًا. لكنني واثقة من أنكِ تفعلين ما ترينه صحيحًا، لذلك سألتزم الصمت.

قالت "إيلين":

- أنتِ محقةٌ في الواقع. يؤثر الجوع على الأعصاب. كانت "ساني" مجهدة دائمًا بسبب طلاقها وحميتها الشديدة.

اندفعت "ناز" قائلة:

- كدت أنسى. أردت سؤالكِ عن شيءٍ ما. نصحتها بزيارة طبيبٍ نفسيّ، هل تعرفين إن كانت قد ذهبت أم لا؟

أجابت "ناز":

- نعم، نعم. استشارت واحدًا في عيادة في "نيشانتاشي". تقابلنا الجمعة السابقة للحادث المروع، ثم ذهبت إلى الطبيب.

سألتها "ناز":

- هل تتذكرين اسم الطبيب؟

- لم أسأل عن اسمه، لكن أستطيع الوصول إليه. أعرف الشخص الذي رشحه لها.

قالت "ناز":

- افعلي من فضلك.

ضربت "إيلين" أزرار تليفونها بأظافرها المطلية بلون شفاف مع أطرافٍ بيضاء. ملت على "ناز" أسألها:

- ماذا تريدين من الطبيب؟

- سأسأله عن علامات وخز الإبر على ذراعها. أظنه قد يملك بعض الأفكار.

- لكنه لن يكشف لنا أبدًا أسرار مريضته، فهذا يخالف أخلاق المهنة.

- لا أريد معرفة أي أسرار، بل أريده أن يمدني برأي.

قالت "إيلين":

- سترسل إليَّ رقم العيادة، واسم الطبيب "إثيم توغلاجي".

رن تليفونها وهي تتحدث.

قالت "ناز":

- أخبريني الرقم وسأكتبه.

قالت "إيلين":

- تقع العيادة في شارع "روميلي".

ثم أملتها رقم التليفون.

قلت لـ"ناز":

- لم لا تتصلين بالعيادة؟ يمكننا الذهاب إلى هناك فوراً.

قالت "ناز":

- حسنًا، لكن سأجري المكالمة في الخارج.

قلت:

- الضوضاء في الخارج أعلى من هنا.

- لا يهم. أستطيع التحدث بحريةٍ أكبر في الخارج.

خرجت "ناز" وبدأت "إيلين" تعبث بالسلطة قبل أن تستسلم تمامًا وتترك الشوكة.

سألتني:

- ألم تقابلي "ساني" قط؟

- كنت أراها أحيانًا وقت الغداء.

قالت "إيلين":

- لكنك لم تعرفيها شخصيًا.

ثم أضافت فجأة:

- أظن أن "ساني" كانت تشعر بالغيرة من "ناز".

لم أعرف بمَ أرد عليها.

قلت وكأنني أتحدث عن طفلتين:

- أحيانًا تحدث بعض المنافسة بين الأشقاء.

بصراحة، لا أعرف شيئًا عن العلاقات الأخوية، لأن أخي الذي يكبرني بكثير غادر المنزل حينما كنت طفلة.

قالت "إيلين":

- لا أتحدث عن الغيرة العادية. غيرتها كانت تقريبًا مَرَضية.

سألتها:

- لم تظنين ذلك؟

قالت "إيلين":

- مثلًا، كانت تقلد كل ما تفعله "ناز". بعد شهرٍ من صباغة "ناز" لشعرها بالبنّي، ادعت "ساني" أنه حدث خطأ عند الكوافير وتحول شعرها الأشقر الفاتح إلى بنّي.

يبدو أن الناس يبنون استنتاجاتهم على أدلةٍ غريبة!

قلت:

- قد يكون خطأ بالفعل.

قالت "إيلين":

- لماذا إذًا غضبت "ساني" وكأنها نهاية العالم عندما أعادت "ناز" شعرها إلى

اللون الفاتح؟

- لا أعرف.

ماذا أقول في هذا الموقف؟

واصلت "إيلين":

- هذا ليس الشيء الوحيد. بعد أسبوع من توقيع "ناز" لعريضة ضد القسوة على الحيوان، قادت "ساني" مظاهرة ضد تربية الدجاج في بطاريات الدواجن. عندما سُرقت حقيبة "ناز"، استعادتها "ساني" بمعجزة من اللصوص بعد بضعة أيام. ألا تظنين أنها صدفةٌ مبالغٌ فيها؟

- بالطبع.

- هل لاحظتِ مدى الشبه بين "ناز" و"ساني"؟

- نعم بالطبع، فهما أختان.

- انظري إذاً إلى صورهما في الطفولة. لن تجدي شبهًا كبيراً.

- ماذا تعنين؟

- أعني أن "ساني" أعطت صور "ناز" لطبيب التجميل وقالت إنها تريد أن تشبهها.

- ليس سهلًا أن تشبهي شخصًا آخر حتى بعد الكثير من عمليات التجميل.

قالت "إيلين" وهي تشير إلى باقي السيدات اللاتي يشبهن بالفعل بعضهن كثيراً.

- ليس سهلًا لكن ليس مستحيلًا. كلنا نشبه بعضنا هنا، أليس كذلك؟ من الواضح أنها أجرت العمليات وهي في الجامعة، أي منذ مدة طويلة. لا بد أنها كانت مصابة بخللٍ عقلي.

تتفوه "إيلين" بكلامٍ فارغ الآن.

قلت بينما أفكر في جمع معلومات عن هذه الأمور:

- لكنها لم تملك مالًا وهي في الجامعة، وعمليات التجميل مكلفة.

- قامت "ساني" بتدريس الرياضة والكيمياء في مدرسةٍ ثانوية بينما كانت طالبة جامعية. لذلك لم تكن حالتها المادية صعبة كما تعتقدين.

سألتها:

- كيف عرفتِ ذلك؟

- إسطنبول مدينةٌ صغيرة. الجميع يعرفون كل شيء. لستِ من إسطنبول، صحيح؟

أدركت أن "إيلين" لم تخمن من أين أنا.

- لا، لست كذلك. هل انتشرت أحاديث تفيد بأن "ساني" خضعت لعمليات تجميل تجعلها تشبه "ساني"؟

- لا، ليس كثيراً. لكن بعض الناس عرفوا بهذا الشأن بالتأكيد. يقال أيضًا: إن "ساني" سرقت حبيب "ناز"، عندما كانت في الجامعة.

سألتها:

- هل كان "أورهان" حبيب "ناز" أولًا؟

لم تجبني لأن "ناز" عادت.

قالت "ناز":

- لو غادرنا الآن، يمكننا مقابلة الطبيب خلال عشر دقائق. آسفة لاستعجالك يا "إيلين"، سأحاسب على الطلبات.

قالت "إيلين":

- دعكِ منّي وواصلي أنتِ. هل يمكنني أخذ رقمكِ يا "كاتي" هانم؟ ربما أحتاج مساعدتكِ.

- قلت إنني لا أتجسس على الناس.

- لا مشكلة، أعطني إياه فحسب.

لا مفر من تبادل أرقامنا إذًا.

ooooo

تقع عيادة الطبيب النفسي في الطابق الثاني من مبنى جميل على طراز الفن الحديث بسلمٍ مغطى بسجادةٍ حمراء تبدأ من صالة الاستقبال وتقود إلى الأعلى. هناك موظف استقبال يرتدي سترةً رمادية وبنطلونًا واسعًا يشبه بناطيل ركوب الخيل. كان يجلس على مكتبٍ بعد أول مجموعة سلالم. هل هذا أفضل ما لديهم؟

فتحت شابة شعرها أشقر باب العيادة. أظنني لو بقيت في "نيشانتاشي" وقتًا أطول لاعتقدت أن تركيا كلها شقراء.

قالت الفتاة وهي تقودنا إلى غرفةٍ ببابٍ زجاجي:

- "إثيم" بك في انتظاركما.

وقف "إثيم" ليحيينا ثم دعانا للجلوس على الكراسي المريحة أمام مكتبه بينما جلس هو على الأريكة، وسألنا:

- قلتِ إنكِ طبيبة قلب في مستشفى "لوليبورجاز" الحكومي. هل هذا صحيح؟

أومأت "ناز" وقالت:

- أختي "ساني أنكاراليجيل" كانت إحدى مرضاك. كانت تمر بوقتٍ عصيب بسبب مسألة طلاقها، وأنا نصحتها باستشارتك.

قال "إثيم":

- قرأت خبر وفاتها في الصحف. تعازيَّ الحارة.

بدا لي أشبه ببقَّالٍ منه إلى طبيبٍ نفسيّ، لكن لا بد أنه بارعٌ في عمله لأن العمل كطبيبٍ نفسيّ لصفوة المجتمع ليس سهلًا أبدًا.

قالت "ناز":

- ذكر تقرير الطب الشرعيّ وجود علاماتٍ لوخز إبرٍ على ذراعها اليسرى، فظننت أنك ربما تعرف شيئًا.

- لم أبدأ معها العلاج، وبالتالي لم أصف لها أي أدوية. لقد تحققت من ملفها الطبيّ مجددًا قبل قدومكما. كانت تتعرض لضغطٍ شديدٍ مؤخرًا، واشتكت من الدوار والتعرق الشديد. ذات مرةٍ تأذت وهي تستدير، و...

قاطعته "ناز" بدهشة:

- تأذت وهي تستدير؟

- وانهارت.

تبادل ثلاثتنا نظرات الدهشة. لماذا يسقط شخصٌ ما دون أن يتعثر أو ينزلق على شيءٍ ما؟ هل بسبب هبوط في ضغط الدم؟ أم ورم دماغيّ؟ لم أستطع التفكير إلا في هذين الاحتمالين.

سألت:

- ما الذي قد يسبب انهيار شخصٍ ما؟

قال:

- عدة أسباب.

هذا أشد ما أكرهه في الأطباء. لم لا يخبرونك ببساطة عن المرض الذي تشير

إليه الأعراض؟ سألته:

- هل كانت مصابةً بورمٍ في المخ مثلاً؟

من الواضح أن "إثيم" لم يحب تدخلي، فلقد نظر إليَّ ببرودٍ وقال:

- هذا محتمل. لكن سجلها الطبي يظهر إصابتها بالتوتر والإجهاد والتعرق والإغماء والدوار، وهذا يشير إلى اضطرابٍ في الهرمونات ربما أدى إلى تضخمٍ في الغدة الدرقية أو اضطرابٍ في الدورة الشهرية أو داء السكري. نصحت "ساني" هانم باستشارة "هالي جورسيل" أخصائي الأمراض الباطنية في المستشفى الأمريكي، وبإجراء كل الفحوصات اللازمة.

سألته "ناز":

- كان موعدها معك يوم الجمعة. هل تظن أنها ذهبت من هنا إلى المستشفى مباشرةً؟

- في الوقت الذي غادرت فيه "ساني" هانم كانت عيادتنا العامة قد أغلقت، لذلك طلبت من السكرتيرة حجز موعدٍ لها. تفحصت جدول المواعيد ووجدت أن موعدها محجوز يوم الإثنين في الثانية عشر. لو أنها حضرت في ذلك الموعد فـ..

قالت "ناز" مقاطعة وهي تنهض:

- شكراً جزيلاً يا "إثيم" بك. لقد أرحت بالي.

هذا بالضبط عمل الطبيب النفسيّ.

ooooo

قالت "ناز" بينما ننزل على السلالم المفروشة بالسجاد:

- لو أن الطبيب الأخصائي طلب تحليل دم، فهذا يفسر وجود علامات وخز الإبر

على ذراع "ساني". لكننا سنضطر إلى الانتظار حتى صباح الغد لنكتشف ذلك.

اقترحت عليها:

- المستشفى الأمريكي بالقرب من هنا، لم لا نذهب الآن؟

قالت "ناز":

- لا بد أن الطبيب غادر بالفعل. لن تجدي أحدًا منهم في هذا الوقت.

- لا نحتاج للتحدث إلى الطبيب. لو أنها أجرت التحليل، يمكننا الحصول على النتائج من المعمل.

- لن يعطونا إياها.

- لم لا؟ لن يعرفوا أننا لسنا "ساني". لن يسألنا أحدٌ أي أسئلة. سنتحدث مع أحد المساعدين أو الممرضين.

- هل تظنين أننا سننجو بفعلتنا؟

- بالطبع!

ooooo

وقد فعلنا بالفعل. كانت تمطر حين غادرنا المستشفى وأسرعنا إلى أقرب محل مخبوزات. لم أرَ "ناز" بهذه السعادة منذ قابلتها. جلست تومئ برأسها، وهي تقرأ نتيجة تحليل الدم.

أخيراً قالت:

- لو أنها لم تتسمم كما قلت منذ البداية، فعلى الأرجح سيكون سبب الوفاة صدمة نتيجة انخفاض مستوى السكر في الدم.

سألها:

- ما معنى هذا؟

إنها صدمة تحدث للجسم عندما تنخفض مستويات السكر في الدم إلى درجةٍ خطيرة. يجب على المصابين بهذا المرض تجنب الجوع، أما "ساني" فكانت تجوع نفسها باستمرار بسبب الحمية. والأسوأ هو أن...

- نعم؟

- لقد افترضنا وجود شخصٍ ما معها في البيت. لو أن جدالًا نشب بينهما، فمن الممكن أن يؤدي هذا إلى انخفاضٍ مفاجئ في مستوى السكر.

- هل تقولين إنها ماتت بسبب الجوع؟

- بالضبط.

"ساني أنكاراليجيل" ماتت جوعًا؟ من قد يفكر في هذا؟

9

إنها أول مرَّة لا أشعر فيها بتأثير شهر رمضان على حياة المدينة. من يتذكر الهجمات التي استمرت حتى التسعينيات على جامعات المدينة؛ بسبب الطلاب الذين رفضوا الصيام، لقال إن إسطنبول أصبحت وردية مقارنةً بالماضي. لم تقع حوادث خطيرة بخلاف بعض التوتر الحتميّ في الأجواء.

لا أعرف حقًّا سبب اختلاف الوضع هذا العام. هل قل عدد الصائمين؟ أم أصبحوا أكثر تساهلًا؟ هل ساد الاعتقاد بأن الناس يستطيعون التعايش في سلام؟ حتى المسحراتية اختفوا على الرغم من الإعلانات التي وزعوها. مشكلتي الوحيدة هي الزحام المروريّ بسبب الصائمين الجوعى الذين يسرعون لبيوتهم

من أجل الإفطار.

تركت بضع رسائل لـ"باتوهان" في الصباح. حان الوقت لنتبادل ما لدينا من معلوماتٍ بجدية. اتصل بي "باتوهان" بعد عودتي من تناول الغداء، ومع ذلك شعرت بالجوع يزعجني مجدداً.

قلت له:

- أين أنت؟ يجب أن نتحدث.

اشتكى "باتوهان" قائلًا:

- لا وقت لدينا للقيام بواجبنا بسبب كل هذه التدريبات التي يرغموننا على فعلها.

عاد للتو بعد ثلاثة أيامٍ من التدريبات في مركز تدريب الشرطة في "بولو".

سألته:

- هل يمكننا اللقاء اليوم؟

- تعالي إلى قسم الشرطة. مكتبي رقم 423.

- متى؟

- وقتما تحبين. سأظل هنا حتى العاشرة مساءً.

تأثرت كثيراً برجال الشرطة التركية الذين يضحون بحياتهم في سبيل عملهم هذا.

قلت سابقًا إن رمضان لم يغيرِّ كثيراً من حياة المدينة هذا العام. لكن أصحاب مطعم "بيتيك سناك" أغلقوه لكي يقضوا شهر رمضان في قريتهم كالعادة. لم أعد أهتم بإنقاص وزني ولا باتباع حمية بعدما عرفت كيف ماتت "ساني" بطريقةٍ مروعة. لذلك اشتريت ساندويتش جبن محمص من مطعم "مينيك بوفيه" ثم

ركبت تاكسي.

تفحص العسكري بطاقة هُويتي جيدًا ثم اتصل بـ"باتوهان" ليعلمه بوصولي قبل أن يسمح لي بدخول قسم الشرطة.

انتظرني "باتوهان" العزيز خارج المصعد في الطابق الرابع ليستقبلني. سألني بمجرد أن دخلنا مكتبه:

- ماذا تحبين أن تشربي؟

- ألست صائمًا؟

- لديَّ مشاكل في المعدة، لا يمكنني الصوم.

أتساءل لماذا لا تتعبه معدته إلا في رمضان. تحدث سائق التاكسي أيضًا بإطالةٍ عن آلام معدته التي تجعله عاجزًا عن الصوم.

قلت:

- سأشرب شايًا إن كنت ستشرب معي.

- لن تجدي مذاق الشاي لذيذًا في هذا الوقت من اليوم. من الأفضل أن تشربي شيئًا باردًا.

- سأشرب صودا إذًا.

سألني "باتوهان" وهو يجلس على مقعدٍ مريحٍ أمامي:

- ما الذي تريدين التحدث عنه؟

- اكتشفنا كيف ماتت "ساني".

هتف في دهشةٍ:

- عرفتِ سبب الوفاة؟!

يجب أن يندهش لأنني أشاركه المعلومة عن طيب خاطر وليس لأنني عرفت سبب الوفاة.

سأل "باتوهان":

- كيف ماتت؟

- صدمة بسبب مستوى السكر في الدم.

- ماذا تعنين؟

- يمكن وصف حالتها بمرض إنقاص الوزن. يؤدي الجوع إلى انخفاض مستوى السكر في الدم، فيدخل الجسم في صدمةٍ ثم غيبوبة. وإن لم يتلق المريض مساعدة خلال عشر أو خمس عشرة دقيقة، لن يستعيد الوعي أبدًا.

قال "باتوهان":

- واااو! لم أسمع عن هذا من قبل.

- الجسد النحيف أصبح هوسًا في تركيا هذه الأيام. نسمع عن شابات يتبعن حميات غذائية شديدة أملًا في أن يصبحن عارضات أزياء. من الواضح أن نيويورك تشهد حالات إغماءٍ كثيرة للفتيات في المترو، مما يؤدي إلى تأخيرٍ في جدول القطارات. من يعلم معدل تكرار هذه الحالات يوميًا؟!

قاطعني "باتوهان" قائلًا:

- لكن ليس في تركيا. الرجال الأتراك لا يحبون النساء النحيفات. بالمناسبة، أرى أن جسدكِ أصبح ملفوفًا قليلًا.

ماذا يقصد؟ هل يعني أنني اكتسبت بعض الوزن؟ وقفت ونظرت إلى ساقيّ وقلت:

- إنه تصميم البنطلون لا أكثر.

- استديري ودعيني أنظر إليكِ من الخلف.

هل هذا الموقف يحدث حقًا في المكتب رقم 423 في قسم الشرطة؟ قلت:

- فلتنظر إلى نفسكِ أولًا، لقد ظهر لك كرش.

قال وهو يربت على بطنه:

- هذا يجعلني أبدو بصحةٍ جيدة.

- حقًا؟ هل تعتبر ذلك علامةً على الصحة السليمة؟

فكرت في أن الكثير من الأثرياء حول العالم يأكلون أقل القليل حتى يكادوا يموتون جوعًا.

قال "باتوهان":

- نعم، لقد اكتسبت نصف كيلو أو كيلو لكن هذا يناسبني.

تجاهلت تعليقاته الغريبة عن الوزن وسألته:

- ألن تسألني عن كيفية اكتشافنا لسبب الوفاة؟

- اكتشاف ماذا؟

- سبب وفاة "ساني".

قال "باتوهان":

- أولًا، أريد معرفة من المقصود بصيغة الجماعة.

- "ناز" شقيقة "ساني" وأنا.

قال بتلقائية:

- رجالنا يبحثون عنها. أخبريها أن تأتي إلى قسم الشرطة للإدلاء بأقوالها.

- لا تبدو مهتماً بمعرفة ما اكتشفناه.

قال وهو يضحك:

- أنا مهتمٌ بكِ أكثر.

أمسكت بالكوب وشربت بعض الصودا لأتمالك نفسي.

قال "باتوهان":

- المسألة ليست أنني مهتمٌ أو لا يا "كاتي". عندما يصبح الشخص مأمور قسم، يتولى الإشراف على كل شيء حتى لا يجد وقتاً للخروج والتحقيق بنفسه. صدقيني، لا تريدين معرفة كيف أقضي وقتي. أنا أقوم بأكثر الأعمال مللاً.

- فهمت.

أدركت أن هذا يعني نهاية الأيام السعيدة مع "باتوهان".

سألني "باتوهان":

- كيف عرفتِ أنها ماتت من صدمةٍ أو ما شابه؟

- لقد أجرت فحصًا للدم في المستشفى ظهر الثلاثاء.

- هل معكِ نتائج الفحص الآن؟

- بالطبع. خذها.

- وماذا تريدين منّي في المقابل؟

أخيراً بعد هذه السنوات، بدأ "باتوهان" يفهم كيف يعمل العقل البشري، العين بالعين والسن بالسن وكل شيءٍ بثمنه. سألته:

- لماذا أنت متأكد أن "ساني" لم تكن وحدها في البيت حين ماتت؟

التقط "باتوهان" أحد الملفات من على الطاولة وأخرج بضع ورقاتٍ ثم أعطاهم

لي قائلًا:

- اقرئي هذه. سأعود بسرعة.

نهض وغادر الغرفة. بعد لحظات سمعته يصرخ على بعض الأشخاص في الممر.

يقول تقرير المعمل الجنائي:

"تظهر صور الأشعة فوق البنفسجية رقم 1 و2 و3 طبيعة الخدوش على الأرضية. والتحليل الكيميائي للون ونوع الصبغة الموجودة في الخدوش يتطابق مع لون وجزيئات حذاءٍ نسائي بكعب طويل، لونه أسود ومقاسه 38، وقد كانت ترتديه المتوفاة كما هو موثق في المستند رقم 221 لعام 2006. مما يرجح أن الحذاء الأسود مقاس 38 المذكور سابقًا بالتفصيل هو مسبب هذه الخدوش.

تظهر صور الأشعة فوق البنفسجية رقم 4 و5 و6 علامات سببها حذاء دون كعب مقاس 40، كما هو موثق في المستند رقم 222 لعام 2006".

إذًا، من شاهد "ساني" وهي تموت في بيتها كان يرتدي حذاءً دون كعب مقاس 40.

سألني "باتوهان" حين عاد:

- هل قرأتِ الأوراق؟

- نعم. من الواضح أن من شهد وفاة "ساني" في بيتها كانت امرأة ترتدي حذاءً مقاس 40.

- أو رجل قصير. بعض الرجال يرتدون مقاس 40.

سألته:

- هل هذا كل ما تعرفه؟

مال "باتوهان" على كتفي لينظر إلى التقرير الذي أمسكه، ثم ناولني المستند

رقم 222 لعام 2006. كان مكتوبًا فيه كلمة "XOXO" تحت جملة "حذاء دون كعب مقاس 40". لا توجد معلومات أخرى في هذا المستند. على حد علمي، إن "XOXO" هي ماركة ملابس رياضية.

قلت:

- هل يمكن أن تكون هذه الآثار للشغالة أو الحارس الليليّ؟ كلاهما دخل البيت. لماذا لا يوجد سوى نوعين فقط من آثار الأقدام في غرفة الجلوس؟

- هل تريدين رؤية آثار أقدام الحارس الليليّ والشغالة؟ لم أركِ إيَّاها لأنني لم أظن أن لها أهمية.

- لا أحتاج إلى رؤيتها، كنت أتساءل فقط عن وجودها. أرى أن الشرطة التركية استخدمت التصوير بالأشعة فوق البنفسجية.

- لدينا التكنولوجيا التي يستخدمونها في أوروبا وأمريكا. لا ينقصنا شيء.

- ألا يمكننا البحث عن أحذية "XOXO" في بيوت الأشخاص المرتبطين بالقضية ومقاس أقدامهم 40؟

لم يضحك "باتوهان" بصوتٍ عالٍ، لكنه بدا مستمتعًا وقال:

- ليتنا نستطيع، لكن القواعد تحكمنا. أحتاج دليلًا دامغًا قبل أن أطلب مذكرة تفتيش.

قلت:

- بأي حال، لا فائدة من تفتيش البيوت بحثًا عن حذاءٍ من المحتمل أن صاحبه تخلص منه منذ أيامٍ بالفعل.

قال "باتوهان":

- حتى أنتِ لم تعرفي أننا نستعمل التصوير بالأشعة فوق البنفسجية، لذلك من المحتمل أن صاحبه لم يفكر بذلك ولم يتخلص منه بعد.

ثم أضاف بجديةٍ مفاجئة:

- عديني ألا تخبري أحدًا عن هذه الصور.

قلت بينما أزيح خصلة شعر عن عينيّ:

- بالطبع. هل استجوبت "جيم أنكاراليجيل"؟

- كثيراً. هل تحدثتِ معه؟

- أشك في أنه سيقبل الحديث معي، خاصةً أنني لا أملك صفةً رسمية.

- لا يهم في كل الأحوال، فلديه شهود عيان. لقد حضر اجتماعًا في هيئة الشحن مساء الثلاثاء، وغادر في الساعة التاسعة. بعد ذلك ذهب إلى مطعم سمك في "بيبيك" حيث قابل بعض الأصدقاء.

سألته:

- وماذا فعل بعدما ترك أصدقاءه؟

- لم يتركهم. غادروا المطعم معًا وذهبوا لبيت شخصٍ ما حيث واصلوا الشرب. عاد إلى المنزل في الصباح الباكر. في التاسعة والنصف من صباح الأربعاء، حضر اجتماعًا في مقر شركته، بعد ذلك ذهب إلى حوضٍ للسفن في "إزميت". في المساء حضر حفل عشاءٍ في نادٍ رياضي، وهو أحد أعضاء مجلس الإدارة. بعد انتهاء العشاء أخذه السائق إلى بيت عائلته حيث بقى حتى الصباح.

علقت قائلة:

- جدوله مشغول أكثر من جدول رئيس الوزراء. هل من المحتمل أن يكون أصدقاؤه كاذبين وأنه لم يكن معهم مساء الثلاثاء؟

قال "باتوهان":

- ليسوا في حاجةٍ إلى الكذبِ.

ما قصده بذلك؟ كل الأشخاص الذين قابلتهم ومرتبطين بالقضية كذبوا.

- أعني أنهم ليسوا من النوع الذي يمكن رشوته.

على مدى الأيام القليلة الماضية بدأت أظن أن لا أحد يأخذ رِشْوة! سألته من باب الفضول:

- من هؤلاء الناس؟

- بعض من أكبر رجال الأعمال في تركيا ودبلوماسي أجنبي ومدير شركة. هل تظنين أن كلهم سيكذبون؟

بدأت أتساءل إذا كنت قد فقدت ثقتي في البشر جميعًا. سألته:

- ولم لا؟

- لأنهم بالتأكيد ليسوا مستعدين للمخاطرة لمجرد أن "جيم" جعل مستوى السكر في دم زوجته ينخفض وشاهدها تموت. لا أحد في مركزهم سيكون غبيًا لدرجة أن يدخل السجن من أجل مساعدة صديق على ارتكاب جريمة.

ثم صمت قليلًا وأضاف بشكلٍ نهائي:

- في رأيي المتواضع، أعترف أن هذه الحُجة أقوى تأثيراً من كل إفادات الشهود. مع ذلك يبقى احتمال أن "جيم" أرسل إلى بيت "ساني" شخصًا آخر مقاس قدمه 40.

- أخبريني، لماذا تخليتِ بسرعة عن نظرية القاتل المأجور الذي أرسله أصحاب المصانع في تراقيا؟

- لم أتخل عنها. أنا فقط أحاول النظر إلى الموقف من زوايا مختلفة. خاصةً بعدما عرفت أن "جيم" اتفق مع الحارس الليليّ وزوجته على التجسس على بيت زوجته.

سألني "باتوهان":

- من أخبركِ بذلك؟

- زوجة الحارس الليليّ.

- هي اعترفت بذلك؟

- ليس تمامًا.

قلت لنفسي إن هذا بالكاد يسمى اعترافًا، فتلك المرأة المسكينة لا تعرف حتى إنه من غير اللائق التجسس على الآخرين.

قال:

- ما زال "جيم" مشتبهًا به، خاصةً لأنه المستفيد ماديًا بشكلٍ كبير من وفاة "ساني". لكننا لم نجد أي دليلٍ ضده.

قلت:

- ليس ضد "جيم" فقط، بل ضد أي شخص.

ثم أضفت بانتصار:

- لكن أظن أنني أعرف سبب سرقة الـ"لاب توب" الخاص بـ"ساني" وأجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمكتب.

سألني "باتوهان" بفضولٍ واضح:

- لماذا؟

بما أننا لا نتنافس مع بعضنا، أخبرته بما عرفت وبما خمنت مع الكثير من الإضافات. لكن ليس كل شيءٍ بالطبع.

oooooo

عدت إلى منزلي وعقلي مزدحم بأفكارٍ جديدة. علينا التحدث مع "مراد" من موقع "سكاي رات" لسؤاله عن كيفية الاتصال بأخت "جيم" في "بودرام". كما علينا الاتصال بالمحامي "رمزي" لمعرفة مضمون اتفاقية ما قبل الزواج.

قلت لـ"فوفو":

- اتصل أنت بـ"مراد" غدًا، وسأجد وسيلةً للاتصال بـ"رمزي". اسأل "مراد" إن كان قد حصل على معلوماتٍ جديدة. ربما نجد بعض الأقاويل المثيرة للاهتمام.

رد "فوفو" وهو يرفع يده بالتحية العسكرية:

- تحت أمركِ يا سيدتي.

oooooo

استيقظت فجر اليوم التالي وقررت أن أفتح المحل على الرغم من إنه ليس دوري، لأنني احتجت البحث على الإنترنت عن "أورهان سونير".

أول ما لفت انتباهي هو أنه صديقٌ مقرب للمهندس المعماري "داوود ريدزيبوفسكي" الذي أصبح رئيسًا لبلدة "تيرانا" منذ ثلاث سنوات وتمكن من تطوير البلدة بميزانيةٍ قليلةٍ جدًّا. لا أحد في الصحافة يشكر لهذا الرجل، بدءًا من الحزب اليساري البريطانيّ وحتى الحزب المحافظ الألمانيّ. هناك شائعةٌ تقول: إن مافيا بلدة "تيرانا" هم من وضعوه في هذا المركز. هو و"أورهان" وضعا خطة من أجل "مسرح مدينة تيرانا"، وقد نالت مديحًا شديدًا في جريدة مرموقة خاصة بالهندسة المعمارية. بعد قراءة هذا، لم أندهش عندما عرفت أن "أورهان" تم توظيفه ليكون المهندس الخاص بفندقٍ فاخر تبنيه شركة مقاولات ضخمة في "تيرانا".

كنت سأنبهر بسيرةٍ ذاتية كهذه، لكن عند التفكير في منظمة "TLF" وألبانيا والألبان وتيرانا ويمدى ارتباطهم بالقضية، لم أشعر إلا برغبةٍ في التدخين. عندما جاءت "بيلين" وهي تتهادى في بطء، وجدتني جالسة على الكرسي الهزاز

وغارقة في تفكيرٍ عميق بينما تتصارع أسئلةٌ كثيرة في عقلي.

هل "أورهان" هو الشخص الذي أشارت إليه "ناز" بأنه أحد أصدقائها القدامى في منظمة "TLF"؟ لو صحيح، لماذا تحاول إنقاذ الشخص الذي هجرها ليرتبط بأختها الكبيرة؟ مع ذلك، ما فعلته يلفت الانتباه أكثر إلى "أورهان". هل عادت علاقة الحب بين "أورهان" و"ساني"؟ هل أغضب هذا "ناز"؟

عندما رنَّ التليفون، كان عقلي في ارتباكٍ شديد لن تستطيع حتى السيجارة علاجه.

- مرحبًا، أنا "سِنان". تقابلنا يوم السبت. هل تتذكرين؟

ألا يدرك أنه من المستحيل أن ينساه أحد؟ أم يحاول أن يتصرف بتواضع؟

قلت:

- أتذكرك.

سألني:

- أدركت أنني أخبرتكِ بشيءٍ ما ذلك اليوم، وأحتاج توضيحه. هل يمكننا اللقاء؟

لا أريد مقابلة أي شخص إلا إذا كان مقاس حذائه 40، بل بالتحديد لديه حذاء رياضي مقاس 40 ماركة "XOXO". ولا حتى لو كان أروع رجلٍ في العالم. لكنني اقترحت عليه:

- ماذا عن اليوم؟

- لا بأس ما دام يناسبكِ.

- اتفقنا.

- في "بيبيك"، في مطعم "لوكا"؟

أخبرني "فوفو" إن مطعم "لوكا" أصبح أحد أرقى الأماكن في "بيبي"، لكن لا

أعرف أين يقع.

قلت:

- حسنًا، لكن هل تناسبك الساعة الثالثة؟

قال "سِنان":

- هل تمانعين لو جعلناها أربعة؟

أصبحت الساعة الحادية عشر بالكاد. ماذا سأفعل طوال هذه الساعات؟ والأسوأ هو أنني لا أريد أن أعلق في زحام المساء.

كذبت قائلة:

- لديَّ اجتماعٌ آخر هذا المساء.

ليس لديَّ أي اجتماعات، لكن سأبذل جهدي لأرتب واحدًا.

قال "سِنان":

- حسنًا. موعدنا في الثالثة في مطعم "لوكا".

احتجت لعمل مكالمة، فأردت أن أنفرد بنفسي؛ لأتحدث بحرية. لذلك أرسلت "بيلين" إلى مطعم "مينيك بوفيه" لتشتري عصير رمانٍ طازج. لماذا عصير رمان بالذات؟ لأن مضادات الأكسدة في الرمان تساعد على المحافظة على نضارة الجسم عن طريق القضاء على ذرات الأكسجين الضارة.

- لو لم تجديه في "مينيك بوفيه"، جربي مطاعم الوجبات الخفيفة في "تونيل". حسنًا؟ رأيت لافتة على إحدى الواجهات تعلن عن عصير رمان.

بمجرد أن خرجت "بيلين" من المكتبة، اضطررت للتعامل مع بعض الزبائن الذين جاءوا فجأة. إنه حظي السيئ الذي جعلني أرسل "بيلين" في هذه المهمة الاستكشافية ومع ذلك أعجز عن عمل المكالمة قبل عودتها.

نقرت على كوب عصير الرمان البلاستيك ثم شربته دفعةً واحدة وقلت:

- سأعود إلى المنزل.

بمجرد أن وصلت شقتي توجهت إلى التليفون مباشرةً.

قالت "إيلين" بمجرد أن رفعت الساعة:

- يا للمصادفة! كنت سأتصل بكِ اليوم.

سألتها:

- هل خطر على بالكِ شيء؟

- بخصوص ماذا؟

- بخصوص "ساني".

ماذا ظننت غير ذلك؟!

قالت بسعادة:

- أنا و"رمزي" تفاهمنا. كنت سأخبركِ. لقد أقنعني.

بالطبع لم أسألها كيف أقنعها. أشعر بالفضول لكن ليس كثيراً. ماذا أفعل بهذه المعلومة التي لن تفيدني بشيء؟

قالت "إيلين":

- وهكذا لم أعد بحاجةٍ إليكِ.

طفح الكيل! قلت لها:

- أخبرتكِ بالفعل إنني لا أتجسس على الناس.

- بالطبع فعلتِ.

تتحدث كما لو أن كلامي لا قيمة له. هل تظن هذه المرأة أن كل الناس يمكن إقناعهم بما لا يريدون في النهاية؟

قلت:

- اتصلت بكِ لأطلب مساعدتكِ.

- نعم؟

- أليس لـ"ساني" صديقة مقربة؟

ثم أضفت، في تردد:

- غيركِ بالطبع.

- صديقة مقربة؟ لا، أبدًا.

- لكن كل شخصٍ لديه صديق مقرب.

- ماعدا "ساني".

- قلتِ إن "ساني" و"ناز" لم تكونا على وفاق.

- كانت تغار من "ناز".

- لكن من المنطقيّ أكثر أن تغار "ناز" من "ساني"، صحيح؟

قالت "إيلين":

- الغيرة ليست شعورًا منطقيًا. خذي ما حدث لي مثلًا. عندما رأيت تلك المرأة في مكتب "رمزي"، لم يخطر ببالي قط أنها زبونة. هل هذا منطقيّ؟ الغيرة ليست منطقية في حد ذاتها.

يا لحكمتها!

- عندما كنا في المطعم ذلك اليوم، قلتِ إن "ساني" ارتبطت بحبيب "ناز"

السابق خلال الجامعة.

قالت "إيلين" كما توقعت تمامًا:

- "أورهان سونير". إنه مهندسٌ مشهور. بالتأكيد سمعتِ عنه.

طبعًا. سألتها:

- هل تظنين أن "ساني" و"أورهان" عادا لبعضهما أثناء قيام "ساني" بإجراءات الطلاق؟

أجابت "إيلين":

- لا أعرف. على حد علمي، "أورهان" متزوج. لكن لم لا؟ هذا ممكن.

- لكن لم أسمع نميمةً بهذا الشأن.

قالت "إيلين" بإصرار:

- لو أن "ساني" دخلت في علاقةٍ قبل إتمام طلاقها، فستبذل جهدها لتبقيها في الخفاء.

لست واثقةً من هذا. فالانتقال إلى بيتٍ مقابل لبيت حبيبها السابق تصرفٌ بعيد كل البعد عن الحذر.

قالت "إيلين":

- لا أظنني ساعدتكِ كثيراً.

- في الواقع، يمكنكِ مساعدتي بما أنكِ تصالحتِ مع زوجكِ الآن. هل يمكنكِ تحديد موعدٍ لي معه؟

قالت "إيلين" ببهجة:

- بالطبع يا عزيزتي. ستتصل به السكرتيرة. حسنًا؟

- فليكن اليوم آخر النهار إن أمكن.

اتفقنا. سأخبره الآن وستتواصل معكِ السكرتيرة.

- أشكر لكِ كثيراً.

على الرغم من أن "إيلين" تبدو مثل نساء "نيشانتاشي" الراقيات المتعاليات، إلا إنها ليست سيئة ولا غبية أبدًا. ربما كل نساء "نيشانتاشي" هكذا وأنا أسأت الحكم عليهن.

ooooo

بدلًا من الشرود في أفكاري، جلست أشرب الشاي الأخضر وكتبت قائمة بكل الأسئلة التي أريد إجاباتها. جمعت سبعة أسئلة.

للأسف، لم أتذكر سؤال "إيلين" عن اسم أخت "جيم" إلا بعدما أغلقت الخط. بدأت أشعر بالإحباط في انتظار أخبارٍ من سكرتيرة "رمزي" أو "فوفو"، فقررت التنظيف. لا بد أن هناك ما غفلت عنه الست "فاطمة" ذات عين الصقر، بالأمس. دائمًا يوجد شيءٌ منسي.

بدأت أمسح نوافذ غرفة الجلوس مع أنها لم تكن متسخة، لكنني دائمًا أشعر أن الغرفة تبدو أكثر إشراقًا عندما تلمع النوافذ من شدة النظافة. سمعت المفتاح يدور في الباب قبل أن أنتهي من التنظيف ثم دخل "فوفو".

قال:

- لقد ذهبت إلى المكتبة أولًا ولم أجدكِ. ماذا تفعلين في البيت الآن؟

أجبته:

- أنظف النوافذ. ليس لديَّ ما أفعله.

- لقد عرفت شيئًا مدهشًا. أوقفي ما تفعليه فوراً.

خرجت من الغرفة لأتخلص من مناديل التنظيف. أتحرق شوقًا لمعرفة ما سيخبرني به. الحماس الذي شعرت به يشبه مغازلة شخصٍ منجذبٌ له لكن لا تعرف شيئًا عنه. للأسف، تلك المواعيد الغرامية تثير ضيقك بسرعة مثل قطعة لحمٍ جامدة. لا أحتقر من يحاولون مضغها على مدى سنوات. أنا لا آكلها أبدًا، لذلك لا أفهم من يطلبونها في المطعم أو من يشترون قطعًا كبيرة من اللحم ليطبخونها في البيت. لماذا يزعجون أنفسهم ما دام يوجد شريحة لحمٍ سهلة على القائمة؟ إما أنهم لم يجربوا شرائح اللحم من قبل أو أنهم يفضلون قطع اللحم صعبة المضغ.

ناداني "فوفو" من غرفة الجلوس:

- هل ستأتين أم لا؟

- نعم، قادمة. أخبرني كل شيء.

قال:

- "جيم" لديه أخت.

- ألم أخبرك؟

- تعيش في "بودرام". لم يكن سهلًا إيجاد هذه المعلومة بالطبع. لقد قمنا بالعديد من المكالمات قبل أن يتمكن "مراد" من معرفة مكانها.

- و؟

- إنها رسامة تدعى "ياسمين جيل"، وهي ترسم لوحات عن المهرجين.

- لماذا لا تستخدم لقب والدها؟

- لقد تجاهلت لقب "أنكاراليجيل" لأنها أحد الورثة القلائل لثروة إمبراطورية "أنكاراليجيل". من الواضح أنهم يعتبرونها طفلة "باهري" المزعجة. والدتها ألمانية على كل حال.

ماذا يقصد "فوفو" بأن والدتها ألمانية؟ هل هناك صلة بين كون "ياسمين" طفلة متعبة وبين كون أمها ألمانية؟

قال "فوفو":

- الأطفال الذين يكبرون وهم مشتتين بين ثقافتين يكونون غريبي الأطوار في العادة يا عزيزتي.

- هذا رأيك يا "فوفو". لكنني أظن أنه من حسن الحظ أن يكبر الأطفال بثقافتين مختلفتين. القدرة على تحدث لغتين واختيار أفضل العناصر من الثقافتين يمكن أن يولد أشخاصًا مبدعين بحق.

- لن أجادلكِ في هذا الشأن. ربما كون والدتها ألمانية لا يتعلق بكونها طفلة متعبة، لكن هذه المرأة الرسامة غريبةٌ بالفعل.

- لماذا؟ ماذا فعلت؟

- بل ما الذي لم تفعله؟ لقد اضطروا لوضعها في مصحةٍ لعلاج الإدمان وهي في السادسة عشر. وبعد بضع سنوات، هاجمت والدها بموس وجرحت عنقه، لكنه نجا لأن الجُرح لم يكن عميقًا. لم تكتشف الصحافة بالطبع. قالوا إنه جرح نفسه أثناء الحلاقة.

- همم. ماذا أيضًا؟

- هناك مسابقةٌ أدبية في ألمانيا حيث يصعد المتسابقون على المسرح ليقرأوا أعمالهم ويحصلون على نقاطٍ من الجمهور والحكام.

- سمعت بها. ماذا حدث؟

- لقد دخلتها، لكن بينما تقرأ قصتها القصيرة على المسرح، بدأت تخلع ملابسها حتى أصبحت عاريةً تمامًا. بعد ذلك استلقت على الطاولة، وبدأت تمارس العادة السرية!

- أخبرني شخصٌ ما عن هذا، أو أنني سمعته في مكانٍ ما منذ مدةٍ طويلة. ألم تقف عارية في مظاهرة خارج المسرح لأيامٍ بعد ذلك؟

بدا "فوفو" محبطًا لأنني أعرف ذلك بالفعل. أظنه أراد أن يكون أول من يخبرني.

قلت لأزعجه أكثر:

- هذه هي إذًا أخبارك المدهشة!

قال "فوفو":

- لكنكِ لم تسمعي خبر الموسم بعد.

- وما هو؟

- سأخبركِ.

- نعم؟

- ارتبط والدها بامرأة أخرى، وهذا جعل "ياسمين" تكره والدها وعائلته الجديدة. لكنها لم تكن كراهيةً عادية. ذات مساء، هاجمت "تاماشا" هانم بماء النار بينما يستعدون للخروج لتناول العشاء. لو لم ينتبه رجال الحراسة بسرعة لتشوه وجهها تمامًا.

أتساءل عن مقاس حذاء "ياسمين". سألته:

- هل تكره "جيم" أيضًا؟

- ماذا تظنين؟ إنه أكثر من تكره. لقد لصقت صورة لوجه "جيم" على لوحة مهرجٍ تنزف بطنه بسبب سيفٍ مغروز فيها. لكنها تكره العائلة كلها.

- لذلك ربما كانت تكره "ساني" على الأرجح.

- تم عرض لوحات "ساني" في العديد من معارض تركيا بفضل نفوذ العائلة، لكن يتجاهلها النقاد على الرغم من أنهم في الخارج يعتبرونها عبقرية. من

الواضح أن لوحاتها قوية جدًّا.

لست مهتمة بكونها عبقرية أو لا، بل بكونها الشخص الذي نبحث عنه أو لا؛ أي الشخص الذي يرتدي حذاءً مقاس 40. بعد ما عرفته عنها، تبدو لي من النوع الذي يمكنه مشاهدة شخصٍ ما وهو يموت.

- هل استطعت معرفة مكان "ياسمين جيل"؟

- إنها تعيش في "بودرام" كما قلتِ. شريكها مغني فاشل يعمل في البارات. ما زالت والدته تعيش في إسطنبول، وهما يزورونها بانتظام. ربما لو لازمنا الحظ سـ..

- هل حصلت على رقم تليفونها؟

- رقم التليفون والإيميل. لديّ الكثير.

قلت وأنا أربت على ركبته:

- أحسنت يا "فوفو"!

قال "فوفو" متفاخراً:

- أساوي وزني ذهبًا، أليس كذلك؟

oooooo

أخيراً، جاءت المكالمة التي طال انتظارها بينما كنت في التاكسي في طريقي إلى "بيبيك".

قالت فتاة:

- أنا أتصل من مكتب المحامي "رمزي أكوز". "رمزي" بك لديه ساعة يمكنه مقابلتك فيها ما بين السابعة والثامنة هذا المساء.

لا خيار أمامي سوى قبول هذا الموعد. قلت:

- حسنًا. لكن ليس معي عنوان المكتب.

أخبرتها أنه ليس معي قلمٌ للأسف، وشعرت بإحراجٍ شديد. محققٌ دون ورقةٍ وقلم مثل سلطة الجرجير دون ليمون، مقبولة لكن بلا فائدة.

قالت لي:

- سأرسل لكِ العنوان.

حمدًا لله على وجود أشخاصٍ عمليين مثلها.

oooooo

أخبرني "فوفو" أن أصل إلى موقف التاكسي في "بيبيك" ثم أنظر عبر الشارع وسيكون مطعم "لوكا" أمامي مباشرةً. وجدته بسهولةٍ بالفعل. في الواقع، وصلت مبكرًا بعشر دقائق، لذلك ذهبت إلى محل أدواتٍ مكتبية لأشتري قلمًا.

بالطبع، قدَّم "فوفو" تضحيةً كبيرة بأن بقي يدير المكتبة بدلًا من القدوم معي. بدأت الجامعات، و"بيلين" لديها محاضرة عصرًا، لذلك لا يوجد غيره لإدارة المكتبة.

دخلت مطعم "لوكا" في الميعاد تمامًا. كنت أنوي اختيار طاولةٍ بعيدة عن أعين الناس المتطفلة، لكن لا أحد يأتي لمكانٍ كهذا ويتوقع خصوصية. إن الطاولات مرصوصة بطريقة تجعل الجالسين على مرأى من المارة ومن بعضهم بعضًا. اخترت طاولة وجلست. اكتفيت من الانتظار بعد ربع ساعة. هناك حدود للتأخر، أما هذا فغير مقبول بالمرَّة. كان يمكنه الاتصال على الأقل! ناديت النادل ودفعت ثمن الشاي وغادرت.

وقفت بالخارج أفكر؛ هل أركب تاكسي وأعود للمنزل أم أمضي بعض الوقت في مقهى "جلوريا جينز" لأستمتع بالمنظر الرائع الذي يطل عليه؟ بينما أفكر شعرت

بشخصٍ يلمس ذراعي. ويا لها من لمسة! كأن شخصًا ما يلاطفني برقة. عندما استدرت وجدت نفسي وجهًا لوجه مع "سِنان".

قال:

- وقعت حادثة فأغلقوا الطريق.

نظرت إلى ساعتي.. مرَّت ربع ساعةٍ أخرى. ضاعت خطتي في دفع الحساب ثم الاختيار ما بين العودة إلى المنزل أو الذهاب إلى مقهى "جلوريا جينز"، تجاورت الساعة الثالثة والنصف. قلت:

- تأخرت نصف ساعة.

قال "سِنان":

- لن أكرر ذلك مجددًا.

مجددًا؟ هل سيظل يستدعيني لأماكن مختلفة ليدلي باعترافاته؟

قلت:

- هل نذهب إلى مقهى "جلوريا جينز"؟ المكان هناك آآآ...

صمت قليلًا باحثةً عن وصفٍ مناسب ثم أضفت:

- المكان هناك مناسبٌ للشباب أمثالك.

كل الطاولات الجميلة التي عند مستوى الشارع في "جلوريا جينز" محجوزة، لذلك اضطررنا للنزول إلى الطاولات الموجودة في الطابق المنخفض المساوي لمستوى سطح البحر. عن نفسي أفضل الجلوس خارج المقهى في الربيع، حين يكون الجو دافئًا لكن ليس حارًا للجلوس تحت الشمس. لكننا في بداية أكتوبر والجو بارد، لذلك جلسنا بالداخل.

سألته:

- ماذا تريد إخباري؟

قال "سِنان" بنبرة لوم:

- أنتِ لا تضيعين الوقت. هل تحاولين معرفة كل شيءٍ بسرعة لتغادري؟ كنت أتمنى أن نقضي بعض الوقت معًا.

يا إلهي. هل يحاول هذا الفتى مغازلتي؟ لم أعرف إن كان عليَّ الشعور بالسعادة أو الحزن. بالطبع أرضَى غروري أن شابًا وسيمًا مثله يريد قضاء الوقت معي. بدا غافلًا – تمامًا - عن مدى جاذبية الشباب الوسيمين الذين لديهم شعيراتٍ رمادية خفيفة في سوالفهم. لحسن الحظ أننا نعيش في عصر التحرر حيث لا يعتبر من الغريب أن يتقرب شابٌ صغير من امرأة في منتصف العمر مثلي. من المعروف أن الشباب ينجذبون دائمًا للنساء الناضجات. أتذكر أيام الثانوية حين كانت الفتيات مهووسات بفتيان فصلنا بينما كان الفتيان مهووسين بالسيدة "فيشر" مدرسة اللغة اللاتينية والسيدة "كوخ" مدرسة الأحياء.

قال "سِنان" مع بعض الأسى:

- لا تقلقي، لن أعطلكِ. قلتِ إن لديكِ موعدًا آخر بأي حال.

قلت:

- لست مستعجلة كثيراً.

- بالأمس بدأت أقرأ رواية جريمة من تأليف "إلمور ليونارد". استعرتها من أمي. لا بأس بها. أظنني سآتي إلى مكتبتكِ لأشتري كتبًا أخرى. ماذا ترشحين؟

هل يسألني عما يعجبني؟

قلت:

- لا أعرف نوعية الكتب التي تحبها.

اقترح "سِنان":

- لم لا نكتب قائمة بالكتب التي يجب قراءتها؟

أوضحت له أنني أعارض فكرة قوائم القراءة، وأكره جملة "عليك قراءة هذا الكتاب". فالروايات لا يجب قراءتها وكأنك تحضر لامتحان. فلا يوجد ما يساوي متعة القراءة الحرة. لا أحد مجبر على قراءة الروايات، لكنني أفضل القارئين على غير القارئين. وأخبرته أن آرائي لا تهم بأي حال، فقال:

- إنها تهمني.

بعد ذلك تحدثنا عن الموسيقى وانهال عليَّ بخبراته. يتنوع ذوقه الموسيقى بين الـ"روك" والكلاسيكي. تحدثنا عن طعامنا المفضل والمدن التي زرناها. اعترفت له بإن السجائر التي شربتها في حياتي تكفي لإحاطة الكرة الأرضية عدة مرّات. تحدثنا عن مواضيع أخرى، مثل: الأفلام التي شاهدناها، والأشخاص الذين صادفناهم ، والنزهات التي قمنا بها.

سألني "سِنان":

- متى موعدكِ؟

- في السابعة.

نظرت إلى ساعتي فلاحظت أنها السادسة بالفعل.

قال:

- عليكِ الذهاب. هل أوصلكِ؟ إلى أين تذهبين؟

- إلى "نيشانتاشي". لكن لا أريد إزعاجك، خاصةً في زحام ما قبل إفطار رمضان.

- لا تقلقي. سأزور بعض الأصدقاء. متى ستنتهين؟

- موعدي من السابعة إلى الثامنة.

- لم لا نتقابل بعد ذلك ونتناول العشاء معًا؟

لم أجبه. أشعر بالتوتر عندما أتسرع وأدخل في عَلاقةٍ مع شاب مهما كان عمره.

قال "سِنان" بإصرار:

- لديّ ما أخبركِ إياه.

- هل ستخبرني أنك انتظرت خارج بيت "ساني" يوم الأحد السابق لوفاتها؟

قال "سِنان" بدهشة:

- كيف عرفتِ؟

- لست الشخص الوحيد الذي تحدثت معه. لماذا أخفيت هذه المعلومة عنّي في لقائنا الأول؟

نظر "سِنان" للأسفل، إلى يديه المتشابكتين، وقال:

- من يدري؟ ربما لم أردكِ أن تعرفي أنني ما زلت ألاحق "ساني" بعد كل هذا الوقت.

ثم نظر إليَّ مباشرةً، وقال:

- هل تفهمينني؟

أفهم تمامًا أن الموضوع يجرح كبرياء شابٍ مثله، لذلك قلت:

- أفهم.

ثم أضفت:

- لا داعي لتوصيلي إلى "نيشانتاشي". سنتقابل في وقتٍ آخر. اتفقنا؟

قال على مضض:

- كما تحبين.

بينما يخرج محفظته ليحاسب، نظرت أسفل الطاولة لأرى حذاءه. كما قال "لينين": "لا بأس بالثقة، لكن الحذر واجب". لا يقل مقاس "سِنان" عن ثلاثة وأربعين بالتأكيد، فالحذاء ضخم. مستحيل أن يتمكن شخصٌ في طوله من التحرك بحرية في حذاء مقاس أربعين.

أصر "سِنان" على توصيلي إلى موقف التاكسي.

سألته بينما يفتح لي باب التاكسي:

- هل ستأتي غدًا لتأخذ قائمة الكتب التي سأكتبها لك؟

قال بابتسامةٍ وهو يغلق الباب:

- سآخذها في أقرب فرصة حتى أبدأ بقراءتها بسرعة.

كما تتوقعون، لم أكف عن التفكير في "سِنان" طول الطريق إلى "نيشانتاشي". ظلت الإثارة والأفكار المجنونة تعصف برأسي. لكنني لم أستسلم قط للجنون. في الواقع، عندما استيقظت في الصباح التالي، كانت لديَّ شكوكٌ أخرى، سأشرحها لكم في وقتها.

oooooo

أنزلني التاكسي أمام المبنى الذي يضم مكتب "رمزي أكوز". تأخرت خمس دقائق فقط، كان يمكن أن أتأخر أكثر بسبب الزحام الشديد. ضربت الجرس وأعطيت اسمي للمرأة التي أجابت على جهاز الاتصال الداخلي "الإنتركوم". قالت:

- اصعدي إلى الطابق الثالث.

ثم ضغطت على زرٍ وهي في مكانها لتفتح الباب إلكترونيًا.

قال رجلٌ من خلفي:

- لقد أثَّرتِ في زوجتي كثيراً.

لو أنني قابلت هذا الرجل صدفة في الشارع لعرفت فورًا أنه محامٍ، فلقد قابلت الكثير منهم خلال ارتباطي بحبيبي السابق "سليم". مستحيل أن يكون غير ذلك. أتساءل إن كانوا يختارون من يماثلون بعضهم أثناء الجامعة أو يحولونهم كذلك في مرحلة التدريب؟

قال:

- هيا بنا. ماذا تودين أن تشربي؟

- لا شيء، شكراً.

- ربما "ويسكي"؟ "ويسكي" الشعير؟

- في هذه الحال، سأشرب "ويسكي".

من السهل أن أرفض الشاي والقهوة، لكن ليس سهلًا أبدًا أن أرفض "ويسكي".

أخذت رشفتين وندمت للمرَّة المليون هذا اليوم على أنني أقلعت عن التدخين.

قال "رمزي":

- كيف يمكنني مساعدتكِ؟

من الطبيعي أن أسأله عن اتفاقية ما قبل الزواج الشهيرة.

- ليس مسموحًا لنا بإفشاء هذه المعلومات كما تعرفين بالطبع. لكن يمكنني القول إن الصالح العام يقتضي معرفة كيفية وفاة "ساني".

الصالح العام؟ لم أذكر شيئًا عن الصالح العام. لكن من أنا لكي أتجادل مع محامٍ.

- الاتفاق الذي وقعاه ينص على بقاء أملاكهما منفصلة مع استمرار الزواج. لقد اتفقا على أنه لا يحق لأي طرف المطالبة بتعويضٍ أو نفقة أثناء أو بعد إجراءات الطلاق.

لم أفهم حرفًا. ماذا يقصد بـ"مع استمرار" و"أثناء" و"بعد"؟ قلت له:

- مهلًا. دعني أخبرك بما فهمته.

قال "رمزي":

- بالطبع، تفضلي.

- "ساني" كانت ستطلق "رمزي" دون الحصول على قرش.

- صحيح. هذا حسب الاتفاق. لكن عادةً لا تكون هذه الاتفاقيات صارمة ومحددة من الناحية القانونية، واتفاقيتهما كانت قابلة للمناقشة بكل تأكيد.

- هل كنت ستكسب القضية؟

سار "رمزي" إلى النافذة وهو يمسك كأس الـ"ويسكي". بدا مثل مشهدٍ من دراما تركية مبتذلة. لا ينقصه سوى شقراء تجلس مكاني.

قال "رمزي":

- أظننا كنا سنربح.

سألته مباشرةً:

- على أي أساس تؤمن بهذا؟

- لم تحدث سابقة مثل هذه في القانون التركي، لكن...

صمت "رمزي" وعاد إلى مكتبه استعدادًا ليوضح لي.

- تغيَّر القانون المدني في نهاية عام 2001. من قبل كان فصل الأملاك مُلزِمًا بالقانون، وكل من يتزوج يخضع له، إلا إذا تم عمل اتفاقية في وقتٍ محدد تقر عكس ذلك.

سألته:

- فصل الأملاك يعني أنه عند الطلاق يحصل كل طرف على الأصول المسجلة باسمه. صحيح؟

من الواضح أنني لا أفقه شيئًا في أمور الطلاق.

قال "رمزي":

- بالنسبة للعقارات والسيارات، يأخذ كل طرف ما هو مسجل باسمه. أما بالنسبة للأصول المتغيرة، فيتم التفاوض على ملكيتها دون قواعد محددة.

سألته:

- هل تقصد بـ"الأصول المتغيرة" أشياء مثل: خواتم الألماس ودبابيس ربطات العنق؟

- نعم، الجواهر مثالٌ رائع عليها. لكن بما أن القانون قد تغيَّر، فالشخص المُسَجّل باسمه الأشياء يعتبر المالك القانوني. بمعنى آخر، يسري هذا القانون على كل من تزوج بعد 2001، إلا إذا تم توقيع اتفاقية قبل الزواج تقر عكس ذلك.

قلت:

- لكن "ساني" و"جيم" وقعا اتفاقيةً تنص على العكس بالفعل.

- نعم. لكن القرار بيد المحكمة سواء ستسمح بهذه الاتفاقية أم لا.

- لكن لا أفهم. ألا يستطيع الناس كتابة اتفاقية خاصة بهم؟

- معرفتكِ بالقانون محدودة على ما يبدو.

- كان أبي محاميًا. محامٍ جنائي في الواقع.

- ربما أعرفه. هل كان يعمل في إسطنبول؟

- اسمه "إبراهام هيرشيل".

بالتأكيد سيعرفه "رمزي". فأبي كان أحد الباحثين اليهود الذين هربوا من ألمانيا الفاشية ومنحتهم تركيا حق اللجوء.

هتف "رمزي" وهو ينهض:

- نعم! لم أنتبه إلى أن لقب عائلتكِ "هيرشيل" أيضًا. أنتِ ابنة "إبراهام هيرشيل". كان والدكِ محاميًا عظيمًا. لقد أسس معهد "علم الجريمة" في جامعة إسطنبول.

- لا أظنه قد درَّس لك.

أظن أن عمر "رمزي" أصغر من ذلك. وبالفعل قال:

- لا، للأسف. لكن كل من مر بجامعة إسطنبول يعرفه لأن أكبر قاعة محاضرات هناك تحمل اسمه. درست على يد تلامذة والدكِ. بالطبع أعرف الكثير عنه. بصراحة، لم أعرف أن ابنته في تركيا. ألم يعد إلى ألمانيا؟

- نعم، في عام 1965.

- جاء الكثيرون إلى تركيا في الوقت نفسه الذي جاء فيه والدكِ، لكن لم يكن لهم هذا التأثير. لقد أثر في آلاف المحامين الذين أصبح لهم تلاميذ من المحامين. أظنه آخر من رحل عن تركيا.

قلت:

- هذا صحيح.

لولا إصرار أمي لما رحل أبي عن تركيا أبدًا.

سأل "رمزي":

- هل درَّس في جامعة في ألمانيا؟

- نعم.

لاحظت أن الساعة تقترب من الثامنة، ومن الأفضل أن نوقف حديثنا عن والدي ونعود إلى سبب قدومي إلى هنا أصلًا. قلت:

- الوقت يمر وأنت لديك موعد وستغادر كما أظن.

قال "رمزي":

- سنغادر معًا. سنصطحب "إيلين" ونتناول العشاء معًا. ما رأيكِ؟ أم أن لديكِ مواعيد أخرى هذا المساء؟

- لا، لكن لا أريد إفساد أمسيتك.

قال "رمزي" بشغف:

- كيف تقولين هذا؟ من الشرف لي أن أتناول العشاء مع ابنة "إبراهام هيرشيل".

هذا ما أحبه في الأتراك. لقد ولِد "رمزي أكوز" في العام الذي سافرنا فيه أنا وأسرتي من إسطنبول إلى برلين، ومع ذلك يُكِن هذا الاحترام والامتنان لذكرى والدي. وكأنه استفاد شخصيًا من كون والدي مؤسس الكلية التي خرَّجت الكثير من المحامين قبل ميلاد "رمزي" بعدة سنوات. أمتعني أثناء العشاء بقصصٍ كثيرة عن تلك الأيام، وأخبرني بأمور لم أكن أعرفها.

في نهاية السهرة شعرت أنني سعيدة - وثملة قليلًا - بينما أودع "إيلين" و"رمزي" أمام منزلي.

10

أوضح لي "رمزي" أن نص القانون لا يعني الكثير. ما يهم حقًا هو الطريقة التي يفسره بها القضاة والمحامون. بمعنى آخر، لا أحد يعلم كيف سيتم تطبيق القانون المدني الجديد ولا مدى صلاحية اتفاقية "جيم" و"ساني" لأنه لم يتم رفع قضية مشابهة لتلك في المحاكم. قال "رمزي" إنه كاد يكون أول محامٍ يترافع في قضية تشمل اتفاقًا كهذا، لهذا السبب وافق على تولي القضية على الرغم من أنه لم يمارس قانون الأسرة من قبل.

ربما يكون هذا القانون جديدًا في تركيا، لكن يوجد مثله في ألمانيا وسويسرا منذ أعوام. لاحظ "رمزي" كيفية تطبيق القوانين في تلك الدول، وأعجبه ما اكتشفه. على سبيل المثال، المحكمة العليا الألمانية تعتبر الاتفاق باطلًا ومخالفًا لروح القانون لو أن المرأة لا تستطيع الحصول على دعمٍ مادي أو تعويض خلال فترة إجراءات الطلاق. في هذا السياق، يعتبر مصطلح "روح القانون" حمايةً للمرأة. يرفض النظام القضائي حرمان المرأة من حماية القانون إن تم إجبارها على توقيع اتفاقية قبل الزواج حتى تتزوج من الرجل الذي تحبه. "رمزي" مقتنع تمامًا بأنه كان سيكسب القضية، وأن المحكمة ستقر بإبطال الاتفاقية. لقد أقنعني أن "جيم" كان سيخسر القضية وسيضطر لدفع المال لـ"ساني". لكنني لستُ مرتاحة بكون كل الدلائل تشير إلى "جيم".

سألني "فوفو":

- فيم تفكرين؟

- لا تعجبني فكرة أن يكون "جيم" هو المشتبه به الرئيسي.

- تقولين – دائمًا - أن الأزواج هم أكثر من يملكون دافعًا للقتل. ما المشكلة إذًا؟

- لدى "جيم" حجة غياب قوية. بأي حال، لو كانت القضية بهذه السهولة، لما أتعبنا أنفسنا وذهبنا إلى "لوليبورجاز" و"باشا بهتشه". أليس كذلك؟

- هل تقولين إنه كان علينا البقاء في المنزل والافتراض بأن قاتل "ساني" هو زوجها؟ لا أفهمكِ.

- ولا أنا أفهم نفسي. لكن هناك ما يزعجني في الأمر.

قال "فوفو" في سخرية:

- ربما هي حاستكِ السادسة.

ليس سرًّا أن حاستي السادسة ليست قوية، وسوف تعرف بنفسك عزيزي القارئ.

قلت:

- لا يوجد دليلٌ ماديّ ضد "جيم".

- هذه مهمة الشرطة. نعرف أن "جيم" وظف شخصًا لمراقبة بيت "ساني"، كما نعرف أنه كان سيدفع مبلغًا طائلًا لها. هذا سببٌ كافٍ ليشاهدها وهي تموت ولا يساعدها، أليس كذلك؟ لقد بذلنا جهدنا في التحقيق، صحيح؟

- حسنًا. أخبرني، ما رأيكِ في إعجاب "سِنان" بي؟

- أنتِ امرأة جميلةٌ جدًّا. ولو لم أكن مثليًا، لسعيت إليكِ أنا أيضًا.

شعرت بالإطراء من كلماته، لكن عقلي كان مشغولًا جدًّا ولم أستطع التفكير فيها.

قلت:

- لا بد أنني في عمر والدته.

- ما الذي تحاولين قوله يا "كاتي"؟ أستطيع أن أعد لكِ عشرين رجلًا يواعدون شابات بعمر بناتهم. لا تقلقي من هذا الأمر.

- لكن كلهن يملكن ثروة أو مكانة اجتماعية أو شهرة. أما أنا فمجرد بائعة كتب تعيش في شقةٍ بسيطة. ماذا لدي قد يجعل شابًا وسيمًا يسعى خلفي؟ لا شيء.

- بل الكثير يا عزيزتي. الجمال لا يزول مع تقدم العمر. أنت امرأة جذابة ولطيفة. وهناك الكثير من الأدلة التي توحي بأنكِ بارعة في ممارسة الحب.

- أنت عديم الحياء يا "فوفو"! ما الأدلة التي تتحدث عنها؟ وكيف تعرف أصلًا؟

قال "فوفو" وهو يومئ بغموض:

- أنا أفهم في هذه الأمور. أنتِ لستِ مستعدةً بعد لمعرفة سبب انجذاب الرجال إليكِ. سنتحدث عن هذا بعد عشر سنوات.

سألته:

- أنت مبتهجٌ للغاية اليوم. لماذا؟

- ربما لأنني أشعر بإجازةٍ في طريقها إلينا.

ثم ألقى إليَّ التليفون، وقال:

- لم لا تتصلي بـ"ياسمين جيل"؟ إن وافقت على مقابلتنا، يمكننا الذهاب إلى "بودرام" ونحصل على إجازة. سمعت أنها جميلة في هذا الوقت من العام. عاد السياح إلى بلادهم، والشمس مشرقة و...

قلت بعبوس:

- لن نذهب إلى "بودرام"، لذلك لا تعيش الوهم يا "فوفو".

بصراحة، فكرت في أنني لن أستطيع الاستفادة من خصومات الشتاء بعدما صرفت الكثير على البنزين وأجرة التاكسي مؤخراً. أضفت قائلة:

- سأحاول التواصل معها عبر التليفون.

قال "فوفو" بإلحاح:

- "كاتي"، هل تدركين كم ارتفعت فواتير المكالمات؟ ذهابنا إلى هناك أرخص.

- لا تكن سخيفًا. لن نذهب إلى أي مكان.

ooooo

لم نذهب. لا أعرف إن كانت مشيئة القدر أو ضربة حظ، لأن "ياسمين جيل" جاءت إلينا. أو بالأحرى، عندما اتصلت بها قالت إنها ستعود إلى "بودرام" غداً لكنها ستدبر وقتها لتقابلنا إن ذهبنا إليها بسرعة. كانت متأكدة من أن وفاة "ساني" مريبة. لكن لم يفكر أحد في الاتصال بها، على الرغم من أنها أحد أفراد العائلة. اندفعت تتحدث مثل المدفع الرشاش.

سألتني "ياسمين" في نهاية المحادثة:

- هل قلتِ إن اسمكِ "كاتي هيرشيل"؟

نطقت اسمي بلهجةٍ ألمانية ممتازة! أجبتها:

- نعم.

قالت:

- اسم "هيرشيل" ليس من الأسماء الشائعة.

ثم سألتني بالألمانية:

- هل أنتِ ألمانية؟

- ولدت وعشت طفولتي في إسطنبول، لذلك أشعر أنني أنتمي إلى هنا.

- لكن عائلتكِ ألمانية.

- نعم.

قالت - في سعادة - بالألمانية:

- كنت أعرف!

ما سر سعادتها؟ نحن لا نتحدث عن دولة "ليشتنشتاين" الصغيرة التي يبلغ تعدادها ثلاثين ألف نسمةٍ فقط. ألمانيا من أكبر الدول الأوروبية حيث يبلغ تعدادها تسعين مليون مواطن، لذلك من الطبيعي أن تقابل ألمانيًا مثلك في أي مكان عاجلًا أو آجلًا. هذا لا يستحق كل هذا الحماس.

قالت "ياسمين" بالألمانية:

- هذا عجيب يا "هيرشيل".

لماذا تصر على التحدث معي بالألمانية؟ هل افتقدت التحدث بلغتها الأم؟

أجبتها بالتركية:

- لقب عائلتي "هيرشيل". كان والدي ألمانيًا يهوديًا.

لم أشعر قط بأنني ملزمة بإظهار وطنيتي عن طريق التحدث بلغتي الأم مع الألمان الذين يعيشون في تركيا. أتحدث اللغة التي تريحني في وقت الكلام. نادرًا ما أفتقد الألمانية، وعندما أفعل، أتصل بوالدتي وأتحدث معها بدلًا من أن أفرض لغتي على الناس. على مدى الأربعة وعشرين ساعة السابقة، اضطررت لشرح تاريخ عائلتي لكل من قابلت حتى أصبح الأمر متعبًا لي.

قالت "ياسمين" قبل أن ننهي المكالمة:

- أنا نصف ألمانية.

بدت سعيدةً جدًّا بوجود موضوعٍ مشترك نتحدث عنه غير وفاة زوجة أخيها.

ooooo

أعطتني "ياسمين" عنوانًا في "كورتولوش". لكن بعد كل ما أخبرني به "فوفو"، لم أفكر حتى في الذهاب إليها وحدي.

كان "كورتولوش" حيًا أرمانيًا في السابق. ظل فيه ستمائة ألف من شعب أرمانيا الذين كان عددهم كبيراً في ما مضى، ومعظمهم من كبار السن. سكان الحي من الطبقة المتوسطة البسيطة، وكل مبنى محاط بشرفةٍ صغيرة، وفيه محلات بقالة صغيرة لبيع الفواكه والخضراوات والمخلل والمقبلات. الإيجار فيه رخيص على الرغم من قربه من ميدان "تقسيم". معظم رواد الحي من العزاب والمخنثين والمثليين.

شارع "إرجينيكون" ذو اتجاهٍ واحد، لذلك خرجنا إلى شارع يؤدي إلى حي "بانجالتي" وسرنا باقي الطريق.

قال "فوفو" وهو يتوقف عند مبنى جميل على طراز مباني الخمسينيات:

- ها نحن ذا.

صعدنا للطابق الأول حيث قابلنا سيدة تبدو ألمانية جدًّا بطريقةٍ أحببتها. كانت رشيقةً ومتوسطة الطول وشعرها الناعم لونه بني فاتح ويصل إلى كتفيها ويحيط بوجهها. ذقنها طويلة، وهناك انتفاخات حول عينيها وشبكة من التجاعيد الجميلة في وجهها. كانت ترتدي حذاءً مسطحًا، خمنت أنه مقاس أربعين، وبنطلونًا أسود، وسترة سوداء بياقة على شكل سبعة. على الرغم من أنها في الخمسينيات إلا إن جسدها بدا أصغر عمراً من وجهها. كلما رأيت امرأة مثلها تساءلت كيف كانت تبدو وهي شابة. لكن "ياسمين جيل" لم يبد عليها أنها كانت شابة في يومٍ من الأيام. لا أعرف ماذا توقعت عندما سمعت كل القصص التي تدور عنها، لكن لم أتوقع هذه المرأة التي قابلتها أبدًا.

الشقة أحبطتني تمامًا. شكل المبنى جميل من الخارج، حتى السلالم يبدو عليها طراز الخمسينيات. أما الشقة فخضعت لتعديلاتٍ بشعة جعلتها مثل مقلب قمامة. كدت أبكي من رؤية الجدران المتعرجة والبلاط المكسور والأبواب الفظيعة.

أجلستنا "ياسمين" على أريكة وجلست هي على كرسي. بدت وكأنها على وشك الهروب في أي لحظة.

قالت بالألمانية:

- يسعدني وجودكِ.

- هل يمكننا التحدث بالتركية؟ صديقي لا يتحدث الألمانية.

استدارت "ياسمين" إلى "فوفو" وسألته:

- هل أنت تركي؟

- أنا إسباني.

قالت "ياسمين":

- لقد عشت في برشلونة لبضع سنوات، لكن هذا منذ زمنٍ طويل، بعد وفاة "فرانكو" مباشرةً. هناك مدة شهدت تغيرات كثيرة في إسبانيا.

قال "فوفو":

- أنا من "غرناطة".

أومأت "ياسمين" وكأنها لا تجد ما تقول عن "غرناطة". ثم سألتنا:

- هل تحبان تناول بعض الشاي أم قهوة؟

قلت:

- أريد كوبًا من الماء، من فضلك.

لا أريدها أن تغيب في المطبخ لأنه عليَّ العودة إلى المحل بسرعة في حال جاء "سِنان". لكن "فوفو" أغاظني وقال:

- في الواقع، أود بعض الشاي.

نظرت له بغضب، لكن لحسن الحظ أنها لم تغب في المطبخ. قالت:

- بحثت في المطبخ لكنني لم أجد شيئًا. هذه الشقة ملك والدة حبيبي. إنها في المستشفى لإجراء عمليةٍ بسيطة، لذلك أتينا لنكون معها. بصراحة، لديَّ ذكريات سيئة في إسطنبول، لذلك لا أستطيع البقاء أطول، فقررت العودة إلى "بودرام" غدًا. لكنني أشعر بالذنب نحو ترك حبيبي وحده هنا. هل تظنين إنه عليَّ البقاء وقت أطول قليلاً؟

لا أعرف كيف أعطي نصائح شخصية لشخصٍ قابلته للتو. تمتمت:

- ربما من الأفضل لو بقيتِ، لكن ما دمتِ لا تريدين فاذهبي.

قالت "ياسمين":

- إنه قرارٌ صعب، صحيح؟ سأذهب للبحث عن إبريق الشاي.

قال "فوفو" بسماحة:

- لا تتعبي نفسكِ، سأشرب كوبًا من الماء.

- لا، لا. سأحضر الشاي حالًا. سأجد الإبريق فوراً.

ازداد غيظي من "فوفو" بينما نسمع صوت الجلبة في المطبخ. أهدرنا خمس عشرة دقيقة من وقتنا الثمين بسبب رغبته في شرب الشاي.

قالت "ياسمين" عندما عادت أخيراً بكوبين من الماء:

- لم أستطع إيجاد الإبريق. إما أن "نفيسة" هانم لا تشرب الشاي أو أنها خبأت

الإبريق في مكانٍ ما. حتى مناديل الحمام خبأتها قبل قدومنا، تقول إنني أستخدم الكثير منها. سلوكها الغريب سببه شيخوختها. لكن ما باليد حيلة. أتيتما للتحدث عن "ساني".

أخيراً يمكننا الدخول في صلب الموضوع. سألتها:

- هل كنتِ تعرفين "ساني"؟

- لا، لم نتقابل قط. قرأت في الجريدة أنها ماتت بسبب حادثة. هذا غريب.

سألتها:

- لماذا؟

- لماذا؟ من الغريب أن تموت امرأة شابة بسبب حادثة في منزلها. لهذا أقول إن هذا غريب.

رائع. "ياسمين" تعطيني انطباعًا جيدًا عنها. قلت:

- لم نتقابلا من قبل إذاً.

سألتني "ياسمين":

- هل تعرفين شيئًا عن موقفي مع عائلتي؟

قال "فوفو":

- سمعنا بعض الأشياء.

- يتصرفون وكأنني لست موجودة.

ثم أضافت بالألمانية:

- وكأنني لست موجودة.. هل تفهمينني؟

قلت:

- أظن أن والديكِ انفصلا.

- هذا ما يتحدث عنه الناس، لكنهم لا يتحدثون عن مقتل أمي، أليس كذلك؟ هل تعرفين أنهم صنفوني رسميًا بأنني مجنونة حتى يعتبر الجميع كلامي مجرد تخاريف امرأة مجنونة؟

عقدت حاجبيّ وقلت:

- قُتلت أمكِ؟

قالت "ياسمين" عندما لاحظت اهتمامي:

- ربما من الأفضل أن أحكي لكم قصتي من البداية.

بالطبع سأشعر بالفضول عندما يذكر لي شخصٌ ما معرفته بجريمة قتل. بدأت "ياسمين" تحكي:

- درس والدي الهندسة في تركيا. عندما تخرج في بداية الستينيات، سافر إلى ألمانيا وتعلم الألمانية ووجد وظيفةً جيدة. درس هندسة الميكانيكا وتخصص في بناء السفن في الوقت الذي احتاجت فيه ألمانيا إلى خبراء في كل المجالات. كانت أمي تعمل سكرتيرة متعددة اللغات في شركة شحن. بأي حال، تقابلا وتزوجا. كانت من عائلةٍ ثرية في "هامبورج"، اِسْتَدَانَ أبي مالًا من والدها ليبدأ عمله الخاص. بدأ بشركة شحنٍ صغيرة ثم توسعت لاحقًا. ولدت أنا في 1966.

نظرت إلى "ياسمين" مجددًا. بدت أكبر من عمرها بكثير.

- كانت ألمانيا منغلقة على نفسها في الستينيات. لم يسافر الألمان في إجازاتٍ خارج البلاد كما يفعلون الآن، كما عاش القليل من الأجانب في ألمانيا. رأى الألمان الأتراك كما صورهم الكاتب "كارل ماي" في رواياته. بدلًا من الكفاح ضد هذه العنصرية الغبية، قرر أبي العودة إلى تركيا. لكن رفضت أمي الذهاب إلى دولةٍ فيها أتراك متوحشون، أو "شرقيون ومسلمون" كما وصفتهم عائلتها. اتفقا على تسوية في النهاية. عاد أبي إلى تركيا وبقت أمي معي في "هامبورج". نص

الاتفاق على أنه كل شهرين أو ثلاثة يذهب أبي إلى ألمانيا أو نأتي أنا وأمي إلى إسطنبول.

سأل "فوفو":

- ألم تغيِّر أمكِ رأيها بمجرد أن جاءت إلى إسطنبول؟

كان سؤالاً منطقيًا. في رأيي، من يرفض العيش في مدينة إسطنبول الجميلة في السبعينيات هو أحمق بكل تأكيد.

- كل عائلة وأصدقاء أمي يعيشون في "هامبورج". وتذكري أنها لم تعرف اللغة التركية. ومع ذلك قررت أخيراً الاستقرار في إسطنبول لأنها أدركت أن علاقتهما لن تستمر بهذا الأسلوب ولأن علاقة أبي بنا أصبحت ضعيفةً.

قال "فوفو" خبير العلاقات:

- لكن الأوان كان قد فات بالفعل.

- بالتأكيد. وقع أبي في شباك "تاماشا" هانم وبدأ يبحث عن وسيلةٍ للتخلص من أمي. استطاع أخيراً أن يطلقها دون رضاها لأنهما عاشا منفصلين مدةً طويلة.

شئت أم أبيت، يبدو أن الزوجات المنفصلات أصبحن جزءًا أساسيًا في حياتي. قلت لها:

- لم توضحي لنا كيف قُتِلَت والدتكِ.

- عندما تطلقا، كانت أمي لا تزال تحب أبي، لذلك ماذا فعلت برأيكِ؟

الآن فهمت كيف انتهت القصة الحزينة. قلت:

- لا أعرف. ربما خضعت لعلاجٍ نفسيّ وحاولت المضي في حياتها دون والدكِ؟

- لم يكن الأمر بهذه البساطة. ليس كل الناس أقوياء الإرادة مثلكِ.

قوية الإرادة؟ أنا؟ بقدر ما أحب أن أكون كذلك، إلا إنني لست قوية الإرادة أبدًا

للأسف. سألتها:

- هل انتحرت والدتكِ؟

تنهدت "ياسمين" بعمق وقالت في تأثرٍ، وكأن الأمر حدث منذ قليل:

- نعم، كان هذا فظيعًا. أنا من وجدت جثتها.

- لهذا تقولين إن والدتكِ قد قُتِلَت؟

- تلك المرأة قتلت والدتي. والآن هي تستمتع بالشركة التي قامت على ذكرى أمي. إنها تعيش على أموال أمي وكأنه لم تحدث أي مأساة.

أرى أن "ياسمين" غبية وليست مجنونة. لا يمكننا تقبل انتحار أحد أصدقائنا أو أقاربنا، لكنها تزيد حالتها سوءًا بتكريس نفسها لتدمير الشخص المسؤول عن انتحار والدتها. هذا ليس تفكيراً سليماً.

قلت:

- قلتِ إنكِ تعرفين شيئًا عن وفاة "ساني".

قالت "ياسمين":

- لقد قتلتها هذه المرأة أيضًا.

ثم مالت نحونا وهي جالسة، وأضافت:

- هل تظنان أنني مجنونة؟

حتى لو أن هذا ظني بالفعل - وهذا غير صحيح - فمن أنا لأحكم على شخصٍ بالعقل أو الجنون. قلت:

- بالطبع لا. هل حقًا تعرفين شيئًا عن وفاة "ساني"؟

همست "ياسمين":

- بالطبع، لكنهم يظنون أنني لا أعرف.

ثم نهضت وقالت:

- سأعد بعض القهوة.

انتظرت مع "فوفو" في غرفة الجلوس.

سألني "فوفو":

- ماذا تظنين؟

- لا فكرة لديَّ. لا أعرف ماذا أقول لها.

عادت "ياسمين" حاملةً صينية عليها ثلاثة أكواب كبيرة أفرغت فيها أكياس من اللبن البودرة المُحلى والقهوة مضاف إليها ماءٌ فاتر. لو أنها تشرب هذا المشروب المقزز يوميًا، فلا عجب أنها تبدو أكبر من عمرها بعشر سنوات. أخذت بضع رشفاتٍ من باب اللياقة ثم تركت الباقي.

سألتني "ياسمين":

- ألا تشعرين بالفضول لمعرفة المزيد؟

- بل يقتلنا الفضول.

بصراحة، بدأت أشعر بالملل من ألاعيبها.

قالت بالألمانية:

- إنه مثلي الجنس.

ماذا! سألتها بالألمانية لأتأكد من أنني فهمتها بشكلٍ صحيح:

- من هو؟

قالت باللغة نفسها:

- ومن غيره؟! "جيم" بالطبع.

قاطعنا "فوفو" ليسأل بفضولٍ مشتعل:

قلت:

- تقول "ياسمين" هانم إن "جيم" مثلي الجنس.

- بل هو ثنائي الجنس. الشخص الذي يمارس علاقات مع رجالٍ ونساء يسمى "ثنائي الجنس".

عزيزي "فوفو" لا يحتمل أي غموض حول مسائل النوع الاجتماعي والهُوية الجنسية. لا عيب في ذلك. فأنا مثلًا لن أحب أن يصفني شخصٌ ما بأنني رجل.

قالت "ياسمين":

- أعلم ما معنى "ثنائي الجنس"، لكن "جيم" مثلي الجنس بالكامل.

قال "فوفو":

- لكنه كان متزوجًا من "ساني".

- زواجٌ صوري وليس فعلي. عرضوا على "ساني" صفقةً للحصول على حياة الرفاهية مقابل العيش مع "جيم" بصفتها زوجته، و"ساني" وافقت. أمه هي من رتبت الأمر.

هل هذا حقيقي؟ لم أسمع أي شخص يقول إن "جيم" و"ساني" أحبا بعضهما بصدق أو من أول نظرة، لكن هل هذا ضروري لإتمام الزواج؟

أنا مستعدة للتضحية بأي شيء مقابل الحصول على سيجارةٍ الآن.

أعلم من خبرتي في الحياة أن بعض الأزواج لم يكونوا غارقين في الحب عندما تزوجوا. لكن علاقتهم تُبنى على الكثير من الأشياء البسيطة وغير المهمة في حد ذاتها، مثل كيف يتصالحون بعد الجدال أو مدى حزنهم عندما لا يكونون معًا أو

ما يتركونه لبعضهم من رسائل صغيرة، أو نظراتهم لبعضٍ بحب. مع ذلك لم يقل أي شخصٍ هذا الكلام عن "ساني" و"جيم". لماذا يا ترى؟

سألت واحدًا من الأسئلة الكثيرة التي تعصف بعقلي:

- لقد سمعنا أن "تاماشا" هانم لم ترد زواج "جيم" و"ساني".

قالت "ياسمين" وهي تكاد تختنق من الضحك:

- لا تصدقي كل ما تسمعين. فهي لا تحتمل أن يظن أصدقاؤها بأنها وافقت على زواج ابنها الحبيب الوحيد من فتاة غير مناسبة مثل "ساني"، لكنها قررت التزام الصمت بعدما أدلت بتصريحٍ للصحافة في ذلك الوقت.

"ياسمين" محقة. ما كان علينا تصديق كل ما سمعناه.

قلت:

- أنتِ أول من يقول إن "جيم" مثلي.

- إنه سرٌّ خطير، بالكاد يعرفه أي شخص.

قال "فوفو" مازحًا:

- ربما من الأدق لو قلنا إنه عديم الجنس أصلًا بدلًا من مثلي الجنس، أليس كذلك؟

بدت "ياسمين" وكأنها شعرت بالإهانة، وقالت باستياء:

- أعني أن عددًا قليلًا من أقرب الناس إليه يعرفون الحقيقة.

قال "فوفو":

- كيف تعرفين أنه مثلي؟ ولماذا يُعتبر الأمرُ سرًّا خطيرًا؟

- أنت تعيش في تركيا، أليس كذلك؟ لو انكشف سرٌّ كهذا ستكون نهاية مؤسسة

"أنكاراليجيل". أو على الأقل سيضر كثيراً بالأعمال. هل سمعت من قبل عن رجل أعمالٍ مثليّ؟

قال "فوفو":

- كلامٌ فارغ.

صاحت "ياسمين" منزعجة من أسلوب "فوفو":

- ليس كلامًا فارغًا على الإطلاق.

قلت لأحاول تهدئة الجو:

- على كل حال، لا يهم إن كان رجال الأعمال مثليين أم لا. كيف عرفتِ أن "جيم" مثليّ؟ هذا سؤالٌ مهم.

قالت "ياسمين":

- أنا فردٌ من العائلة أيضًا كما تعرفين.

بغض النظر عن كل القصص التي سمعناها عنها، مجرد سماعها تتحدث شخصيًا يكفي لإقناعي بأنهم لم يخبروها هذا السر ما داموا أخفوه عن الجميع.

- بمجرد أن أنهى "جيم" دراسته الثانوية، أرسلوه للخارج ولم يسمحوا بعودته لسنوات. كان هذا مريبًا جدًّا.

سألتها:

- دعيني أستوضح الأمر. هل ما تقولينه مبنى على افتراض أم معرفة؟

قالت "ياسمين" بنفاد صبر:

- أنا أعرف يقينًا! لقد كان على علاقة مع مدرس الألعاب في الثانوية! لكنهم أخفوا الأمر قبل أن يتحول إلى فضيحة، وبعد ذلك أرسلوه بعيدًا.

- هل زرتِ والدكِ بما أنكِ في إسطنبول؟

- لماذا تسألين؟

- ظننت أنكِ ربما تحدثتِ مع والدكِ وخمنت من كلامه أن "تاماشا" هانم لها يد في وفاة "ساني".

- لم يتحدث معي أبي منذ ست سنوات. تلك المرأة لا تسمح له.

- هل تقصدين "تاماشا" هانم؟

أومأت "ياسمين".

- هل صحيح أنكِ حاولتِ ذات مرَّةٍ رشَّ ماء نارٍ على وجه "تاماشا" هانم؟

- يبدو أنكِ بحثتِ حولي جيدًا. ظننت أن هذا الموضوع أصبح منسيًا منذ زمن.

سألتها بإلحاح:

- هل حدث ذلك قبل أم بعد توقف والدكِ عن التحدث معكِ؟

لم تجب "ياسمين"، بل مالت نحو النافذة ونظرت من خلف الستارة إلى المباني التي في الخارج.

سألتها:

- كيف ترتدي "تاماشا" هانم ملابسها؟

- ماذا تعنين؟

- أعني هل ذوقها كلاسيكيّ أم عصريّ؟ هل ترتدي أحذية مسطحة مثلًا؟

- والدي قصير القامة. يسمي نفسه "القزم الأناضولي". لكنه كان دومًا معجبًا بالنساء الطويلات، أو على الأقل المرأتان اللتان أعرفهما. كانت أمي أطول منه بعشرة سنتيمتراتٍ على الأقل، وكذلك زوجته الحالية.

سألتها:

- هل ترتدي "تاماشا" هانم أحذية مسطحة.

قالت "ياسمين":

- لا أعرف إن كانت تفعل ذلك لإرضاء والدي أم لا، لكنني لم أرها قط في حذاءٍ بكعب.

- يبدو أنكِ لا تعرفينها إطلاقًا. أظن أنكِ لم تعيشي معهم.

- بعد وفاة أمي، ذهبت إلى مدرسة بالقرب من بيت جديّ في ألمانيا. لكنني اعتدت المجيء إلى إسطنبول في الإجازات. كيف تظنين أنني تعلمت التركية إذًا؟ أنا أعرفها جيدًا، أعرفها أفضل مما تظن. إنها مغرورة وأنانية لدرجة أنها لن تصدق كم أعرفها جيدًا.

- وتعرفين "جيم" منذ كان طفلًا.

- بالطبع.

- لكنكِ لا تتحدثين معه.

- لا، نحن لا نتحدث. لم نتحدث منذ ستة أعوام. بعد تلك الحادثة، قاطعني الجميع.

هل هذه الرعشة في صوتها بسبب الندم؟ لست متأكدة.

سألتها:

- هل أنتِ نادمة؟

قالت وهي تغطي وجهها بيدها وتسحب نفسًا عميقًا:

- نادمة؟ نعم، أنا نادمة.. وبشدة. لقد خسرت والدي للسبب الغبي نفسه الذي منعني من التفاهم معه وتقبل عيوبه. لقد غضبت كثيراً من ثقته بهذه المرأة.

نظرت بحزن إلى وجه "ياسمين"، ورأيت الدموع التي انحدرت على خديها.

قالت:

- لا يأتينا التسامح بسهولة. كنت أظن أن الألمان بطبعهم أكثر صراحةً من باقي الشعوب، لكنني أدركت الآن إنها... إنها "Tugend". كيف أقول "Tugend" بالتركية؟

- "فضيلة".

كررت:

- نعم، فضيلة. لا داعي للحكم على كل أنواع السلوك البشري، بل علينا أن نكون أكثر تسامحًا مع بعضنا. فهذا يجعل الناس أكثر سعادة. نحن لا نختار عائلاتنا، ولا نشاركهم دائماً المعتقدات نفسها، لكن من المهم أن نحاول التفاهم معهم.

جلس ثلاثتنا - في صمتٍ - نتأمل الفراغ. ربما بدأنا نفكر في أفراد عائلاتنا الذين ليسوا على وفاقٍ معنا.

قالت "ياسمين" وهي تستجمع قوتها وتمسح الـ "ماسكارا" التي سالت بسبب الدموع:

- سألتني عن ذوقها في الملابس.

- نعم.

- إن قوامها متناسق وترتدي ملابسها بأناقة. عادةً تلبس بذلات تفصيل ببناطيل في النهار، وفساتين كلاسيكية في المساء.

هذا ليس ما أردت سماعه. سألتها:

- هل تشتري الملابس التي يفضلها الشباب؟

- مثل ماذا؟

- الملابس الرياضية مثلاً.

- لا أعرف. أي نوعٍ من الملابس الرياضية تقصدين؟

لا أريد ذكر الماركة التجارية لأنها معلومةٌ سرية. أضافت "ياسمين":

- لا أعرف أين تتسوق حاليًا. فهي لم تكن دومًا ترتدي بذلات تفصيل وأحذية أنيقة، بل كانت تفضل الجينز والأحذية الرياضية، لكنها كانت أحذية على أحدث صيحةٍ بالطبع.

ثم أضافت وهي تنظر لحذائها:

- نعم، لطالما كانت أنيقةً بالفعل.

سألتها:

- ما مقاس حذائكِ؟

أعلم أن سؤالي فظ لكنكم تعرفون أسبابي. أجابت "ياسمين":

- أربعون. في شبابي كانت "تاماشا" هانم تغضب منِّي عندما أرتدي أحذيتها.

- ترتدي "تاماشا" هانم مقاس أربعين أيضًا؟

- مقاس ملابسي ستة وثلاثون وهي ثمانية وثلاثون، لكن مقاس أحذيتنا واحد على الرغم من أنها أطول منِّي. أنا مزيجٌ من والديَّ، لست طويلة كأمي ولا قصيرة كأبي.

- إذًا، تظنين أن "جيم" تزوج "ساني" ليخفي حقيقة مثليته.

أحاول جاهدة التفكير في ما قالته "ياسمين" للخروج بنتائج منطقية.

قالت:

- كل ما حدث من تخطيط والدته. أعلم تمامًا كيف تفكر تلك المرأة. المال هو ما

يسيطر على تفكيرها. المال هو همها الأول والوحيد في الحياة. لقد افترضت أن "ساني" فتاة قروية طموحة ولن ترفض زواجًا سيغيرٍّ حياتها بالكامل. هذا ما سيفعله معظم الناس.

- ربما، لكن تنفيذ خطةٍ كهذه يتطلب أكثر من مجرد افتراض.

- أيًا كان المطلوب، لطالما كانت تبالغ بحماية ابنها الحبيب. في صغره، كانت تحممه بمياهٍ معدنية، مدعية أن ماء الحنفية غير نظيف وسيصيب طفلها بالجراثيم. كان هناك شاحنة توصل شحنة ضخمة من المياه المعدنية إلى بيتهم يوميًا، ومع ذلك وصفوني بالمجنونة.. هكذا وبكل بساطة.

صمتنا مجددًا، ثم سألتني "ياسمين":

- هل تصدقينني؟

- التصديق ليس كافيًا، نحتاج دليلًا.

- هل تحدثتِ معها؟

لاحظت أنها تتجنب الإشارة لـ"تاماشا" باسمها، لكن الآن لست واثقة من تقصد بـ"معها". سألتها:

- تحدثت مع من؟

- تلك المرأة.

- لم نتحدث. لم أجد سببًا منطقيًا للاتصال بها.

قالت "ياسمين":

- لا يهم السبب. أنتما محققان خاصان. أنا واثقة من أنها ستوافق على مقابلتكِ فوراً. إنها تحب أن تتذاكى على الناس وتتلاعب بهم. ستعطيكِ موعدًا حتى لو لمجرد أن تجرب خداعكِ بأكاذيبها. بالتأكيد. صدقيني. اتصلي بها وستعرفين أنني محقة.

سألتها:

- هل "جيم" على علمٍ بكل هذا؟

سألتني "ياسمين":

- على علمٍ بماذا؟

ألا تجيد التركية أم أنها تفقد تركيزها كثيراً؟ وضحت لها:

- هل يعلم أن والدته متورطة في مقتل "ساني"؟

بدت الصدمة على وجه "ياسمين جيل" عندما سمعت كلمة "مقتل"، وهذا هو رد الفعل الذي تمنيته. لكنني أعلم أن "ساني" ليست ضحيةً لجريمة قتل.

أخيراً خطر على بال "ياسمين" أن توجه أسئلة فقالت بدهشة:

- هل قلتِ "مقتل"؟ مهلًا لحظة. كيف ماتت "ساني" فعلًا؟ لم تذكر الصحافة شيئًا عن جريمة قتل، لذلك افترضت أنها قد انتحرت.

اتضح الأمر الآن. تؤمن "ياسمين" أن "تاماشا" قتلت "ساني" بأن دفعتها للانتحار مثلما فعلت مع والدتها. التفاهم مع الآخرين قد يكون صعبًا حتى لو تحدث الناس اللغة نفسها.

قلت:

- لم تكن جريمة قتلٍ حقًا، لكن شخص ما كان مع "ساني" في البيت عند وفاتها. ذلك الشخص - أيًا كان - كان يمكنه إنقاذها لكنه لم يفعل.

هتفت "ياسمين":

- يا لها من وحش! امرأة شابة تموت أمام عينيها ولا تتصل حتى بالإسعاف! إنها جريمة قتلٍ صريحة! ماذا تسمينها غير ذلك؟!

- إنها ليست كذلك فعليًا.

صاحت:

- فعليًا؟ يا لها من امرأة شريرة. لقد تخلت عن "ساني" ببساطة بمجرد أن أخذت غرضها منها.

سألتها:

- هل تظنين أن "جيم" يعرف بهذا؟

- "جيم"؟ لا، بالتأكيد لا. "جيم" ليس من النوع الذي يرتكب جريمة قتل أو يكلف شخصًا ليفعلها. لا يمكن التصديق بأنه ابنها حقًا. إنه مثل والده، طيب وساذجٌ قليلًا.

رائع! شخصٌ آخر يدعي أن "جيم" شخصٌ طيب. هذا جيد، لكن... قلت لها:

- سمعت أنكِ رسمتِ "جيم" على شكل مهرج بسيفٍ مغروز في بطنه.

سألتني "ياسمين":

- هل رأيتِ تلك اللوحة بعينيكِ؟

هززت رأسي نفيًا.

- المغروز في بطنه لم يكن سيفًا، بل كانت أظافر والدته. رسمت الفتى المسكين وهو يعاني ليحافظ على ابتسامته بينما ينزف حتى الموت.

- هل تعرفين أن "جيم" اتفق مع الحارس الليلي ليراقب بيت "ساني"؟

أخبرتها بذلك لأنه لا يمكن وصف هذا السلوك بالسذاجة.

- الحارس الليليّ؟

- نعم.. دفع له "جيم" مقابل أن يخبره بكل من يدخل ويخرج من بيت "ساني".

قالت بإنكار:

- لا بد أن هذه فكرة والدته. مستحيل أن يفكر "جيم" في التجسس على أي شخص.

ثم أضافت بابتسامة:

- إنه مثل الطفل. طفل بريء يتحمم بمياهٍ معدنية.

لاحظت أن الساعة اقتربت من السادسة وتساءلت لو جاء "سِنان" إلى المحل. فقلت لها:

- علينا الذهاب. هل قررتِ إن كنتِ ستغادرين غدًا أم لا؟

- لا أظنني أستطيع. لا يبدو تصرفًا صحيحًا في رأيي. لكن من يعرف.

سألتها:

- من الواضح أنكِ هنا منذ مدة. متى جئتِ إلى إسطنبول؟

سألتها ببساطة وكأنه سؤالٌ غير مهم. أستطيع لعب دور المحقق الخاص حتى لو لم يكن مسموحًا لي بالقيام بهذه الوظيفة رسميًا.

أجابت:

- منذ أسبوعين. لم أمض هذه الفترة في إسطنبول منذ ست سنوات.

- هذه مدةٌ طويلة جدًّا.

هذا يعني أن "ياسمين" كانت في إسطنبول عندما ماتت "ساني".

11

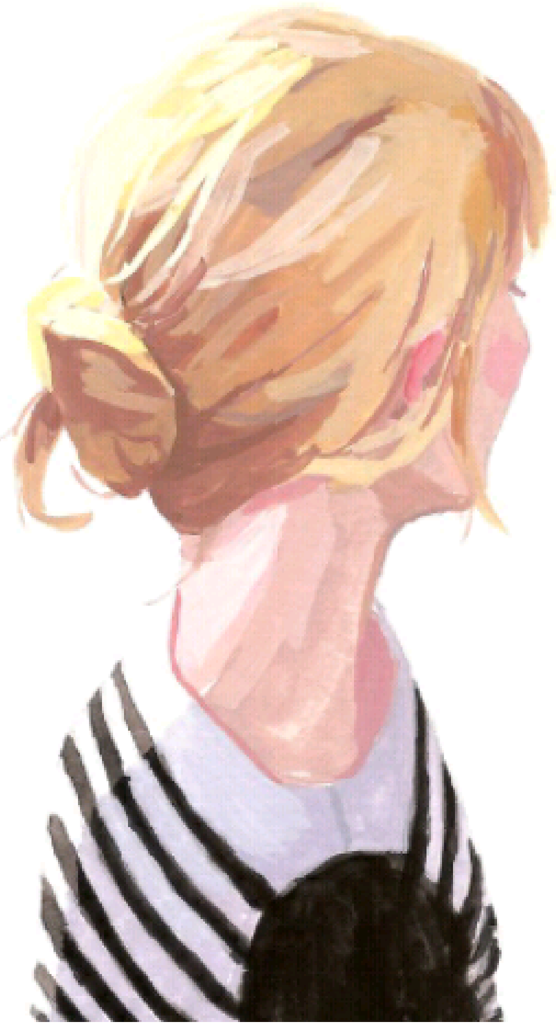

ركبنا تاكسي لنعود إلى المحل وظللت أفكر. هل أتوقف عند الكوافير لأصفف شعري أم أتركه على حاله بذيل الحصان؟

سألت "فوفو" بينما أحاول رؤية نفسي في مرآة التاكسي:

- ما رأيك يا "فوفو"؟

- أظن لو أن "جيم" مثليّ بالفعل، لما استطاعوا إخفاء السر تمامًا.

- لم أكن أسأل عن هذا، بل أتحدث عن شعري.

قال وهو يلقي عليَّ نظرةً سريعة:

- ماذا به؟ ما مشكلته؟ يبدو جميلًا جدًّا.

- أنت لم تره حتى.

نظر إليَّ بوجهٍ يخلو من التعابير، وقال:

- ها أنا أنظر، وأرى وجهًا جميلًا مع شعرٍ بذيل حصان لطيف.

ذيل الحصان اللطيف هو المشكلة. سألته:

- هل أذهب لتصفيف شعري؟ أقوم بتسريحة على طراز الثمانينيات مثلًا؟ ما رأيك؟

زفر بحنقٍ، وقال:

- لن أعود إلى المحل. سأذهب إلى "جيهانجير" لأحاول معرفة ما يقوله الفتيان عن "جيم".

- لكن "سِنان" قادم!

- إذًا؟ وما دخلي أنا؟

- ظننتك معجبًا بـ"سِنان".

- هل تقترحين أن نتصارع عليه؟

- أظن أنه من الأفضل ألا تتركني وحدي معه.

- هل عليَّ أن أمسك يدكِ بينما تتغازلان؟

- حسنًا إذًا، اذهب إلى "جيهانجير".

أحيانًا يصبح "فوفو" مزعجًا جدًا.

قال "فوفو" قبل أن يخرج من التاكسي في "تارلاباشا":

- أخبريني إن كنتِ تريدين الانفراد معه في الشقة اليوم.

- لا أتقدم في العلاقات بهذه السرعة.

قال "فوفو" ليوحي إنه يعرف عني أكثر مما أظن:

- لا تقولي شيئًا.

ooooo

سمحت لـ"بيلين" بالعودة إلى المنزل بمجرد أن وصلت المحل. كانت الساعة السادسة والنصف، ولم يأت "سِنان" أو يتصل. ربما نسي موعدنا. أراحني هذا الخاطر على الرغم من أنه تصرفٌ غير أخلاقي، لأن هذا يعني أنني هربت من موقفٍ صعب. كنت خائفة، ليس فقط من عمر "سِنان"، بل من الدخول في علاقةٍ جديدة ودخول شخصٍ جديد في حياتي.

هل وصلت لهذه الحال منذ انفصالي عن "سليم"؟ هل ما زلت أفتقده؟ هل تعتبر خيانةً له إن دخلت في علاقةٍ جديدة؟ لا، هذا غباء. المشاعر تكون غبية أحيانًا. ليست غلطتي أنني لا أستطيع التفكير بمنطقيةٍ أحيانًا، أليس كذلك؟ قررت التصرف كامرأة ناضجة.

انفصلت عن "سليم" منذ مدةٍ طويلة. تعرف على امرأةٍ أخرى على الأرجح. المشكلة هي أنه لا يوجد أصدقاء مشتركون بيننا لكي نبقى على اتصال. ماذا فعل؟ هل يعيش بسعادةٍ مع حبيبةٍ جديدة أم ما زال يعمل في إجازة الأسبوع وينام على الأريكة دون أن يشعر؟

لقد نسيت رائحة بشرته. لكن أتذكر كيف كنت أسند رأسي على كتفه وأشم هذه الرائحة. كنت أقبله في الأماكن التي يفضلها في جسده بينما يتحدث، فينزعج

لأنه يظنني لا أستمع إليه. لكنه بدلًا من أن يغضب، كان يبدو سعيدًا. كان ساذجًا لدرجة أنه ظن أنني لا أعرف أنه يحب ما أفعل. اعتاد التظاهر بالضيق والذهاب للجلوس على كرسي آخر وهو يرتدي نظارة القراءة ليتظاهر بقراءة الجريدة وكأنه غاضبٌ منّي، لا يدرك أنني أعرف أن تصرفه مجرد تمثيل. "سليم" كان لطيفًا جدًّا.

ما زال قلبي يخفق بشدة كلما فكرت في الذكريات السعيدة التي تشاركناها في الصباح والمساء.

في صغري، عندما كنت أبكي بسبب درجةٍ سيئة في المرحلة الإعدادية أو بسبب إزعاج زملائي لي من باب التبجح أو بسبب اشتياقي لصديقتي "بهيجة" في إسطنبول، كان أبي يقول لي: "ستنسين كل هذا عندما تكبرين". إنه محق. عقولنا مبرمجة على الحفاظ على الذكريات السعيدة عندما نكبر. أبي مثالٌ رائع على هذا. لقد تمكن من تجاهل كل المآسي التي حدثت له، بما فيها موت خالته وطفليها في معسكر اعتقال. في رأيه، الذاكرة شيءٌ إيجابي، أما تذكر الأمور السلبية فمخالف لطبيعة البشر.

أدرك الآن أنه محق. بالنسبة إليَّ، الحياة مع "سليم" لم تحتوِ على أي ذكريات تعيسة. وكأن مكنسةً عملاقة نظفت قلبي من أي ذكريات مزعجة ولم تترك إلا حبي له وذكرياتي السعيدة معه.

سمعت صوت رجلٍ يقول:

- تبدين شاردةً تمامًا.

سرحت في أفكاري لدرجة أنني لم أشعر بفتح الباب. إنه "باتوهان". نظرت إليه وطرفت بعينيِّ لأحبس دموعي وتساءلت إن كان هذا حلمًا أم حقيقة. إنه ليس الشخص الذي كنت أنتظره بالتأكيد.

قال:

- كان لدي عمل بالقرب من هنا، وفكرت في المرور بكِ.

- تسعدني رؤيتك.

بصراحة، لم تسعدني مطلقًا. خشيت أن يأتي "سِنان" الآن ويتقابلا، فسألته:

- هل يمكن أن نخرج؟ هناك مقهى لطيف بالقرب من هنا، وأنا لم آكل شيئًا منذ الصباح.

قال "باتوهان":

- لم لا نذهب إلى مطعم كباب؟ على حسابي.

- لننتظر انتهاء وقت الزحام الشديد. ما رأيك في تناول قهوة أولًا؟

أخذت حقيبتي وأغلقت الكمبيوتر؛ لأنني أريد المغادرة فوراً.

سألني:

- أين المقهى؟

- في "تونيل".

- في هذه الحال، سأترك سيارتي هنا.

- حسنًا.

تركته يساعدني في إنزال الباب على واجهات المحل.

بما أن شارع "استقلال" مليء بالحفر بسبب الإصلاحات، قررنا الذهاب عبر شارع "الجامع الإسماعيلي".

قال "باتوهان":

- هذه المنطقة تغيرت كثيراً على مدى الأعوام القليلة الماضية.

- أحبها. المقاهي فيها رائعة. لم لا نذهب إلى مطعم سمك بدلًا من مطعم كباب؟ إنه موسم سمك المياس.

- تعرفين أنني لا أحب السمك وأفضل اللحم. ومع ذلك، القرار لكِ.

- سنأكل سمكًا إذًا من باب التغيير، لكن لنتناول قهوة أولًا. هيا.

ثم أخذته إلى مقهى "شيمدي".

قال، بينما نجلس:

- أريد أن أطلب منكِ معروفًا. سأطلب منكِ فعل شيءٍ ما ثم لن نتكلم عن العمل باقي المساء.

- تفضل.

- بعدما تحدثت معكِ، أرسلت بعض رجالي للتحدث إلى جيران "ساني" وقمت ببعض البحث. من الواضح أن "أورهان سونير" كان المهندس المسؤول عن بيت "ساني"، وهو من رتب مسألة الإيجار شخصيًا. كان هناك مشكلة بين شركة "بوجازيتشي" للمقاولات وصاحب العقار، لأن تلك البيوت كانت للبيع وليس للإيجار. تبع ذلك قضية في المحكمة، وظلت البيوت غير مسكونة إلى حين التوصل لحكم. بالتأكيد لاحظتِ أن معظم البيوت فارغة.

- إذًا، أصبح سمسارًا لحبيبته السابقة.

- فعل ذلك ليتأكد من أن "ساني" تحت سيطرته.

كلامٌ بشع. لماذا أشرب قهوة مع رجل شرطة؟ حتى لو كان "باتوهان".

لاحظ "باتوهان" أنني لم أحب اختياره للكلمات، فقال:

- أو ليتأكد من بقائها بجانبه.

نعم، هذا أفضل. سألته:

- هل تظن أنهما بدآ بمواعدة بعضهما من جديد؟

يعرف قرائي الأعزاء أسلوب تفكيري.

قال "باتوهان":

- هذا ما أفكر فيه بالضبط. لكنه تحدث مع رجالي بكلامٍ معسول ولم يستطيعوا عمل شيءٍ معه سوى النظر إلى جواز سفره الذي يحتوي على تأشيرة تثبت سفره في رحلة عمل لمدة عشرة أيام عندما ماتت "ساني". حصلت على سجلات المسافرين من شركة الطيران، وتأكدت التواريخ التي أعطاها لنا. لكن كما قلت، لقد خدع رجالي، وأظنه يعرف أكثر بكثير مما يقول.

سألته:

- هل تقبل الشرطة التركية بمساعدة خارجية؟

قال "باتوهان" وهو يربت على ذراعي ويبتسم:

- مساعدة خارجية؟ نحن نفضل أي مساعدة يمكننا الحصول عليها لنخدم الوطن.

ابتسمت وقلت:

- حسنًا، حسنًا! حان وقت ذهابنا إلى المطعم. هل تشك في "أورهان سونير"؟

- ليس تمامًا، لكن... هل تعرفين أننا وجدنا حمضًا نوويًا في ملابس "ساني" الداخلية؟

- يمكنكم عمل فحصٍ للحمض النووي؟

- لا يمكنني أن أطلب منه عمل اختبارٍ لحمضه النووي دون دليلٍ ضده. يجب إقناع المدعي العام. لا يمكنهم الاعتماد على كلامي فقط.

- ماذا لو كان هناك شاهد؟

قال "باتوهان":

- لكن من؟ نعرف شخصين كانا على علاقةٍ معها، لكن هذا منذ زمنٍ طويل. و"سونير" لم يعترف بأنه كان يقابل "ساني". لماذا؟

قلت:

- لأنه متزوجٌ بالطبع. لن يرغب في أن يعرف أحدٌ بالأمر.

- هل يمكن أن تعرف زوجته شيئًا؟ بالتأكيد ساورتها الشكوك عندما انتقلت حبيبة زوجها السابقة فجأة إلى البيت المقابل لهما مباشرةً.

قلت:

- ربما لم تعرف حقيقة "ساني".

قال "باتوهان":

- لم لا تذهبين وتكتشفين بنفسكِ؟ وسنناقش هذا الأمر لاحقًا.

- حسنًا.

- دعينا لا نتحدث عن العمل الليلة. أشعر أن العمل أصبح محور حياتي الآن.

- في هذه الحال، لن أخبرك ما اكتشفته.

- أرجوكِ يا "كاتي". عقلي يحتاج إلى الراحة هذا المساء. فجرائم القتل لا تختفي أبدًا.

- جرائم القتل لا تختفي لكنْ القتلةُ يختفون.

المشتبه به - أو القاتل - يخدعنا بالتأكيد. لم أستطع إثبات التهمة على كل من شككت بهم في هذه القضية. أصحاب المصانع في "تراقيا" ومنظمة "TLF"، و"جيم"، و"ناز"، و"أورهان سونير"، و"تاماشا"، و"ياسمين جيل"، و"سِنان"، كلهم لديهم دوافع ليرغبوا في موت "ساني".

ooooo

استيقظت في الصباح التالي وأنا أتساءل من يلعب في شعري. إنه "فوفو" بالطبع.

قال:

- متى أتيتِ ليلة أمس؟ لم أسمعكِ تدخلين.

- جئت متأخراً.

- كيف سارت أمسيتكِ؟ هل استمتعتِ؟

سألت نفسي، هل استمتعنا؟

قلت وأنا أدفن وجهي في الوسادة:

- لا بأس. أكلنا سمكًا ورقصنا.

قال "فوفو" وهو يفتح الستائر:

- هيا انهضي. يمكنكِ أن تنامي بقدر ما تحبين عندما نحل القضية.

قلت بانزعاج:

- لا، بل أريد النوم الآن.

- يبدو أن ذلك الشاب امتص طاقتكِ. ظننت أن العكس هو ما سيحدث.

- أي شاب؟

صحيح أن "باتوهان" أصغر منِّي، لكنه ليس شابًا! لا، "سِنان" هو الشاب. أدركت فجأة أن "فوفو" يظن أنني خرجت مع "سِنان"، فقلت:

- "سِنان" لم يأت. لم يتصل حتى.

- مع من تناولتِ العشاء إذًا؟

- جاء "باتوهان" إلى المحل وذهبنا لنأكل في شارع "الجامع الإسماعيلي".

- اتصلت بكِ في الساعة الحادية عشرة لأسألكِ إن كنتِ تفضلين ألا أبيت في الشقة، لكنكِ لم تجيبي.

- لم أسمع اتصالك، كان المكان صاخبًا جدًا.

قال:

- ربما اتصل "سِنان" أيضًا ولم تسمعيه؟

- هل تحاول أن تحسن صورة "سِنان" في نظري؟

بالطبع لا، فعزيزي "فوفو" يحاول مواساتي لأنني تعرضت للتجاهل.

قال وهو يسير مرتديًا الـ"شبشب":

- أنا أوضح الحقائق فقط. أين حقيبتكِ؟

- في غرفة الجلوس على ما أظن. كيف لي أن أعرف؟

عاد بالحقيبة، وقال:

- لنرى كم مكالمة لم تجيبي عليها.

لاحظت أن تليفوني المحمول ليس في مكانه المعتاد، فأخرجت كل شيء من الحقيبة؛ المفكرة، والقلمين، وطلاء الشفاه، وكريم اليد، والمحفظة، وأشياء أخرى.

- تليفوني ليس هنا. هل تظنه قد سُرِق؟

سأل "فوفو" وهي يتفحص شيئًا معدنيًا أصفر:

- ما هذا؟

ما هذا حقًا؟ سألته:

- من أين جاء؟

- لقد سقط من حقيبتكِ بالطبع.

- لا أعرف كيف وصل إليها.

قال "فوفو":

- تفوح منه رائحة عطرٍ قوية.

رائحة عطر؟ قلت بألمٍ لأن الصداع بدأ يهاجمني:

- تذكرت من أين جاء. لقد وجدناه في بيت "ساني". أو بالأحرى، وجدته "ناز" على الأرض.

يبدو أنني ألقيته في حقيبتي عندما غادرنا بيت "ساني" بسرعة.

قال "فوفو":

- يبدو مثل غطاء زجاجة.

- هذا ما ظننته. أين تليفوني بحق الجحيم؟

- سأتصل على رقمكِ.

أحدهم أجاب على الاتصال فوراً. بعد محادثةٍ قصيرة استدار "فوفو" إليَّ وقال:

- لقد تركتِ تليفونكِ في المكتبة بالأمس. لديكِ سبع مكالمات لم تردي عليها، لكن لم أطلب من "بيلين" أن تعرف هُوية المتصلين.

- شكراً، أحسنت عملاً. هل يمكن أن تحضر لي بعض الأسبرين؟

- ماذا شربتِ ليلة أمس؟

- "راكي"، "راكي"، "راكي"، "ويسكي"، "ويسكي"، "تيكيلا".

- أربعة "راكي" واثنان "ويسكي" وواحد "تيكيلا"؟!

- أظن ذلك.

- من الأفضل أن تستحمي.

- أفضل النوم قليلًا.

أمرني "فوفو":

- هيا انهضي.

ثم وضع ذراعي على كتفه وحاول أن يجذبني لأقف. لو كنت خفيفة لحملني بين ذراعيه، هذا يعني أن مقاسي كان سيكون ثمانية. لكن هذا سيقلل فرصي مع الرجال الأتراك الذين يحبون النساء الممتلئات قليلًا. وبما أنني ما زلت أعيش في إسطنبول، عليَّ أخذ هذا في الاعتبار.

صِحْتُ به:

- ستكسر ذراعي!

- يجب أن تستفيقي. لدينا الكثير لنتحدث عنه. يعرف أصدقائي كل شيء عن مثلية "جيم".

- اتركني وشأني.

في النهاية فاز "فوفو". شربت قهوة سوداء ثقيلة وعصير جريب فروت وأخذت أسبرين. بعد ذلك تكومت على طرف الأريكة ومعدتي تؤلمني وكأنني شربت المحيط.

قال "فوفو" وهو يقف بجانبي حاملًا طبقًا:

- من الأفضل أن تأكلي شيئًا.

- لست جائعة.

- ربما، لكن يجب أن تأكلي. يجب أن نُخرج الكحول من دمكِ بأسرع ما يمكن.

من أين عرف كيفية إخراج الكحول من الدم؟ سألته:

- ماذا في الطبق؟

- جبن وخبز.

كررت:

- جبن وخبز.

بدوت سخيفة حين كررت كلامه.

بدأت أضحك وكذلك هو، ليس على كلامي وإنما على حالتي. ضحكت بشدة لدرجة أن أنفي سال فسكتْ. أدركت أن حالتي سيئة جدًّا وستسوء أكثر. مضى زمنٌ طويل منذ أن أسرفت في الشرب هكذا. كنت أشرب كأس "ويسكي" مضاعفة بين حينٍ وآخر أو بضع كؤوس من النبيذ الأحمر مع الوجبات، لكن يبدو أن تحملي للكحول قد ضعف كثيراً. حالتي مزرية وبائسة.

قلت:

- سأعود للسرير يا "فوفو".

قال "فوفو" عندما أدرك أني عاجزة عن العمل في هذا الوضع:

- في هذه الحال سأذهب إلى المكتبة. من الأفضل أن تنامي حتى يضيع تأثير الكحول.

ooooo

حلمت أنني مع "سليم" نتناول "فيليه" لحم بالصلصة الحارة. لم يكن هناك

أدوات مائدة على الطاولة، فنادى "سليم" على النادل الذي اتضح أنه "سِنان".

اشتكى "سليم":

- أي نوعٍ من المطاعم هذا؟!

كان "سِنان" يرتدي مريلة مطبخ بجيوبٍ كبيرة أخرج منها بعض السكاكين والشوك وألقاهم على الطاولة. قال إن شعوب الشرق الأوسط يقطعون اللحم بأيديهم. قد يجد بعضهم هذه الطريقة فظة، لكنها ليست بربرية مثل استخدام السكين على مائدة الطعام مثل الشعوب الغربية. سمعت امرأة تهتف من طاولة بعيدة: "برابرة، برابرة!".

قال "سليم" وهو يحاول تقطيع اللحم بلا فائدة:

- هذه القطعة من لحم الكتف، ونحن طلبنا "فيليه".

قال "سِنان" وهو يبتسم ابتسامة شخصٍ خبير:

- يمكنني أن أحضر لك شريحة من قطعة أخرى في الخاصرة لو تحب، لكن ليس "فيليه". فنحن لا نقدم شرائح الـ"فيليه" للأزواج المرتبطين منذ أكثر من ثلاث سنوات.

بكيت عندما سمعت هذا الكلام، لأنه ذكرني بكلامي عندما قلت إن العلاقات طويلة الأمد تفقد لذتها ومتعتها، فتشبه شريحة اللحم صعبة المضغ وعديمة النكهة. عندها كذبت وقلت إنني كنت أظن هذا إلى أن قابلت "سليم"، ثم شعرت بذنبٍ شديد بسبب ذلك التشبيه الفظيع.

استيقظت شاعرةً بالندم على كل شيء. نادمة لأنني لست مع "سليم"، وأنني قابلت "سِنان"، وأنني بدأت أحاول حل جريمةٍ أخرى. شعرت بضعفٍ في أطرافي وبالتهابٍ في حلقي، ربما هي نزلة برد بسبب مرح ليلة أمس. قررت أن أطلب من "فوفو" أن يعود إلى البيت. ذهبت إلى غرفة الجلوس لأحضر تليفوني، فوجدته جالسًا على الأريكة.

سألني:

- استيقظتِ أخيراً. كيف حالكِ؟

- لديَّ حمى.

حتى لو لم يكن لديَّ حمى، أظنه سيهتم بي أكثر إن ظن ذلك. رغبتي الوحيدة الآن هي أن أحصل على كامل اهتمامه ورعايته.

قال "فوفو":

- استلقي على الأريكة. سأحضر لكِ بطانية.

استلقيت وعاد ببطانية كاروهات باللونين الأزرق والكحلي، أكرهها كثيراً. قلت له:

- أريد البطانية الصفراء.

- لم أجد الصفراء.

- لا بد أن الست "فاطمة" خزنتها في مكانٍ ما. ابحث عنها بين السترات.

عاد "فوفو" وهو ما زال يحمل البطانية البشعة نفسها، وقال:

- لا أستطيع أن أجدها.

صرخت:

- لن أضع هذا الشيء البشع فوقي!

آلمني حلقي بشدة، فشعرت بسوء حالي وبكيت.

جلس "فوفو" على الأريكة بجانبي وربت على شعري، وسألني:

- ما المشكلة الآن؟ اتصل "سِنان" ست مرات مساء أمس. انظري بنفسكِ إن كنتِ لا تصدقينني.

صرخت:

- لا أهتم بشأن "سِنان". لا أهتم به مطلقًا!

أردت "سليم"، لكنني لم أخبر "فوفو" لأنه لم يحبه قط.

قال "فوفو":

- دعيني أقيس حرارتكِ.

كان مقياس الحرارة باردًا كالثلج على بشرتي.

قال "فوفو" وهو يبتعد:

- سأبحث عن بطانية أخرى.

ثم عاد حاملًا لحافي:

- لم أجد البطانية الصفراء، هل أغطيكِ بهذا؟

- نعم، من فضلك.

- حضرّت لكِ حساء الدجاج. يجب أن تأكلي شيئًا.

- لا أريد أن آكل شيئًا.

- يجب أن تجبري نفسكِ إن أردتِ أن تتحسن حالتكِ. دعيني أنظر لحرارتكِ.

أدار "فوفو" المقياس ليرى درجة الحرارة.

- أقل من سبعة وثلاثين، وهذا جيد. ستصبحين بأفضل حالٍ غدًا.

قلت وأنا أتناول ملعقة من الحساء:

- يا له من يومٍ صعب.

نمت مجددًا. كان يومًا صعبًا بالفعل.

ooooo

استيقظت في الصباح التالي، وقد قلَّ كرهي للحياة قليلًا، على الأقل حتى بدأ "فوفو" يلح عليَّ للاتصال بـ"سِنان". قلت له:

- أنا مشغولة.

قال بإصرار:

- اتصل بكِ ست مرّات. يجب أن تتصلي به, أو على الأقل أخبريه أنكِ لا تريدين رؤيته.

لكنني لا أريد أن أقول هذا لـ"سِنان". قلت:

- سأتصل به لاحقًا.

أخذ "فوفو" تليفوني ووضعه بجانب طبقي، فقلت:

- هل تريد أن تجعلني أمرض مجددًا؟

أصر "فوفو" قائلًا:

- لن تمرضي من هذا. فقط مكالمة قصيرة.

- لا أريد.

تجاهل "فوفو" اعتراضاتي، وقال:

- سأتصل بالرقم إذًا!

- في هذه الحال تحدث أنت إليه. لن أقول كلمةً أخرى.

ثم التزمت الصمت.

بدينا وكأننا في مشهدٍ من مسلسل دراميّ طبيّ.

- أنتِ تتصرفين بسخافةٍ يا "كاتي".

لم أرد.

- تمالكي نفسكِ يا "كاتي".

لم أرد أيضًا.

- أخبريه أنكِ فقدتِ تليفونكِ ووجدته للتو.

أبعدت نظري.

- أنتِ قاسية على الفتى.

بقيت صامتة.

- ليس صائبًا أن تتلاعبي بمشاعر الشباب هكذا.

تجاهلته تمامًا.

- ألا تشعرين بأدنى مسؤولية تجاه شباب اليوم؟

"فوفو" يتحدث بسخافة وأنا أقاوم الضحك بصعوبة.

- هل أنتِ مستعدة لتتحملي المسؤولية إن أصبح يكره كل الأجانب من الآن فصاعدًا؟

كتمت ضحكة.

- ظننتكِ شخصًا يشعر بالمسؤولية الاجتماعية.

- كفى يا "فوفو"! حسنًا! سأتصل به وسأتحدث معه!

لكن "سِنان" لم يرد على التليفون كالعادة. الوقت مبكر ولا بد أنه ما زال نائماً.

بمجرد أن انتهينا من موضوع الاتصال، سألني "فوفو" عمًّا سنفعل اليوم. قلت

له:

- سأبحث عن صورةٍ لـ"تاماشا" هانم لأريها للجيران في حال رآها أحدهم حول البيت.

قال "فوفو" وهو ذاهب إلى المطبخ ليعد بعض الشاي:

- حسنًا، على أحدنا أن يذهب إلى مكتب "مراد" ليحضر تلك المجلة.

ناديته:

- هل ستذهب أنت؟

آلمني حلقي حين تحدثت بصوتٍ عالٍ.

قال "فوفو" عندما عاد:

- سأذهب. لكننا لا نريد صورتها بفستان سهرة ماركة "فالانتينو". من الأفضل أن تكون صورةً بوضعها العادي، ألا ترين هذا؟ بالتأكيد لن تتجول في "باشا بهتشه" بفستان سهرة وماكياج سهرة كامل.

وضع كوب الشاي الخاص بي على الطاولة بعنف، فقلت له:

- احذر يا "فوفو"!

- لقد انزلق من يدي.

أخذت منديلًا لأمسح الشاي الذي تناثر على طبق الجبن، ثم قلت بمزاح:

- أنت محق. أظنها قد تتجول في "باشا بهتشه" وهي ترتدي أحذية رياضية من ماركة "XOXO".

- بالمناسبة، لم تخبريني بعد عما دار بينكِ وبين "باتوهان" على العشاء ليلة أمس.

أخبرته أنه عندما ذهبنا إلى المطعم كان سمك المياس قد نفد منهم لذلك أكلنا تونة، كان هذا مملاً جدًّا. الجزء الممتع من السهرة هو عندما بدأنا نرقص، بالطبع هذا الجزء هو ما يريد عزيزي "فوفو" سماعه.

قال عندما انتهيت من حديثي:

- عيد ميلادكِ اقترب. ربما سيتغيرً حظكِ.

التحدث عن عيد ميلادي ذكرني بالأبراج والتي بدورها ذكرتني بالسكرتيرة "سيفيم".

قلت:

- من الجيد أنك ذكرتني. يجب أن نتصل بـ"سيفيم" هانم أيضًا.

- لماذا؟

- أظنها تم استئجارها أيضًا لمراقبة "ساني". لو ضغطنا عليها قد نعرف منها المزيد.

- هل تقترحين أن نتحدث إليها معًا؟

أومأت بالإيجاب، فقال:

- إذًا، علينا أن نتواصل مع "سيفيم" هانم و"مراد".

- نعم.

نهض "فوفو" وذهب ليجري بعض الاتصالات.

oooooo

قابلنا "سيفيم" في بداية المساء في مطعم "سميت سراي" مثل المرَّة السابقة. شرحت باستفاضة عن ضيقها من اضطرارها للبحث عن وظيفة. أرادت العمل في

مجال التأمين. لكن هذا صعب؛ لأن الناس تخشى حدوث أزمةٍ اقتصادية أخرى، فلا أحد يريد المخاطرة بدفع ماله في بوليصة تأمين. كما أنها تريد العمل بالقرب من سكنها. أنا و"فوفو" استمعنا إلى حديثها الغاضب بينما تأكل الأيس كريم، إلى أن نلت كفايتي وقلت:

- من المستحيل أن تجني القدر نفسه من المال الذي كنتِ تأخذينه في "جريتور". ستضطرين إلى التنازل في المرتب شئتِ أم أبيتِ.

تمتمت "سيفيم":

- لم أكن أتقاضى الكثير هناك.

- ربما لا، لكن مع بعض العلاوات الإضافية...

قاطعتني باندفاع لتحاول معرفة ما لدي من معلومات:

- أي علاوات؟

قلت لأخيفها:

- لا داعي للخداع. من كان يدفع لكِ لتبلغي عائلة "أنكاراليجيل" بأحوال "ساني"؟

لم تخف مطلقًا، بل قالت بغضب:

- ماذا؟

حان الوقت لأنقض عليها بشدة. قلت:

- لا بد أنكِ أخبرتي أشخاصًا آخرين عن "ساني" و"سِنان" غيري أنا وأختكِ.

- لم أخبر أحدًا بأحوال "ساني" هانم.

ثم نهضت وأخذت حقيبتها المعلقة على ظهر كرسيها.

سئمت من ثرثرتها بشأن البحث عن عمل. قلت:

- لو لم تجلسي سنذهب إلى الشرطة مباشرةً ولن يكونوا صبورين معكِ.

سألها "فوفو":

- لصالح من كنتِ تعملين؟

- اسمعي، أعلم أن لديكِ أخٌ يحتاج إلى رعايةٍ مستمرة، وأعلم أنكِ في حاجةٍ إلى المال. إن أخبرتينا بكل شيء، لن نذهب إلى الشرطة.

لم تتفاجأ "سيفيم" مطلقًا بما قلت. يجب أن نمارس أنا و"فوفو" معها لعبة الشرطي الطيب والشرطي الشرير بإتقانٍ وتناغم وإلا سيحدث ارتباك. هل أنا الشرطي الطيب أو الشرير؟

قالت بحذرٍ وقلق:

- أنا لا أعرف شيئًا.

قال "فوفو":

- فقط أخبرينا بما تعرفين.

جلست "سيفيم" مجددًا وهي تتشبث بحقيبتها بشدة، ثم قالت:

- لم تُقتَل "ساني" هانم بسببي.

سألتها:

- من الذي كنتِ تبلغينه بأخبار "ساني"؟

نظرت "سيفيم" إلى السلالم وكأنها تفكر في الهرب.

قال "فوفو" وهو يندمج في الدور بحماسٍ غير عادي:

- لن تهربي منا. نعرف أين تعيشين.

قلت لها:

- اتفقوا مع أشخاصٍ آخرين لمراقبة "ساني" أيضًا. لستِ الوحيدة، أؤكد لكِ ذلك.

سألتني "سيفيم":

- من الآخرين؟

هل ظنت حقًا أننا سنخبرها؟

قلت:

- لا يهم من هم. إن أسماءهم تعتبر معلوماتٍ سرية. لن نعطي اسمكِ لأي شخصٍ أيضًا.

- حقًا؟

تبدو وكأنها ترغب في تصديقنا وإخبارنا ما تعرفه؛ لكي ترحل بسرعة. هذا ما أتمناه على الأقل.

قلت:

- نعم، حقًا. ما تقولينه سيظل سرًّا بين ثلاثتنا. لن يعرفه أي شخصٍ آخر.

قالت "سيفيم" قبل أن تبوح بكل شيء:

- لم أرتكب فعلًا شريرًا، صدقاني.

oooooo

عندما غادرنا "سميت سراي"، أدركت أن "فوفو" غاضبٌ مني وبالكاد يجيب أسئلتي.

- ما الأمر يا "فوفو"؟

- لا شيء.

- هل أنت غاضبٌ منِّي؟

- همم.

- هل ستخبرني السبب؟

لم يرد.

- ما الأمر بالله عليك؟

ظل صامتًا إلى أن قال:

- أخبرتكِ "سيفيم" بعلاقة "ساني" و"سِنان" ولم تخبريني؟!

يا خبر!

مشكلة! ظللنا نتجادل طوال الطريق إلى المنزل.

12

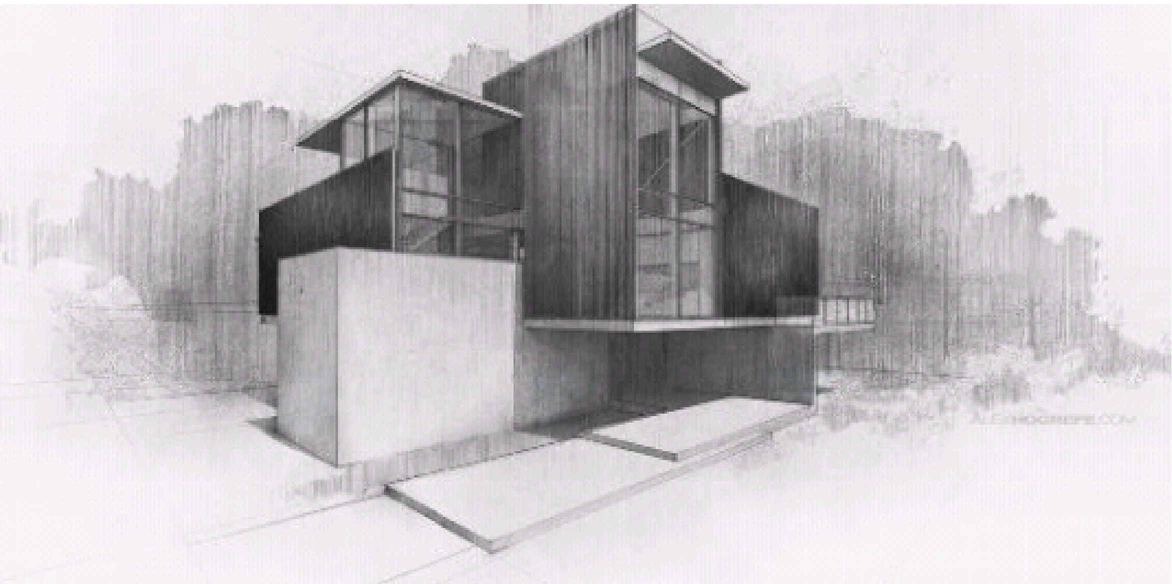

كادت "بيلين" تسحق رأسينا عندما أخبرناها أننا لن نأتي إلى المحل هذا اليوم أيضًا. لكنها تمالكت نفسها بسرعة، فنحن لا نخرج للاستمتاع. عملنا للصالح العام يعطينا الحق في الحصول على بعض الدعم من الأشخاص المقربين منا، أليس كذلك؟ ستضطر إلى احتمال الوضع بضعة أيام. كدنا نصل للحل، لكننا في حاجةٍ إلى دليل. ربما سيساعدنا "أورهان سونير" في ذلك.

قال "فوفو":

- إن لم يكن في المنزل، سنكون قد جئنا كل هذه المسافة بلا فائدة.

كنا نسير في حديقةٍ جميلة بين صفين من الورود الحمراء التي تم زرعها في بداية الخريف كما هو واضح.

قلت بتفاؤل:

- وأين سيذهب في هذا الوقت من يوم الأحد؟

انفتح الباب بسرعة، وشعرت بالسرور لرؤية أن تفاؤلي في محله هذه المرة. وجدنا أنفسنا أمام سيدة ذات شعر متوسط الطول ولا تنزل خصلات منه على جبهتها لأنها عقدت مقدمته بربطة شعر فبدت مثل شخصيات الكرتون. لا بد

أنها زوجة "أورهان".

قلت:

- مرحبًا، نود التحدث مع "أورهان سونير".

- "أورهان" ليس هنا. من أنتما؟

- نحن نحقق في وفاة جارتكما "ساني أنكاراليجيل".

- فيم تحققان؟ قرأت أنها توفيت نتيجة حادث.

- هذا ما تقوله الصحافة، لكن هناك بعض التفاصيل التي ينقصها التحقيق. هل يمكننا التحدث مع "أورهان" بك؟

فكرت قليلًا ثم ردت أخيراً:

- ما علاقة هذا بـ"أورهان"؟

- بما أنكم جيران، ربما يعرف شيئًا.

- لأن "أورهان" جارها أو لأنه حبيبها السابق؟

لم أعرف ماذا أقول. قالت:

- ادخلا. "أورهان" ليس هنا، لكنه سيعود قريبًا.

بمجرد أن جلست فتحت حقيبتي وأخرجت المجلة التي تحتوي على صورة "تاماشا" هانم بفستان السهرة، وسألتها:

- هل رأيتِ هذه المرأة هنا؟

نظرت إلى الصورة بشكلٍ عام ثم هزت رأسها نفيًا وكأنها تهش ذبابة، وقالت:

- لا أظن. تطل مقدمة بيتنا على الشارع، لكن ليس لدينا نوافذ في الواجهة. فالمنزل مصمم لكي يطل على البحر وليس الشارع. لذلك نادراً ما نعرف ما

يجري في الخارج.

- ربما يمكنكِ أن تمعني النظر في الصورة مجدداً؟ ربما لمحتها وأنتِ تسقين الأزهار في حديقتكِ.

قالت بصوتٍ عالٍ يشبه الصراخ:

- كم مرة عليَّ أن أنظر للصورة؟ لقد نظرت بالفعل!

لماذا هي غاضبة؟ يمكنني أن أرد عليها بقسوة، لكنني تمالكت نفسي لأنه ما زال لدي الكثير من الأسئلة.

قالت الزوجة:

- تعرفان أنها حبيبة "أورهان" السابقة، صحيح؟

لم أجب، والتزم "فوفو" الصمت.

- الجميع لديهم أحباء سابقون. كل الشباب لديهم أحباء، حتى في القرى. لا أفهم لماذا تكبرون الموضوع. ما المشكلة إن كان لدى "أورهان" حبيبة سابقة منذ سنواتٍ عديدة؟

بالطبع الجميع لديهم أحباء، لكن كم منهم مات في ظروفٍ غامضة في البيت المقابل دوناً عن إسطنبول كلها؟ لكنني لم أقل هذا لأنني لا أريد إغضابها كما قلت. بدلاً عن ذلك قلت:

- نريد التحدث إلى "أورهان" بك؛ لأن بيتكما مقابلٌ لبيت "ساني".

لم تبد مقتنعة، لكنها تجاهلت الموضوع، وسألتنا:

- تودان بعض القهوة؟

- إن لم يتعبكِ هذا.

ذهبت لتحضر البعض.

جلسنا أنا و"فوفو" وحدنا لعشر دقائق في غرفة الجلوس. ربما يُفترض بنا المغادرة. أنا واثقة من أن هذا ما تمنت أن نفعله. لكننا لسنا مستعدين للاعتراف بالهزيمة بعد أن وصلنا إلى هذا البيت. ظللنا جالسين في صمت.

فجأة، دخل رجل يفرك في يديه ليدفئهما. أخيراً أنقذنا شخصٌ ما من الانتظار!

سألنا بفظاظة:

- من أنتما؟

- نحن نحقق في وفاة "ساني أنكاراليجيل".

كنت واثقة من أن أسلوبه سيتغير بمجرد سماع هذه الكلمات السحرية. فهي كانت حبيبته السابقة والحالية. بالتأكيد سيريد معرفة كيف ماتت.

قال "أورهان":

- نعم، أخبرتني زوجتي الكثير. ماذا تقصدين بالتحقيق في وفاتها؟ هل أنتما من الشرطة؟

- نحن محققان خاصان.

قال "أورهان" بسخرية:

- محققان خاصان؟ بالطبع لا بد أنكما وصلتما لأقصى درجات "الخصوصية" بما أنكما هنا في بيتي مساء الأحد.

بدأت أنزعج. أعلم أننا جئنا إلى منزله دون اتصال لأخذ موعد، لكن لا داعي للتصرف بفظاظة. فقبل كل شيء، من ماتت هي حبيبته، ويجب أن يكون أشد الناس اهتمامًا بظروف وفاة "ساني".

قال "أورهان" وهو يشير نحو الباب:

- اخرجا من منزلي.

يا له من موقفٍ غريب. جمعنا أغراضنا. أعلم أننا قد لا نحصل على فرصةٍ أخرى للتحدث مع هذا الرجل إن لم أقل شيئًا لأحل الموقف فورًا، وستكون نهاية التحقيق في وفاة "ساني" بالنسبة لنا!

وصلنا إلى الباب عندما قلت بأملٍ أخير:

- هل "ناز" على تواصلٍ معك؟

ضاقت عيناه، وقال:

- "ناز"؟ كيف تعرفان "ناز"؟

كذبت ببساطة:

- "ناز" وظفتنا للتحقيق في وفاة أختها.

أمسكت مقبض الباب. لو أن "أورهان" لم يرد، سنصبح في الشارع خلال ثلاثين ثانية.

قال:

- انتظرا.

- نعم؟

- "ناز" وظفتكما؟

قلت وأنا ألوح بيدي باستنكار:

- ظننتك لست مهتمًا بالموضوع.

قال "أورهان":

- كان عليكما إخباري بذلك من البداية.

- من البداية؟ أنت لم تعطنا فرصة لقول شيء.

- أنتِ على حق.

أحب أن يعترف الناس بأخطائهم، لكن لا داعي لإخباره بهذا. فتحت الباب وأخرجت قدمي، وقلت:

- وداعًا. هيا يا "فوفو".

قال "أورهان":

- لا داعي لأن ترحلا.

- ظننت أن هذا ما تريده.

- بصراحة.. امم...

ظل يتمتم بكلامٍ غير مفهوم. أحب عندما يشعر الناس بأنهم محاصرون.

سألني "فوفو" وهو ينظر إليَّ بإعجاب:

- هل سنرحل أم لا؟

- اسأل "أورهان" بك.

قال "أورهان":

- لنعد إلى الداخل.

عدنا إلى المقاعد التي تركناها للتو. أشعل "أورهان" سيجارة، ونظرت أنا إليه بتمعن. هل أصبح انتقادي للناس أقل حدة أم أن "ساني" و"ناز" رافقا رجالًا شديدي الوسامة؟ "أورهان" طويل بجسدٍ رياضي وشعره بني فاتح. هذا ليس كل شيء. إنه يشع ثقةً بالنفس في كل حركةٍ من حركاته، حتى وهو يجلس. عندما تنظر إليه تشعر بأنه يشع نوراً. نعم، هذا هو. إنه يشع نورًا بطريقة تشبه لوحات الرسام الهولندي "رامبرانت" للمسيح. أتساءل ماذا يفعل هذا الرجل مع زوجته

تلك الشبيهة بالكرتون. لكن هذا هو الواقع. عادةً لا يليق الزوجان ببعضهما.

قلت:

- أظنك كنت بالخارج عند وفاة "ساني".

رفع "أورهان" حاجبه بدهشةٍ؛ لأنني أعرف هذا، ثم قال:

- أعمل حاليًا في العديد من مشاريع الإنشاء بالخارج. أسافر مدة أسبوعين كل شهر، وأحيانًا ثلاثة.

سألته:

- في البلقان؟

قال:

- البلقان أو روسيا. ما الفرق؟

- أبدًا، ظننتك على صلة بمنظمة "TLF".

أعترف أنه رابطٌ عجيب، لكنني أردت أن أصدمه بتوجيه أسئلة مفاجئة. تنجح تلك الاستراتيجية عادةً كما لاحظتم. مع ذلك، لو أن "أورهان" اندهش، فدهشته لم تظهر عليه.

قال ضاحكًا:

- في هذه الحال، كل من يعمل في البلقان سيكون في دائرة الشبهات.

لماذا لم يسألني عن معنى "TLF"؟

سألته:

- هل تظن أن الـ"TLF" قد يكون لهم يد في وفاة "ساني"؟

- سأحاول مساعدتكِ إن أخبرتني بالأسباب التي تدفعكِ للتفكير في أن هناك من

تورط في وفاة "ساني".

بالطبع ظن أن "ساني" تُوفيت نتيجة حادثة مثلما ظن الجميع. انتشر ذلك الخبر الصحفي كالنار في الهشيم. شرحت له كيف ماتت.

قال "أورهان" وهو يحك سوالفه:

- إذًا، تقولين إنه كان هناك شخصٌ مع "ساني" عند وفاتها!

سألته:

- فيمن تشتبه حسب تقديرك للموقف؟

- بالتأكيد ليس منظمة "TLF". كيف عرفتِ بشأنها؟ هل أخبرتكِ "ناز"؟

هززت رأسي بأسلوبٍ غامض قد يعني نعم أو لا.

قال "أورهان":

- إنها "ناز"، أليس كذلك؟ لا يهم كيف عرفتِ.

سألته:

- هل الـ"TLF" متورطة في الأمر؟

قال "أورهان" وهو يضحك على سخافة الفكرة:

- يا إلهي، لا! لا أعرف ماذا عرفتِ عن "TLF"، لكن أؤكد لكِ أننا لسنا عصابة من القتلة. لو أوحت إليكِ "ناز" أننا قد نكون متورطين في وفاة "ساني"، فسيكون هذا.. غريبًا جدًا.

- لكن الـ"TLF" منظمة سرية.

- ليست سرية أبدًا. نحن على وشك أن ننشر مجلة، لكن "ناز" لا تعرف. سيصدر العدد الأول في الشهر القادم.

بحث في كومةٍ من المجلات والصحف على طاولة القهوة، وقال:

- معي مسودة هنا. يمكنكِ أن تلقي نظرة. نحن مجموعة محترفة من المهندسين وخبراء الاقتصاد والأطباء ومهندسي البيئة وما إلى ذلك. وكلنا نكتب مقالات بأسمائنا الحقيقية. هل تظنين أن أي شخص ينوي ارتكاب جريمة قتل سيكتب مقالاتٍ باسمه لمجلة؟

تمتمت شاعرةً بالارتباك:

- لكن منظمة إقليمية مثل هذه...

قال "أورهان":

- ما دام سكان مدينة "أرزينجان" استطاعوا تأسيس منظمة محلية، فلم لا يستطيع أهل "تراقيا"؟

سألته:

- هل أردت دائمًا نشر مجلة؟

- لا، ليس بالضبط. لنقل مثلًا إننا انجرفنا قليلًا مع أفكارنا وأحلامنا بالحفاظ على تراثنا كأهل "تراقيا".

- أمم.. يمكن للأحلام أن...

ثم توقفت لأنني لم أعرف ماذا أقول.

قال "أورهان":

- أريد أن أريكِ شيئًا. لنخرج بالسيارة.

رأينا وسمعنا كل ما يمكن، لذلك ليس لديَّ أدنى رغبة في الخروج في هذا البرد، لكنني قلت:

- حسنًا.

لم نتحدث مجدداً إلى أن جلس ثلاثتنا في السيارة ماركة "أودي" المركونة أمام منزل "أورهان". جلست بجانبه في الأمام. سألته:

- ماذا سترينا؟

- لا شيء، لكنني لم أرد مناقشة هذا الموضوع أمام زوجتي. فهذا يضر بزواجنا.

أها! هل هذا اعترافٌ بعلاقته بـ"ساني"؟

قلت:

- آسفة. ما كان علينا القدوم إلى بيتك.

- تعرف "سيمين" ما يجري بالطبع، لكنها لا تتقبله. ومن الأفضل ألا يعرف الجيران.

أومأت له بالإيجاب، وقلت:

- إذاً، أنت و"ساني" عدتما لبعضكما.

هذه المرّة أومأ "أورهان" بالإيجاب.

سألته:

- منذ متى؟

- أشهر قليلة.

ماذا يعني بأشهرٍ قليلة؟ سألته:

- كم شهراً؟

- بدأت علاقتنا منذ إبريل أو مايو.

إذاً، خمسة أشهرٍ بالنسبة إليه تعتبر قليلة. سألته:

- ساعدت "ساني" على تأجير البيت، صحيح؟

- لم تملك مالاً. أصبحت مفلسة ومشردة عندما تركت زوجها. عرضت عليها أن أجد مكاناً لتعيش به. بحثت في كل مكان، وأخيراً، وجدت هذا البيت المقابل لبيتي. لم أظن أن أي شخص سيتذكر أنها حبيبتي السابقة. كيف لي أن أعرف أن ذاكرة الناس قوية كذاكرة الأفيال؟

قلت:

- من الطبيعي أن يهتم الناس بالحياة الخاصة لعائلة شهيرة مثل "أنكاراليجيل"، سواء أكان ماضيهم أم حاضرهم.

- أدرك هذا الآن.

سألته من باب الفضول:

- كيف تقابلتما مجدداً؟

أردت التحدث معها بخصوص منظمة "TLF". لم تكن "ناز" مهتمة، لكننا ظننا أنه يمكننا إشراك "ساني".

- هل كانت لا تزال مع زوجها في ذلك الوقت؟

- انفصلا بعد ذلك بأشهرٍ قليلة.

- كم شهراً بالضبط؟

لا أفهم استخدام "أورهان" الغريب لمصطلح "أشهر قليلة".

قال:

- إن لم أكن مخطئًا، تحدثت معها في فبراير أو ربما يناير.

- هجرت "ساني" زوجها في مارس.

قال "أورهان" عندما أدرك فيم أفكر:

- ليس بسببي.

هل يمكنني تصديقه حقًا؟

- كانت مع شخصٍ آخر في ذلك الوقت.

سألته:

- من؟

- مغني شاب. لكنها لم تترك زوجها بسببه. إن زواجها من "جيم" كان قائمًا على علاقة حرة، وكانت "ساني" تبدل أحباءها بانتظام. هذا ما سمعته.

إنها أول مرة أسمع بموضوع "علاقة حرة" هذا، فسألته:

- هل أنت واثقٌ من هذا؟

- هذا ما أخبرتني به "ساني". كلاهما كان يدخل في علاقاتٍ مع أشخاصٍ آخرين.

نظرت إلى "فوفو" الذي سأل:

- هل أخبرتك بميول زوجها الجنسية؟

سأله "أورهان":

- هل تسألني إن كنت أعرف أن "جيم أنكاراليجيل" مثلي؟

سألته:

- هل سمعت ذلك من "ساني"؟

قال "أورهان":

- عدد من يعرفون هذا السر أكثر مما تظن عائلة "أنكاراليجيل". أخبرت "ساني"

لكنها أصرت أنه سرٌ كبير. تزوجا ليخفوا حقيقة مثلية "جيم".

سأله "فوفو":

- هل أخبرتك "ساني" بذلك؟

- بالطبع، أخبرتني "ساني". فأنا مشغول ولن أضيع وقتي في إسطنبول بالاستماع إلى نميمة المجتمع.

سألته:

- هل أخبرتك لماذا قررت الطلاق فجأة؟

قال "أورهان":

- ألم تكتشفا ذلك بعد؟

- لم تكن تتحدث إلى شخصٍ غيرك.

- لم تثق "ساني" بأي شخص. لهذا كانت مناسبة تمامًا لهذا النوع من الزواج. لم يتمكن أحد من معرفة شيءٍ منها.

- بخلافك.

- نحن نعرف بعضنا منذ مدةٍ طويلة، أعتبر هذه ميزة.

سأله "فوفو" هذه المرَّة:

- لماذا أرادت الطلاق؟

- "ساني" لديها قريب تعتز به كثيراً. اسمه "تونكا"، وهو ابن عمها الذي رباها.

قلت عندما تذكرت أن "ناز" ذكرته لي:

- هل تقصد الفتى الذي ولِد بعدما ذهبت "ساني" للعيش مع عمها؟

قال "أورهان":

- إنه في الثامنة عشر أو التاسعة عشر الآن.

قال "فوفو":

- فهمت! هل أقام "جيم" علاقة مع "تونكا"؟

كيف خمن "فوفو"؟

- ما كانت لتعترض على صداقة، لكن "جيم" غازل الفتى.

ضاقت عيناي وأنا أحاول استيعاب هذه المعلومة، وقلت:

- لكن الجميع يتحدثون عن لطف "جيم".

- من الواضح أنكِ لم تقابلي "جيم أنكاراليجيل". إنه مثل الطفل، قمة في السذاجة والبراءة.

هتفت:

- أي براءةٍ هذه؟

لماذا أجد صعوبة في فهم المواقف منذ أن أقلعت عن التدخين؟

قال "أورهان":

- في رأيي، إن مغازلة "جيم" لـ"تونكا" دليلًا على سذاجته. فما من شخصٍ طبيعيّ سيتصرف هكذا.

- لا، هذا ليس تصرفًا طبيعيًا أبدًا، ولا بريئًا أيضًا. أنا أعتبره فسادًا أخلاقيًا وانحرافًا.

قال "أورهان":

- لو كنتِ تعرفين "جيم"، لفهمتِ ما أحاول قوله.

سألته:

- كيف تعرفه أنت؟

- ذهبت مع "ساني" لجمع أغراضها من بيتهما. تحدثت إلى "جيم" قليلاً وقتها. لم يبدُ لي شخصًا بالغًا ناضجًا. أشك في قدرته على إدارة الشركة. أظنه يذهب إلى هناك من باب المظاهر.

- ما كل هذه الضجة عن الأموال إذًا؟ لماذا لم تملك "ساني" أي مال؟

قال "أورهان":

- كانت مفلسة لدرجة أنها باعت سيارتها.

تذكرت ما قالته لي "ناز" وقلت:

- ظننتها باعتها لتشتري موديلاً أحدث.

سأل "أورهان":

- موديل أحدث؟ من قال هذا؟ لم تملك قرشًا باسمها. لم أصدق في البداية إنها يمكن أن تفلس إلى هذه الدرجة، لكنها الحقيقة.

من الواضح أن "ساني" لم تفكر في مستقبلها. قال "فوفو":

- يقولون إن المال ينتقم بطريقته الخاصة. عندما يحصل الناس على مالٍ وفير بعد الحرمان منه زمنًا طويلاً، إما يصرفونه كله أو يخزنونه كله خوفًا من الإفلاس مجددًا.

قال "أورهان" الذي يلعب دور طبيبٍ نفسي هاوٍ:

- في الحالين، يسيئون التصرف مع المال.

قدنا حول "باشا بهتشه" وعدنا لنقطة البداية أمام البيت. لكن "أورهان" واصل

القيادة دون إبطاء. سألته:

- لو أن "ساني" وافق على الزواج من "جيم" لإخفاء مثليته، ألا تظن أنها كانت ستحصل على بعض المال؟

- نعم، كانت تحصل عليه خلال زواجها من "جيم". لكن توقف ذلك عندما طلبت الطلاق لأنهم كانوا معارضين لقرارها.

سألته:

- كانوا معارضين؟ هل تقصد عائلة "جيم"؟

- عقدت "ساني" اتفاقًا مع "تاماشا" هانم التي تشكين في تورطها في وفاة "ساني".

فكرت في كل ما قيل. هل أوحيت له بذلك دون قصد؟

سألته:

- كيف عرفت؟

- أريتِ زوجتي صورتها.

إذًا، تعرفت زوجة "أورهان" على صورة "تاماشا" على الرغم من أنها ألقت نظرةً سريعة عليها.

سألته:

- من أين تعرف "تاماشا" هانم؟

- لم أقابلها قط، لكنني أعرف أن "ساني" لم تحبها. رتبا هذا الاتفاق المريع معًا.

سألته:

- هل قابلتها زوجتك؟

قال، في حِدَّةٍ:

- زوجتي؟ اتركيها خارج الموضوع.

- هل هددتهم "ساني" بكشف حقيقة مثلية "جيم"؟

قال "أورهان":

- استخدمت "ساني" كل أنواع التهديدات. لم يكن ذلك لطيفًا.

- هل رأيت "تاماشا" هانم بالقرب من بيت "ساني"؟

- يصعب عليَّ ملاحظة ذلك بصراحة؛ فأنا أعود إلى المنزل في المساء عندما يحل الظلام. ولا أحب النظر إلى وجوه الناس عندما أسير في الشارع بأي حال.

سألته:

- متى رأيت "ساني" آخر مرة؟

- لم تسألين؟

- إنه سؤالٌ بديهيّ، أليس كذلك؟

- تقابلنا صباح الثلاثاء، وأقلعت طائرتي عصر اليوم نفسه.

توقف ليفسح الطريق لسيارة قادمة من اليمين ثم واصل:

- إن كنتِ لا تصدقينني، هناك ختمٌ في جواز سفري.

سألته:

- إذًا، ذهبت إلى بيت "ساني" صباح الثلاثاء.

اعترض "أورهان" قائلًا:

- بيتها؟ بالطبع لم أذهب إلى بيتها. إنها تعيش في البيت المقابل مباشرةً. ما كنت

لأقابلها هناك أبدًا.

من الواضح أن "أورهان سونير" وزوجته لا يتبعا مبدأ الصراحة في زواجهما.

سألته:

- في هذه الحال، أين تقابلتما إذًا؟

- حيث نتقابل دائماً.

- أين؟

قال "أورهان":

- لديَّ شقة صغيرة في حي "باي ليرباي".

إنها أول مرة أقابل رجلًا لديه منزل سرِّي. نظرت إلى وجهه بتمعن وتنحنحت استعدادًا لسؤالي التالي الذي يصعب سؤاله.

- هل مارستما الحب؟

- هذا ليس من شأنكِ.

- وجدوا أثارًا للحمض النووي على ملابس "ساني" الداخلية. لو أنه لك فسيكون هذا من شأن الشرطة وليس من شأني وحدي.

لم يجب "أورهان" مباشرةً. على الأرجح يفكر في العواقب. أخيراً قال:

- لا يوجد مادة في القانون تنص بأن الخيانة الزوجية تعتبر جريمة.

- ليس الخيانة الزوجية بل إخفاء معلومات عن الشرطة...

قاطعني قائلًا:

- أنتِ لستِ من الشرطة، وأنا لا أعرف شيئاً.

- هل أنت واثقٌ من هذا؟

- ما الذي قد أخفيه عنكِ؟

حقًا، ما الذي قد يخفيه؟ لا فكرة لديّ. إنه لا يثق بي بالتأكيد. لكن لماذا؟ بسبب أوهامه عن منظمة "TLF"؟ أو لأنه يملك شقةً سرية؟ ثم أدركت فجأة أن السبب هو أن زوجته أنكرت معرفتها لصورة "تاماشا".

قال "أورهان" وهو يضم قبضته ويضرب المقود:

- لا نريد التورط في هذا.

"لا نريد"؟ لقد استخدم ضمير المتكلم الجمع، يقصد نفسه وزوجته الكرتونية. همم...

قلت:

- آسفة، لكنكما متورطان بالفعل.

هتف "أورهان":

- لا نريد التورط في هذا!

ملاّك "مرسيدس" و"فولكس فاجن" يقولون إن سياراتهم لم تعد كما كانت. أما ملاّك "أودي" يقولون إن سياراتهم ما زالت عالية الجودة. تذكرت هذا عندما ضغط "أورهان" فجأة على الفرامل بينما ننزل على تل. هنا توقفت الأكاذيب وباح "أورهان" بكل ما يعرفه.

oooooo

أردت الاتصال بـ"أورهان" في طريقي إلى المنزل، لكن "فوفو" أوقفني قائلًا:

- يمكنكِ التحدث معه بحريةٍ أكثر وأنتِ في البيت.

قلت بينما أتمطأ:

- أنت محق. لنهنئ أنفسنا أولًا. لا بأس بنا كفريق، صحيح يا "فوفو"؟

قال، وهو يضحك:

- لا بأس؟ بل نحن رائعان! رااااائعاااان!! بل في غاية الروعة!

أعد عزيزي "فوفو" بعض الشاي الأخضر ليدفئنا بينما استلقيت براحةٍ على الأريكة واتصلت بتليفون "باتوهان" المحمول.

سألته:

- ما الأخبار؟ أين أنت؟

- لا تسألي. أنا في "بيديكولي". وجدنا جثة مجهولة الهوية.

يا للمسكين، وفي هذا الجو السيئ!

- حللنا القضية يا "باتوهان". تعال عندما تنتهي من عملك وسنشرح كل شيء.

هتف:

- حللتِ القضية؟! هل تحدثتِ إلى "أورهان سونير"؟

- في الواقع، زوجته...

قاطعني متجاهلًا تعليقي، وقال:

- كنت أعلم أن هذا الرجل متورط. هل كان سفره مجرد كذبة؟

من الواضح أنه كان مراهنًا على "أورهان". قلت له:

- لا، الأمر ليس هكذا. زوجته رأت "تاماشا" هانم وهي تخرج من تاكسي أمام بيت "ساني" مساء الثلاثاء.

- "تاماشا" هانم؟ ما علاقتها بكل هذا؟

الأمهات التركيات يعاملن أبناءهن الذكور مثل الأطفال حتى ولو كانوا في السبعين، و"تاماشا" لا تختلف عنهن.

سأل "باتوهان":

- هل كانت تحمي "جيم"؟

قلت قبل أن أسحب نفسًا عميقًا:

- بالضبط.

قال:

- يا إلهي! يا للأمهات وأفعالهن!

خاتمة

حقيبةٌ نسائيةٌ صغيرةٌ من تصميم "ميوتشا برادا" رئيسة المصممين لماركة "ميو ميو"، وعطرٌ خاص للممثلة "أودري هيبورن".

تم إقناع المدعي العام بإصدار مذكرة تفتيش لبيت "تاماشا أنكاراليجيل" بناءً على أقوال "سيمين سونير" كدليل. بعد ذلك اتخذت الأمور منحىً دراميًا. كانت "تاماشا" نائمة في سلام في سريرها الناعم الدافئ ثم فجأة وصلت الشرطة إلى بيتها. لم تغفل صحافة المشاهير عن الأحداث. في اليوم التالي، انتشرت صورة "تاماشا" والضباط يقودونها إلى سيارة الشرطة أمام بيتها على الصفحات الأولى من كل الجرائد بعنوان: "انتقام حماة" و"الحماة المخيفة" و"احذرن أيتها العرائس!".

خلال الاستجواب الأولي، اعترفت "تاماشا" أنها ذهبت لرؤية زوجة ابنها لمناقشة تسوية الطلاق والإجراءات، لكنها أنكرت كل التهم. وادعت أنها عندما تركت البيت، كانت "ساني" بصحةٍ جيدة ورافقتها إلى الباب.

لم تعترف "تاماشا" بسبب الحذاء الذي وجدوه في دولابها والذي طابق الآثار الموجودة على أرضية غرفة جلوس "ساني". غريب، أليس كذلك؟ لم تنكر قط وجودها في البيت. ما أوقع بـ"تاماشا" حقًا هو شيءٌ لم نركز عليه في التحقيق؛ إنها الصبغة البنية تحت أظافر "ساني" والتي ذكرها تقرير الطب الشرعيّ. اتضح أنها من حقيبة بنية ماركة "ميو ميو" من مجموعة صيف 2006. من الواضح أن المسكينة "ساني" عندما وقعت حاولت التشبث بيأسٍ بحماتها، لكنها أمسكت بحقيبتها بالخطأ.

لماذا لم تحاول تلك الحماة الوحشية التخلص من أي دليلٍ يقود إليها عندما علمت بوفاة "ساني" بعدما تركتها فاقدة الوعي على الأرض؟ أظنها لم تستطع إجبار نفسها على التضحية بحقيبتها "ميو ميو" الغالية. في رأيي، مشكلة "تاماشا" هي أنها لم تقرأ روايات جرائم. لو فعلت، لدمرت كل ما كانت ترتديه أو تحمله من باب الاحتياط، حتى مع جهلها بأن الشرطة التركية أصبحت تستخدم التصوير بالأشعة فوق البنفسجية.

بالطبع "تاماشا" هي من أخذت "لاب توب" "ساني" من البيت. عرفت من ابنها أن "ساني" تكتب مذكراتها، فأخذت الـ"لاب توب" ظنًا منها أنه يحتوي على معلوماتٍ خطيرة عن علاقتها بـ"جيم". لا أعرف ماذا كتبت "ساني" في المذكرات، لكنه بالتأكيد خطير بما فيه الكفاية؛ لكي ترسل "تاماشا" سائقها وشقيق زوجها لسرقة الكمبيوترات من مكتب "جريتور". تلقى هذين الرجلين حكمًا مخففًا بما أن ليس لهما سوابق. كما ادعت أن اتفاق "جيم" مع الحارس الليلي لمراقبة بيت "ساني" كانت فكرتها، مع أنني لا أستطيع منع نفسي من التفكير في أن "جيم" لا بد أن يكون متورطًا في الأمور.

أما الشيء المعدني الغامض الذي وجدته "ناز" في بيت "ساني" وألقيته أنا بشرودٍ في حقيبتي، فكانت نتيجته سيئة بالنسبة لنا. اتضح أنه بالفعل غطاء زجاجة تدحرج تحت الطاولة وغفلت عنه "تاماشا" هانم عندما تشبثت "ساني" بحقيبتها ماركة "ميو ميو"، مما أسقط كل محتوياتها على الأرض. عندما سلمنا الغطاء لـ"باتوهان"، كان مغطى ببصمات أصابعنا ولا يمكن استخدامه كدليل. بالطبع سمعنا محاضرة طويلة عن أهمية وضع أي شيء نجده في مسرح الجريمة في حاويةٍ مغلقة دون لمسه باليد المجردة. كخبيرة في روايات الجريمة، أدرك تمامًا هذه القاعدة الأساسية. لكن أحيانًا ينسى الناس أنفسهم أثناء الاندماج في الموقف.

على الأرجح تتساءلون عن الزجاجة مصدر الغطاء، عليكم ذلك بالفعل. عرفت من "ياسمين جيل" أن "تاماشا" كانت تستخدم العطر نفسه منذ كانت شابة. إنه عطر "لا إنترديت" المصنوع خصيصًا للممثلة "أودري هيبورن" من "جيفنشي" عام 1957. من الصعب إيجاد هذا العطر لأنه تم إنتاج عددٍ محدودٍ منه. العطر عبارة عن مزيج من التوابل والفلفل والورد والياسمين وخشب الصندل والكركديه، بالطبع عرفت هذا من الإنترنت. لم يشغل "باتوهان" نفسه في البحث عن زجاجة "لا إنترديت" دون غطاء في بيت "تاماشا"، لأن الدليل الذي تلوث ببصماتنا ليس له أهمية بالنسبة له.

اتصلت "ياسمين جيل" منذ بضعة أيام لتقول إنها ستعود إلى "بودرام"، وشكرتنا على كل ما فعلناه. قلت لها إنه لا داعي لشكرنا وإننا أدينا واجبنا فقط. قابلت "ياسمين" والدها بعد اعتقال "تاماشا"، وكانت متفائلة بأن علاقتهما يمكن

أن تعود إلى طبيعتها، حتى بعد كل هذه السنوات. أتمنى أن يحدث هذا بالتأكيد. لا يوجد ما يمنع بعدما انكشفت حقيقة "تاماشا".

قال "باتوهان" إنه ممتنٌ جدًّا لمساعدتنا في "إغلاق ملف القضية" بحسب كلماته حرفيًا، وإنه سيرشحنا للحصول على إحدى الميداليات التي تمنحها شرطة إسطنبول للمدنيين الذين يساعدون في القبض على المجرمين. عندما سمعت هذا شعرت بأنني أغوص في ماءٍ مغلي، بينما شعر "فوفو" بحماسٍ شديد لفكرة أن يحصل على ميدالية، إلى أن أعدته إلى صوابه. الحصول على جائزةٍ كهذه يعني أن تكون مجبراً على مصافحة يد رئيس شرطة إسطنبول، ويكفيني تمامًا أن أتعامل مع رجل شرطةٍ واحد.

أعلم أنكم تشعرون بالفضول لمعرفة ما حدث مع "سِنان". تقابلنا مجدداً، وأخبرته بلطفٍ شديد أنه لا يمكن أن تجمعنا علاقة وأنه من الأفضل أن يجد فتاة

من سنه. لديَّ ما هو أهم لأفعله غير ملاحقة الرجال، مثل تسديد قرض البنك وادخار القليل من المال للأيام الصعبة.

و"سليم"؟ ما زلت أريد الاتصال به. من يدري ما قد يحدث!